BLACK ROSE
رواية
وردة سودا
عبدالله السوداني

رواية

وردة سودا

الكاتب

عبد الله السوداني

وردة سودا

تأليف: عبد الله السوداني

غلاف: عبد الله أحمد

تدقيق: مصطفى عبده

تنسيق: عبد الله محمد

الطبعة: الثالثة

المقاس: 14 x 20

رقم الإيداع: 4366\2023

الترقيم الدولي: 978-977-4235-5-6

Dracutobia
دراكوتوبيا للنشر والتوزيع

الناشر: دار دراكوتوبيا للنشر والتوزيع

المقر: طنطا- محافظة الغربية- مصر

رقم الهاتف: 01010117843

رقم الهاتف: 01550902211

البريد الإلكتروني: dracutobiapublishing@gmail.com

كل الحقوق محفوظة للناشر وغير مصرح بتداوله بدون إذن خطي ©

لو كان الوصول للجنة سهلاً ، فلن يكون هناك داعٍ لخلقنا في الدنيا ، ولو كان الاختبار سهلاً ، فلن تكون مكافأته جنة .

عبد الله محمد

مقدمة

- هذه الرواية كانت هدفًا لعرض أمور كثيرة قد غفلنا عنها في حياتنا، كانت محاولة لعرض أكثر ما قد يؤلم وما يتم تجاهله من المشاعر والسلوكيات، ربما هي كلماتي لك لتكون أفضل مما أنت عليه الآن، لقد أرسلت هذه الكلمات لك بقلبي، وأرجوا أن تصل إلى قلبك فتتذكرني بدعوة.

" بعض أحداث القصة حقيقية، وبعض الشخصيات من الواقع"

نهاية....

في أحد الأيام وفي أحد البيوت البسيطة، تشرق الشمس في جو جميل ويتردد صدى صوت " أميرة ":

- يا "رؤى" اصحي عشان خالتو هتيجي دلوقت وهنمشي على طول.
- لم لا تتحدثين بالفصحى يا خالتي، حسنا سأستيقظ.
- يا بنتي أنا بتكلم بالعامي مكسر، انت متعبة زي أمك انت حرة متتعبيناش معاكي، هحضر الفطار تكوني صحيتي.
- حسنا أيتها المرأة الشريرة.

يدق الباب لقد حضرت الخالة " أماني" تقوم "رؤى" مسرعة لتفتح الباب وتستقبلها بكل اشتياق فلقد طال الغياب ليومين يا لها من مدة...

تقول رؤى بكل حماس:

- ماذا أحضرت لي معك.
- يبنتي شغل فيلم الرسالة اللي معيشانا فيه انت وماما دا موترنا، عموما أحضرت لكي بعض الحلوى لنحصل على القليل من التسوس.

يقاطعهم صوت أميرة بتجهيز الإفطار وعليهم الذهاب لتناوله في جو من المرح والضحك والذي سيكون بداية لبوادر حب عائلي قد فُقد، وأمان لم يعد موجودًا وقلما تجده.

قالت أماني في وسط الكلام:

- مين هيخمن هنروح فين النهاردة؟ عشان أسهل الموضوع عليكم هنروح مكان حصل فيه موقف مجنون شوية وذكرى مكان مش هتتنسي أبدا.
- يللا يا رؤى خالتوا قررت تعملك مفاجأة في مكان هتحبي جدًا تعرفي قصته.

في أقل من خمس دقائق ذهبت رؤى لتستعد للرحيل، وقد جاءت في تدلل واضح بشكل طفولي ساحر بعينين زرقاوين، كم ورثت عن أمها جمالًا خلابا وتُركت كأثر جميل نادر لن يتكرر.

- هيا بنا يا سيدات فأنا جاهزة.

عندما تستمع للجملة لن تظن للحظة أن من قالها طفلة لم تتجاوز العاشرة بعد، ولكنها رؤى ولذلك توقع أي شيء.

*****

بداية. . . .

فترة المراهقة وتحديدا في المرحلة الثانوية كما هو مشهور، تتميز هذه الفترة بكثرة أخطاء الشباب والطيش وفعل ما هو متهور وغير حكيم.

ربما لا تكون تلك الفترة بطويلة ويعقبها نضوج سريع ولكن أحداثها وما يحصل فيها على جانب كبير من الأهمية في المستقبل ويؤثر على مناحي الحياة بمختلف الأشكال والطرق، ولذلك رأيت أنه من الجيد اختيار القصص منها، لرؤية وعرض المواقف وتوابعها، ومظاهر التغير للأفضل أو للأسوأ.

كيف بإمكاننا أن نحب ونشعر بما يحتاجه القلب بدون ضرر أو عناء، أشياء مرت علينا جميعا، مواقف يشوبها الريبة والتوتر وقلة الثقة، كل الأمور لها دوافع وخطوات يمكننا اكتشافها وتجنب مشكلاتها بكل سهولة بمعرفة رأس الأفعى وقصه.

جميعنا لديه ذكريات تسوؤه، وأفعال ندم عليها بما يكفي، والآن يكفينا ما حدث ولنبدأ من جديد. هل أنت معي؟

*****

(1)

في منزل التوأم (عمر) و (عبد الرحمن)، أبطالنا في المرحلة الثانوية، والتي تنقسم لفئتين؛ أحدهما يظن أنها المرحلة الفاصلة للحياة، والآخر يرها عادية بل أقل وهي عبارة عن تسلية فقط وليأتي ما يأتي.

"عمر" مثال للطالب الملتزم مهتم بدراسته، يحاول تحقيق أحلامه، يحاول كسب دنياه وآخرته كما تحثه فطرته على ذلك، يسعى للحفاظ على مبادئه وفعل الصحيح دون السير وراء القطيع ليس على تدين شديد ولكنه يعرف حقوقه وواجباته ويحاول معرفة المزيد.

"عبد الرحمن" النقيض تماما من أخيه، لا يهتم بتلك المرحلة ولا يلقي لها بالا، الحياة متعته الخاصة بدون تقيد أو حدود، كل ما فيه متعة فهيا بنا فلن نعيش مرتين، ولتذهب تلك المبادئ لأصحابها المملين.

ارتدى عبد الرحمن ملابسه كما لو أنه يستعد للخروج، حتى سأله أخوه:

- رايح فين يا عبده؟
- نازل أشتري أنا ومحمد شوية حجات محتاج حاجة أجيبهالك معايا؟
- صليت الضهر قبل ما تنزل؟
- هصلي لما آجي من بره.
- صلي قبل ما تنزل يا عبد الرحمن ممكن ربنا ياخدك قبل ما ترجع متأخرش الصلاة، وانت جاي هاتلي معاك أكل؛ لأن أمك عاملة سمك وحاسس إن هيجرالي حاجة قريب، وعدى على المكتبة هاتلي سكيتش سلك وقلم جاف.
- سمك!... السمك دا كائن لطيف جدًا أنا شايف اننا نسيبه يعوم في البحر ولا يتعبنا ولا نتعبه، وبعدين انا قولتلك عاوز حاجة، ودي كان مقصود بيها حاجة واحدة، إنما انت محتاج إني أحقق أحلامك.

- خلاص؟ وصلنا للزمن اللي الأخ مش طايق طلب لأخوه؛ ياااه ع الدنيا، روح يا عم الله يسهلك، صلي قبل ما تنزل.
- حاضر.

*****

الصلاة... إن لم تكن صلاتك هي أولوية الحياة فماذا في حياتك أهم؟ أضمنت مقعدك في الجنة أم رفع عنك القلم؟

شغلنا بأمور أخرى حتى تناسينا ما يعين عليها، ابتعدنا لجحود قلوبنا وعدم الشعور بمتعة الوقوف بين يدي الله، غشاوة على القلوب لا نحاول إزالتها إلا في الشدائد، نسارع إلى الصلاة في الشدة وعند الرخاء "هصلي لما آجي من بره"، وربما في يوم ما لن نعود من الخارج، فنضيع بركتها بالتأجيل، ونضيع أجرها بالإهمال.

*****

في الشارع وصوت غليان الدم متأجج في جسد عبد الرحمن ليصيح في الهاتف:

- انت فين يا مصري الشمس لسعت ف دماغي؟
- في إي يا عم بلبس الكوتش ونازل مش كل نص ساعة تتصل مش طريقة دي.

بعد ربع ساعة..

- قلتلك بلبس الكوتش ونازل ها اتأخرت؟
- لا انا معرفش انت جي مستعجل كدا ليه، هو انت بتلبس الكوتش ونازل ولا بتصنع الكوتش ونازل عشان تقريبًا مكانش فيه شبكة.
- أنا حاسس إنك بتعاملني وحش، وربنا أطلع تاني.
- انت أصلا نازل تتلكك، يللا ياعم عشان بحاول أتوب ومش عاوز أبتديها بذنب عليك.
- قموصة أوي.. ها هنروح فين.
- عاوز أشتري هدوم تعالى هنشتري سوا وبالمرة أجيبلك معايا واحد بمناسبة عيد ميلادك، وتاخد الطقم ف عيد ميلادك وتتفاجئ.
- يا عم قشدا...

*****

الأصدقاء... لم تعد تلك الكلمة موجودة إلا نادرا، أظن أن تلك الكلمة لها معنى يفوق معنى الأخوة، فتخيل أن يقف معك في كل أزماتك شخص ليس من دمك وبدون مقابل، يا لها من فكرة لطيفة!

صديقك هو نصفك الثاني، من يكون معك في الحزن قبل الفرح، يعلم عنك أشياء ربما لا تعلمها أنت عن نفسك، يعلم جميع مصائبك وفي الغالب قد شاركك فيها، يسكن في منزلك وكأن والده هو من بناه، تملكون أسرار بعضكم البعض ولا يمكن لأحد كشف سر الآخر فكأنه يكشف سره.

صديقك هو من يحثك على الصلاة ويدعوك لها، يسحب قدمك للجنة، يتمنى لك الخير، لا يشترط أن تكون أفضل منه، لكنه دومًا يريدك أن تكون بخير.

لا يملك رصيدًا في هاتفه، وإن تصادف ووجدت معه سيكون فالأغلب قد سرقه من والديه، ستجده دائمًا يفتي فيما يعرف وما لا يعرف، تظن أنه إن لم يفعل سيلاحقه العار وسوء الحظ طوال عمره.

يدّعي معرفته لكل الطرق حتى وإن كنتم في كوالالمبور، سيخبرك أنه قد ولد في هذا الشارع وأنتم في الأغلب تائهون سويا.

يشاركك كل جرائمك حتى وإن كانت لا تخصه في شيء، لا يعلم أي شيء في المناهج الدراسية ولكن إذا طلبت منه أن يشرح لك شيئا سيتحول إلى أينشتاين وربما يشرح لك مقررك الدراسي بالكامل في ساعة.

يفهمك بدون أن تتحدث، بينكم لغة لا يفهمها أحد سواكم، يمكنكما أن تتشاجرا سويا كل يوم ولكن لا يمكنكما التخلي عن بعضكم البعض، دائما ما تراه عائلتك على أنه إمام مسجد أو أن أماكن الصلاة قد بَلِيت من مواضع سجوده وهو (حسنًا لنتجاوز تلك التفاصيل...).

لا ينادي عليك باسمك، في الواقع أظن أنه قد نسيه لكونه ينادي عليك باسم أبيك أو اسم عائلتك أو اسم اشتهرت به، ولكن اسمك تقريبًا سيجلب العار للصداقة، وفي حالة شرح شيء لك ربما يشتمُك أو يكسر لك ضلعا من باب المحبة فلا تهتم فتلك إصابات بسيطة.

تأكد من قوة الصداقة إذا تحمل صوتك القبيح حقا حين تغني، صدقني لو قمت بالغناء في الحمام لن يلبسك جِن؛ فهو لن يستطيع تحمل صوتك لفترة أطول من مدة مكوثك في الحمام، ومع ذلك صديقك تحمل كل هذه الفترة.

يفهم أسئلتك الغبية ويرد عليها بنفس مقدار الغباء، يتحمل غبائك النادر في مسائل الرياضيات، يستطيع أن يجعلك سعيدًا في أكثر لحظات بؤسه.

يحفظ جميع ملابسك وفي الغالب يشاركها معك، ربما تكون تلك الأمور عابرة في الصداقة لكن الصديق الحقيقي ليس كل من يفعل ذلك بالتحديد، صديقك الحقيقي هو من تجده يدلك على الخير، من يسحب يدك للجنة، يأخذك للمسجد، يحثك على الطاعة وسوية النفس، هذا هو صديقك والباقي مجرد..... (حقًا لا شيء).

*****

صوت طرقات مدوية على باب منزل التوأم، لا أبالغ في لفظ مدوية؛ فالذي يطرق الباب هو "أحمد" الوحش الكاسر صديق عمر.
يذهب عمر ليفتح الباب بدون أن يسأل مَن الطارق فحقًا لا أحد يتعامل مع الأبواب بتلك الطريقة غيره.

(أحمد نوار صديق عمر، صداقة دامت لسنوات، تعرفوا على بعضهم في شجار كان عمر ذاهب ليضرب أحمد قبل أن يراه فلقد توعدا لبعضهما على أحد وسائل التواصل دون أن يرى أي منهما الآخر، لو أردنا وصف أحمد فهو شخص لا يمكن تحديد أبعاده - ما شاء الله يمكنه سد باب وحده - ولكن ملامحه لا توحي بالعنف، وهذا هو حال غالب الأصدقاء أحدهم عملاق والآخر قزم...)

- السلام عليكم أخي في الله.
- وعليكم السلام تفضل.
- كيف حالك يا أخي؟
- بخير حال الحمد لله، لا تقلق لا أحد هنا.
- وسايبني أتكلم كدا ما تقول من بدري... الاحترام صعب ياخي.
- سيبك من الشويتين دول كله عارف إنك بايظ أصلا، مفيش غير أمي اللي مفكراك شيخ.
- لازم الاحتياط يا عم برضه عشان محدش يغير فكرته عننا، عاملين أكل ايه النهاردة.
- ياخي طب خد نفسَك شوية من المشوار الأول، عموما عاملين سمك هتاكل روح هتلاقي في المطبخ، يا إما تستنى شوية عبد الرحمن هيجيب معاه أكل.
- هي أمك بتعذبكم كدا ليه يبني، المهم ذاكرت للامتحان؟
- انت شكلك مقفل المادة وجي تتنطط على الغلبان اللي زيي.

- يا عم والله ما فتحت الكتاب، بس عاوز أشد شوية عشان سمعت إن المدرسة اللي بنروح عندها بتنفخ اللي بينقص درجة.
- طب تعالى يا عم نذاكر.
- طب اسبقني انت على ما أروح أعمل نسكافية، أعملك معايا؟
- انت بتعزم عليا في بيتنا؟ حاضر هكلم أبويا يضيفك معانا على التموين.
- يا ريتك بتذاكر زي ما بتستخف دمك كدا، مش عاملك حاجة لو عاوز اعمل لنفسك زي بيتكم برضه.
- يبني هو فعليا بيتنا.
- ياعم خلاص أنا أروح ل أمي لا تقولي بيتنا ولا تقولي تموين وبتاع.
- روح يا أحمد اعمل اللي هتشربه خلينا نخلص فيومك اللي مش فايت دا.

*****

في واحد من بيوت الثانوية أيضًا، وفي غرفة فتاة المفترض أنها في الثانوية، يطغى على تلك الغرفة الظلام الدامس مع أننا نقترب من الظهر، لتدخل الأم تلك الغرفة وتفتح الستائر والنوافذ، لتستيقظ " نور " مفزوعة لتغلق ما فتحته الأم كما لو أننا سنموت بسبب تلك الفعلة.

- ايه اللي عملتيه دا يا ماما كان ممكن أموت منك على فكرة.
- أنا لو مخلفة مصاص دماء مش هيعمل كدا، ايه الشمس لو جت عليكي هتحرقك؟
- لا بس لازم الواحد يصحى بالتدريج عشان يعرف يفوق.
- طب انت صحيتي الفطار جاهز ثواني تكوني ورايا.

تخرج الأم من غرفة نور في الوقت الذي يدق فيه جرس الباب، كان الطارق "أماني" و "أميرة" أصدقاء نور، دخلوا وسلموا وذهبوا لغرفة أميرة مباشرة، بعد ما أخبرتهم الأم أن نور استيقظت وسيتناولون الإفطار سويا.

*****

"نور" بنت في الثانوية خبرة في الحياة بسيطة (طيبة) بالمصطلح العامي، شبه انطوائية، وللأسف مفاهيم الصحيح والخطأ مشوشة قليلًا عندها، في فترة المراهقة ظاهرة الصداقة (المحرمة) منتشرة ولكنها لم تكن تصدق مثل هذه الترهات، حتى ما يعرض في الأفلام كان بالنسبة لها أمور كوميدية، وبالنسبة لمعظم هذا السن فتلك العقلية تعتبر نادرة قليلًا، من صفات شخصيتها المرح والهدوء قليلًا وتحب الاختلاف والتميز بدون تكبر.

"أميرة" صديقة نور تشاركها لحظات الجنون والاندفاع كما توحي شخصيتها وطبيعتها بذلك متهورة، مغرمة بقصص الحب في المسلسلات الهندية، وترى أن من الممكن وجودها في الواقع، لكنها لم تسمح به في إطار محرم من قبل، ترى أن الحب الحقيقي هو ما يكون مرتبطا بالطعام غير ذلك فهو ليس حقيقي.

"أماني" صديقة أميرة ونور عبقرينو الثلاثي المرح، من النوع المحلل للمواقف بدون تطرق لحدود فكر تحليل وتنفيذ بما يناسب الهوى، (مشروع فيمنستاية)، كل الذكور كاذبون، الحب للتافهين، الصداقة أمر عادي، وهي كتلة التنمر، ربما صفات سيئة قليلًا ولكنها قابلة للتغيير.

*****

تقابل أميرة نور بصراخ الفتيات الغريب كالعادة.

- ريكوو... صباح الفل، صاحية بدري النهاردة يعني.
- ماما اللي مصحياني، معرفش ايه شغل التعذيب دا.

تشارك أماني الحديث بعتاب:

- مبترديش على الرسايل اللي ببعتها ليه.
- والله يا بنتي مش معايا نت، هحاول أتدلع على ماما عشان تشحنلي.
- طب يللا نفطر ونروح نشوف مذاكرتنا بدل ما نعيد السنة.
- أي الصباح دا، ما واحدة واحدة دا انت دحيحة جدا.
- لسة مبقيتش دحيحة بس هيحصل يعني ان شاء الله.

ردت نور بابتسامة:

- سيبك انت بس من شغل مراهقتك دا وانت هتكوني زي الفل.

ردت أماني ببعض من الغرور:

- آه أنتم متغاظين بقا عشان محدش بيكلمكم.
- لا ولا يفرق معانا، احنا سترونج.

في منتصف الحديث بين الفتيات كانت قد شاركت نور صديقاتها في أمر ملابس قد أحضرتها أمها لها عبارة عن بنطال وبلوزة، أخبرتهم أن يذهبوا لتناول الإفطار حتى تغير ملابسها ثم توافيهم.

بالمناسبة اسم ريكو هو اقتباس من شخصية ريكو المجنون في العمل الكارتوني (بطاريق مدغشقر) كناية عن جنونها أيضًا، يا للأصدقاء المتنمرين.

بعد خروج نور من غرفتها بكامل حلتها وزينتها بعد أن غسلت وجهها ومشطت شعرها المسدل على كتفها تفتح أميرة فاها وتقول بانبهار:

- يخربيت حلاوة أهلك يا ريكو.

لترد نور مغمضة عينيها بابتسامة لطيفة.

- دي أقل حاجة عندي على فكرة.
- بدأنا تكبُر.
- مقدرش أنتم حبايبي.

يتخلل حديث الفتيات دعاء والدة نور المستمر لهم براحة البال والسعادة، بعد ما أنهى الجميع فطوره قررت الفتيات الذهاب لشراء المثلجات (لا يحلو اليوم بدون ايس كريم) جملة تتبع كل أمر يريدونه، أهم ما يميزهم هو الثبات على المبدأ.

*****

في أحد محلات الملابس وفي الحقيقة هو المحل الأوحد الذي دخله الشابان، فمعظم الفتيان لا يضيعون الوقت في البحث عما يرتدونه طالما قطعة القماش تلك ستسر جسده فنعم القماش، يا إلهي ويا لسوء حظك إذا قررت مصاحبة فتاة لشراء ملابس (يحوستي) في الحقيقة سنفتقدك لقد كنت رجلا طيبًا تم خداعه بأنها مجرد بلوزة لا غير، حسنًا نلتقي العام المقبل.

- ايه رأيك يا عبده ف التيشرت دا.
- جامد بس عاوز بنطلون أسود.
- طب ما نشتري واحد بالمرة.
- ايه يا مصري ورثت ولا ايه.
- ولا ورث ولا حاجة ده استثمار فلوس الدروس، ياخي امته يجي اليوم اللي ألف فيه مع اللي بحبها بدل منا ماشي مع أشكال زيك.
- في المشمش هانت.
- لا قريب هتسمع الخبر وتيجي تتحايل عليا عشان أقولك ازاي ومش هقول.

- يبني انت تقريبًا كل اللي تعرفه عن البنات إنهم بيلبسوا حجاب وتقريبًا الإناث اللي عدوا عليك في حياتك كانت أمك وعمتك، معندكش خبرة في الموضوع دا.
- اتفلسف كمان شوية انت اللي بتفهم يعني.
- عيب عليك يا صديقي هعلمك احجز معاد مع مدير أعمالي ولما أفضى هديك من خبراتي شوية، ربنا يجعلنا في عون الفقراء دايما.
- مش عارف أودي جمايلك فين، شاكرين أفضالك والله، المهم تعالى نشرب قصب.
- ايه يا أبو الأمصار رجعت للفقر تاني ولا ايه.
- يبني عصير القصب دا للعظماء هو بس عشان رخيص مفكرين إنه للغلابة.
- برر موقفك برر... تعالى يا عم أهو اللي يجي منك أحسن منك.
- يعني هي بقت كدا طب وربنا ما هحاسب.
- قموصة.. متزعلش هحاسب خلاص.

ذهب الصديقان للمكان بيع العصير والذي كان يصدح بالنغمة المشهورة " أكاد من فرط الجمال أذوب" في الحقيقة لا أعلم ما سر التعميم ولكن لها مذاق مميز ووقع جميل على الأذن.

- اتنين عصير كبار يا حج الله يكرمك.

بينما يطلب عبد الرحمن العصير كان محمد يجول بعينه في الأرجاء حتى رأى في المحل المقابل لهم فتيات يعرفهم.

- ولا يا عبده... شايف مين هناك.

نظر عبد الرحمن وحاول التدقيق بنظره لكن نظر لمحمد ببلاهة.

- مين دول معرفهمش.
- وعمال تقولي خبره وهعلمك، دول ف دفعتنا يبني.
- يعني دفعة فيها ألفين طالب المفروض أعرفهم كلهم، فاكرني السجل المدني.
- يا عم لا بس دول مميزين يعني بيمشوا مع بعض على طول.

نظر عبد الرحمن بلؤم، وتحدث وهو يغمز:

- وانت عرفت منين انهم بيمشوا مع بعض على طول؟ البيه بتاعنا عينه على حد ولا ايه؟
- هات يا عم العصير متتعبناش.

ظل عبد الرحمن يغمز ويلمز محمد في محاولة استدراجه للحديث كان الأمر واضحًا جدًا في الواقع.

*****

في الجانب الآخر بادرت أميرة بالحديث عما تراه:

- شايفين مين هناك.

لترد أماني بابتسامة تميل للخبث قليلًا:

- في حد عينه من حد ولا ايه.

قالت نور في بلاهة:

- أنتم بتتكلموا عن مين؟
- عن عبد الرحمن وصاحبه، سيبك منها يا أميرة مش عايشة معانا على الكوكب، فلترقدي في سلام في قوقعتك يا عزيزتي نور.

ترد نور بدون اكتراث:

- معرفهمش، خلينا نجيب الايس كريم ونروح الدرس عشان قربت أصدع.

في الواقع لم تلقي نور بالا لحديث صديقاتها الغريب والساذج، كانا يتحدثان عن وسامة الشخصين، في حين أنها تراهما شخصين عاديين ربما هي اختلاف أذواق أو بالأحرى اختلاف عقليات تحاول التميز بين الصواب والخطأ، ربما اختلاف حقلية الشخص في حال ثباته على ما يصح يجعله مستغربا في مجتمعه.

*****

لم يرد محمد على عبد الرحمن سوى بكلمات بسيطة:

- دول شلة من تلت بنات مشهورين بكونهم مع بعض يعني. اللي على اليمين أماني واللي ع الشمال أميرة.
- طب واللي ما بينهم.
- لا متتعبش نفسك مع دي هي التالته بتاعتهم نور بس مبتنطقش بره بيتها تقريبًا وملهاش في شغل المراهقين بتاعنا دا.
- يابني انت مش شايف لبسها دي شكلها هي المراهقين كلهم، شكلها خارباها وانت اللي غلبان.
- متبقاش سطحي كدا، لبس ايه اللي يحدد أخلاق الشخص.
- مش بيحدد بالظبط بس اللي ظاهر والانطباع الأول بيكون كدا.
- هي لبسها كدا عموما بس اللي أعرفه إنها ف حالها يعني.
- طب ولو كلمتها تدفع كام.
- هعزمك في المكان اللي تحدده وهقول عليك خبرة طول حياتي.
- تمام يا عم حوش بقا من دلوقت عشان هتدفع كتير.

بانتهاء بعض من التفاصيل البسيطة الأخرى يعود كل منهم إلى منزله يذهب عبد الرحمن لأخيه:

- أحلى شاورما على دماغك، ومتقلقش يا نوار عامل حسابك كنت حاسس إنك هتكون هنا.

يرد نوار منفرج الأسارير:

- والله يبني انت أجدع من أخوك.

ينظر عمر لأحمد وعلى وجهه نظرات الحسرة على صديقة الغادر الباحث عن الطعام أولا، يخبر أخاه عن صلاته ثم يتابع كل منهم عمله.

*****

" انت مش شايف لبسها، دي أكيد خارباها"

عندما تريد الحكم على موقف معين في أي مجال يجب عليك لزامًا أن تنظر للأمر من جميع جوانبه، وإلا فلا تطلق حكمًا واحتفظ برأيك أفضل.

هل تلك الجملة بها أخطاء؟ وإن وُجدت... يا ترى من المخطئ؟ هل الشاب هو المخطئ لرمي مثل ذلك الاتهام؟ أم الفتاة هي المخطئة لجعل موقفها يؤدي لهذا الاتهام؟ أم على أهل الشاب الذين ربما لم ينبهوه ويعلموه أن النظر إلى الفتيات من المحرمات؟ أم على أهل البنت الذين تركوها بهذا اللباس المثير للجدل، والذي يدعو في هذا المجتمع المريض إلى الكلام؟

في الواقع الجميع مخطئ، كان لزامًا على الشاب (غض البصر) فمن بداية الخليقة قد أمرنا الله بذلك بسبب ما يترتب على إطلاق البصر من مشاكل دينية ومجتمعية؛ فهي تحيي في النفس التخيلات، وقد جُبلت النفس البشرية على الشهوة ليكون من أحد الاختبارات الدنيوية، وبما أنه اختبار وفيه ثواب وعقاب فمن الطبيعي ألا يكون سهلًا، وهو في الواقع يحتاج مجاهدة للنفس وحرصًا كبيرًا على الابتعاد عن النظر للمحرم واجتناب المحرمات بشكل عام، ليس هناك أحد كامل ولكن هناك مجاهد، ولذلك ستجد الناس أصناف، هناك من يجاهد وهناك من يعصي، ولن تستطيع التحكم في الجميع.

وكما يلزم على الشاب غض بصره، فإنه يلزم على الفتاة ستر نفسها، ما ينتشر بين الناس أن من باب جهالة العقل أن نحكم على أحد بالمظهر، هو كلام صحيح ولكن ليس عامًا، بل تطلق هذه الفكرة على شواذ القواعد، نحن قومٌ نتبع دينًا قد بيّن لنا صورة اللباس وقد فُطرت أذهاننا على ذلك، فحين تغير من نمطٍ قد وضعه لك شرعك الذي يجب أن تتبعه، فهذا ليسا جهلا في عقل من يحكم على مظهرك وإنما سوء فعل منك.

بالإضافة إلى أن المظاهر "قد" تبدو خداعة، ولكن "قد" وليس ذلك الطبيعي، فإذا رأيت شخصًا يرتدي بزة رسمية وعلى أكتافه نجوم لن يتبادر في عقلك غير أنه مسؤول في الجيش، ولكن الأمر يحتمل كونه في حفلة تنكرية، ولذلك فهناك أصول وهناك بعض الشواذ للقواعد.

ولذلك في ديننا الأصل للبنت الستر، فإن لم تجد ذلك فأول ما يتبادر في الذهن أنها لا تتبع الدين أو لا تتبعه بالكامل، وفي كلٍ فهي مخطئة، ولزمها الرجوع عن خطئها، فإن أصرت هي فلا تحكمن على غيرها بالخطأ.

من الواجب عمومًا عدم إطلاق الأحكام؛ فالأمر فيه تفاصيل كثيرة، إما أن سوء التصرف كان عن جهل أو عن إكراه أو غيره من الأمور غير المعلومة، في كل الأحوال من الواجب المحافظة دائمًا على رؤية أصح الطرق التي يجب السير فيها.

إذًا فمن الواجب أن تجتهد البنت في الحفاظ على سترها مرضاة لربها، واجتهادًا في عدم فتنة غيرها من ضعيفي الإيمان وتحتسب ذلك كله عند الله، فإن كان في نظر أهلها أنها ما زالت صغيرة، إذًا نرى هل أن الأهل على خطأ أيضًا أم لا؟

انتشر وللأسف في مجتمعاتنا صفات سلبية كثيرة، ومن السيء جدًا التسليم بها لتصير واقعًا مقبولًا، فمن الواجب على الآباء تثقيف أولادهم دينيًا ثم يتبعون ذلك بالتثقيف العلمي؛ حتى يتربى الولد على أخذ خيري الدنيا والآخرة، فعند سن معين بدل أن يشتري الوالدان لابنهما لباسًا قد يكون فيه سوء أو فتنة، عليهم تعليمه وتثقيفه على ما يجب فعله وما لا يجب ابتداء بالمظهر، فكما قلت أن أفكارنا قد جبلت على الفطرة السليمة وهي قواعد الدين، وأي تغير في المظهر يعطي انطباعًا أوليًا عمن أنت حتى وإن كان فكري خاطئًا، ولكن هو أمر لا خلاف عليه.

فشراء الأهل _وهم مصدر التثقيف الأول في حياة الفرد منا_ لباسًا لا يخضع لقواعد الدين أو فعل أمر يخالف ما أمرنا الله به يزرع في النفس مسلّمات خاطئة سيكون صعبًا تغييرها بسهولة، فكيف تقنع نفسك بأن أكثر من تثق به هو من سيقودك إلى الخطأ، وهذا ما يسبب أزمة في الهوية الفكرية والعقائدية، ويسمح بانتشار الأفكار السلبية، ويكون للأسف السعي في محاولة إصلاح للخطأ وليس إصلاح للمبدأ.

كون الأمور تتوقف على إصلاح الأخطاء يترك القواعد هشة وقابلة للطعن فمثلًا سيحدد احترام الولد أو البنت بكونه يكوّن صداقات من الجنس الآخر أم لا؛ فإن فعل فهو لا يخضع لقواعد الاحترام وإن لم يفعل فهو شخص جيد حتى وإن سرق وإن شرب سجائر وإن ارتدى سلاسل في رقبته، لأن المبدأ غير موجود وإنما الفعل هو ما يذهب النظر إليه،

كل تلك الأمور خاطئة ولكن سنهتم بما يظهر حاليًا فقط حتى يصير من المسلّمات ونرى شيئًا جديدًا وتعاد الكرة مرات ومرات.

مناقضة الفطرة تتبعها مناقضات في الفطرة، رؤية البنت أن لباسها هو حريتها سيوفر فرصة للمتحرش أن يرى تحرشه هو حرية وحق، وتصير الأمور كلها إلى هشاشة الآراء وجميعها خطأ، وهو ما يؤكد أن مناقضة الفطرة يتبعها مناقضات للفطرة.

إنكار الشهوة هو إنكار لطبيعة البشر، وهو أيضًا إنكار للذات، وتوقيف العقل على أن من السهل التحكم في الشهوة هو ضغط مجتمعي على فئة معينة، وهو ما يجعل الخطأ يتفشى.

في نفس الوقت إثبات الشهوة هو إثبات للطبيعة، وإثبات صعوبة التحكم فيها هو مدعاة لتفشي الأخطاء، إذًا فالتعامل في تلك الأمور يكون بالوسطية، بمعنى أنه أمر صعب ولكن يجب عليّ التحكم بدون إنكار أو تجاهل، والاعتدال عامة هو ما يصلح الفرد.

بداية خطأ الفرد أو اختياره لفعل معين هو من نتاج زرع فكرة أن ما يفعله حق مكتسب، فرؤية التحرش المباح بالراقصة في عمل فني مثلًا هو زرع لفكرة أن تلك الهيئة تقبل ذلك، وحتى وإن كانت لا تقبل فإنه قد تم زرع الفكرة، إطلاق البنات للمفاتن وجعلها معرضًا لمن يريد النظر يزرع فكرة الحق المكتسب للنظر، وجهاد النفس بالضد يتم تجاهله؛ فلماذا أنتِ مثلًا تخطئين وتفعلين ما تريدين من خطأ وأنا لا؟ فيتم زرع الأفكار المسممة والتي تجعل من الأخطاء أمور مباحة يمكن الرد عليها بردود واهنة هي وأصحابها.

*****

" يأتي البعض لحياتك كنعمة . . . ويأتي البعض لحياتك كدرس "

((Some come to your life as a blessing... Others as lesson))

(2)

قبل امتحان الكيمياء ترى ذلك الوحش الكاسر ترتجف أطرافه كما الطفل الصغير لينظر له عمر بنظرة شفقة:

- مالك يا عم خايف كدا ليه هي كيميا يعني.

لينظر أحمد بوجه خال الملامح يحاول فهم الجملة التي تعتبر في منتهى الغباء ويرد:

- يا صاحبي هي حرفيا كيميا.. بيقولوا في ضرب واحنا لسه أبيض يا ورد.
- اجمد كدا، الجيش للرجالة.
- انت بتقول أي كلام ف أي وقت حتى لو ملوش معنى.

في نفس الدرس يدخل اثنان من فرقة الثلاثي أماني وأميرة، وتقع عين نوار على أماني.

- ولا يا ببلاوي تعرف البنت اللي دخلت دي؟
- يا عم بنات ايه استغفر الله ودا وقته.
- أي المشكلة هو انا روحت عاكستها
- يا عم متركزش مع حد خلي رنا يكرمنا ف سنتنا دي.
- انت صح ملناش دعوة فعلا.

على الرغم من اقتناع أحمد بكلام عمر إلا أن عينيه لم تتوانى عن استراق بعض النظرات لأماني - شباب بقا ما احنا كنا شباب - طول فترة جلوسها ظل هو محدقا فيها إلى أن انتهى الدرس، وحين انصرف ظل تفكيره مشغولًا بها حتى لم يستطع الصمت أكثر من ذلك وراسل عمر على الواتس اب.

- ولا يا ببلاوي ... رد عشان عاوزك

لكن تأخر الرد كثيرا فبادر بالاتصال حتى فقد الأمل، وفي صباح اليوم الثاني ذهب نوار مسرعا لمنزل صديقة وطرق الباب بلطف حتى كاد يكسره كما لو أنه من رجال المخابرات. أنقذ عبد الرحمن الباب قبل أن يتحطم:

- يا عم بالراحة ع الباب ابويا مش هيغيره لو اتكسر.

رأى والد عبد الرحمن نوار مندفعا بعد الطرقات العنيفة على الباب ليتظاهر بالخوف ويصيح سريعا قائلا:

- والله يا سعادة الباشا مش أنا هو عبد الرحمن اللي عمل كل حاجة والجثة ف الدرج.

ضحك أحمد من ردة فعل الوالد ونظرة عبد الرحمن التي توحي بالصدمة فلقد اعترف ابوه بكل شيء بدون أدنى مجهود، في الحقيقة أحب هذا الرجل فحركاته لطيفة وتلقائية.

- أخوك فين يا عبده عشان هيكون في جثة في الدرج فعلا.
- هو مين اللي بيحط جثث ف الدرج أنتم بتتعاملوا معاهم على إنهم شرابات، عموما هو ف الأوضة هتلاقيه بيسمع كارتون.

يذهب أحمد بخيبة أمل على حال صديقه، ويقف على طرف الباب وينظر بحسرة نظرة الوالد الذي يرى ولده يشرب المخدرات في ولكنه يسعل بسبب أنه لا يستطيع فعل ذلك، يضرب كفا بكف كما لو أن الوضع خرج عن حده، يتطلع بعينه في الغرفة المليئة بالملصقات لأبطال الأنمي والتي يتوسطها مكتب عليه حاسوب محمول بجانب السرير، وعمر يجلس على المكتب يشاهد فعلا كارتون، ليسأل أحمد بنفس اللطف الذي استخدمه على الباب:

- انا رنيت عليك كام مرة
- ايه ده انت هنا من امته.
- من بدري مسمعتش الخبط على الباب ولا ايه.
- لا كنت مندمج مع الفيلم مركزتش.
- متقولش فيلم بس اسمه كارتون.
- قولتلك مره اسمه أنمي يا جاهل بس هقول ايه تعليم مجاني، الأنمي دا اللي بيسمعه عظماء بس.
- طب جرب تتفرج عليه يسطا بدل ما تسمعه.
- يا سخافتك ياخي.
- المهم مرديتش على الفون ليه.

- كنت نايم وبعدين انت مرنيتش غير 116 مرة بس عامل حوار ليه.
- فعلا المفروض كنت أبعتلك حد من الشركة يصحيك، حقك عليا
- انت بتدقق في حجات تافهة بجد يا نوار، عيب عليك ياخي انت أقوى من المخدرات.
- شوف برضه أي كلام ف أي كلام، المهم أنا عاوز أكلم البنت اللي قولتلك عليها امبارح عشان مش راضية تطلع من دماغي.
- حرام يبني مينفعش.
- عندك دليل إنه حرام؟
- لا بس اللي أعرفه إن مينفعش وخلاص.
- هكلمها انا بقا لحد ما يبقى عندك دليل.
- انت بتهزر يسطا، ولو طلعت حرام هتقول لربنا ايه معلش مكنش عندي دليل وقتها ومرضيتش أبحث عشان مش على مزاجي.
- يا عم ما يمكن مش حرام.
- ويمكن حرام يبقى منعملوش لحد ما نتأكد.
- ملكش دعوة انت بس قولي أعمل ايه.
- العاشق الولهان، انت عارف اسمها حتى؟
- لا معرفش وبطل تهزر واتكلم جد شوية بدل ما أعملك تاتو على دراعي.
- الله يرحم أبوك عرفت التاتو؟ انحرفتي ولا لسة يا سعدية
- بجد فاضلك ألشة سخيفة كمان وهسويك بالأرض.

تظاهر عمر بالخوف وقال:

- خلاص هتكلم جد.

رد نوار بعد ما أخذ شهيقا طويلا:

- المهم يا عم امبارح في الدرس بصيتلها كتير وهي كمان كانت بتبص عليا كل شوية عشان كدا بقولك مش راضية تطلع من دماغي.

رد عمر كاتما الضحكة لكنها ظاهرة على محياه:

- ما يمكن يسطا بتبصلك عشان بتحاول تحدد نوع الكائن الحي اللي قدامها، يعني أول مرة تشوف مخلوق زيك فبتتأمل خلقة ربنا.
- طب متزعلش مني بقا لما أقوم أخططلك وشك وميعرفوش يجمعوه مع بعضه.
- يسطا في أي خلقك ضيق كدا ليه ما العلم عجز عن تحديد نوعك خلينا نعذر البنت.

قام نوار بكل هدوء ورفع عمر بيده وأسنده للحائط ونظر في عينيه بتحدي وشر ملحوظ:

- مكونتش عاوز أوصل للمرحلة دي انت اللي مستفز، هتوحشني يا صاحبي.

لم يستطع عمر تمالك نفسه من الضحك على موقفه وهو على بعد خطوات من الموت المحقق لدرجة استفزت أحمد أكثر حتى كاد يقتله فعليا إلى أن أشار له عمر مستسلمًا، حتى رق قلب هذا الوحش وتركه.

قال أحمد في هدوء:

- نعيد من الأول، ببلاوي أنا معجب بالبنت اللي كانت في الدرس امبارح.

رد عمر وهو يظهر عليه محاولة التقاط أنفاسه وكتم ضحكته:

- حرام يسطا.
- يا عم متعصبنيش بقا ما قولنا يمكن مش حرام.
- يا صاحبي خلاص مش حرام، بس احنا عندنا مذاكرة وعاوزين ربنا يسهلها ف مش عاوزين ندخل في الحوارات دي.
- وأشيلها من دماغي ازاي.
- صل ركعتين وقول يا رب مفكرش فيها وان ربنا يسهلك السنة دي وإن شاء الله تعدي على خير.
- ماشي...

*****

بعد عودة الفتيات لمنازلهم، كان في رأس عبد الرحمن فكرة وهي أن يتحدث مع نور بأي طريقة، حاول اختيار أسهل طريقة في البداية وأرسل طلب صداقة لها على فيس بوك، ولم ينتظر لحظات حتى قام بمراسلتها قبل حتى قبول الطلب وكتب رسالة نَصها " بصي أنا مش بعاكس بس أنا شوفتك النهاردة ومن وقتها مش قادر أشيلك من دماغي، ومش هقدر أفكر فأي حاجة من غير ما تردي عليا."

أرسل هذه الكلمة وانتظر ولكن الرد سيطول قليلًا ف نور لا تمتلك انترنت، بعد ما مل من الانتظار أغلق هاتفه ونام.

في صباح اليوم التالي تستيقظ نور باكرًا وتخبر أمها أنها ستذهب لبيت أماني للدراسة، حتى وصلت وطرقت الباب ثلاث طرقات متقطعة كما لو أنها تختبر صوت الباب ولكنك ستميز صوت طرقاتها، فتحت أماني وكانت أميرة معها هي الأخرى، بعد التحية والجلوس قالت أماني.

- شحنتي ولا لا.
- آه اتفقت مع ماما هروق المطبخ وتشحنلي ف وافقت.
- مصلحة يعني.
- أهو اتورطت بقا.

تفتح نور هاتفها وتشغل بيانات الهاتف ليصدر الهاتف صوت إشعارات رسائل متتالية كثيرة؛ تقول نور بغرور واضح:

- كل دي رسايل في الشوية اللي قفلتهم، فعلا حياة المشاهير صعبة جدا.

ردت أميرة بابتسامة:

- حياة المجانين اللي زيك هي اللي صعبة جدا.

قالت نور بهدوء وتعالي:

- أعداء النجاح والناجحين دايما المشاهير اللي زي كدا محقود عليهم، لحظة إيه دا؟ شوف الأدد اللي ع الفيس دا.

نظر الاثنان ليجدوا الطلب المرسل من عبد الرحمن، فتصيح أميرة على نور لتقبله سريعا، ولكن أماني تخبرها بالتريث قليلًا حتى لا تظهر بمظهر ال(مدلوقة) لتنظر لهم

نور نظرة من يريد إخبارك كم أنت أبله وتقول أنها بإمكانها عدم القبول أصلا ولا تأتي بألم الرأس لنفسها، لترد أميرة كما لو أن نور ترتكب جريمة:

- آه انت هبلة واحنا عارفين بس مش للدرجادي يعني، دا عبد الرحمن يعني أي بنت تتمنى تكلمه وانت بكل بساطة كدا بترفضي.
- إيه يا بنتي التلزيق دا، وإيه أي بنت تتمنى تكلمه دي الطريقة دي خلصت من التسعينات.

شاركت أماني في الحديث:

- أميرة معاها حق، بس هي مدلوقة هي كمان، ف انت اتقلي شوية.
- أنا أصلا مليش ف الكلام دا معرفش انت وأميرة مالكم، أنا مبعترفش بالحجات دي أصلا.
- ما تجربي يا نور هو انت هتخسري حاجة وبعدين دا عبد الرحمن يعني وقعتي واقفة.
- بجد طريقة كلامكم عنه بطني وجعتني بسببها.
- اقبلي بس.
- لحظة هو باعت طلب مراسلة، هشوفه.
- بصي متقبليش الطلب بس ردي على الرسالة
- أرد أقول إيه.
- قوليله بحبك على طول انت لسة هتفكري، بصي قوليله أنا واصحابي موافقين عليك خلاص.
- هشوف الموضوع دا بعدين مش هرد دلوقت.

قالت أماني مغيرة الموضوع:

- في درس الكيميا امبارح مين كان عينه عليا؟

ردت أميرة وهي تظهر بمظهر لا مبالاة:

- أحمد نوار، هيكون مين يعني.

ردت نور وأماني في صوت واحد:

- وانت عرفتي منين؟

قالت أميرة بصوت متقطع:

- ها... هو بصراحة كنت ببص على اللي جنبه، ف لاحظت انه كان مركز معاكي.

قالت أماني:

- هو مش اللي كان جنبه دا عمر؟
- أيوة هو.
- وهو في حد ذكي يبص لعمر دا من هدوئه محدش يعرف عنه حاجه غير اسمه وكمان الأول بس، يعني قوليلي ميزة واحدة فيه.
- يبنتي ما هو دي ميزة إنه هادي شكله كويس وشيك وشاطر.

قاطعت نور حديثهم قائلة:

- هو أنتم عارفين كل دول منين.
- خليكي انت فكوكبك ملكيش دعوة بكلام الكبار دا، المهم إيه رأيكم في موضوع أحمد دا.

ردت نور قائلة أنها لا تعرفه لكن أميرة قالت:

- أنا موافقة، هو أصلا غني يعني هيدلعك هدايا لو جابلك شوكولاتة هاتيلي.
- هو انت كل كلمة موافقة انت إيه حكايتك.
- تصدقي إني غلطانة إني بديكم رأيي الثمين، بكرة أرتبط ومش هعبركم.

ردت أماني بنبرة سخرية:

- ترتبطي بمين؟ بعمر؟
- لا بحد أحسن من كدا بكتير وهفكرك.

ردت نور بفقدان أمل:

- بجد أنتم مجانين ربنا يهديكم.

بعد جلوسهم سويا والمذاكرة قليلًا (جدا) غادر كل منهم إلى منزله وفي رأس كل منهن أفكار كثيرة ليس لها أي فائدة.

*****

اختيارك لصديق ما يجعل مشاركته في قراراتك أمر حتمي، واتباع آرائهم يكون بناء على راحة تامة؛ فهو صديقي، إذًا لن يقول لي شيئًا خاطئًا، ولكن هل فكرت أن رأي صديقك يمكن أن يكون خطأً حتى وإن وافق رأيك؟

هذا هو بيت القصيد، اختيارك لصديق يعني مشاركتك الرأي والنصح وليس التنفيذ، نحن نميل لتعليق أخطائنا على أي أحد غيرنا، لقد أخطأت لأنهم من أخبروني بذلك، أوليس لك عقل تفكر به؟

من الخطأ جدًا نظرات الفتن النابعة من أعين فتاة أخطأت، لو كل واحد وارى خطأه ولم يظهره للعلن لاستقمنا، الخطأ أمام الناس يجر الخطأ إما بفتنة الغير وأذيتهم أو بتقليد الغير لنا عن جهل، وتصير سلسلة من الأخطاء.

غض البصر واجب على كل من تدين بدين الإسلام، لم يشرع غض البصر للرجال فقط ولم يشرع الستر للنساء فقط، محاسن الصفات تشرع للجميع ولكن بتفاوت يناسب وضع كل قبيل.

إطلاق البصر لا يعود إلا بأمرين، تفتن في الوجه أو تفتن في الجسد، أعراض زائلة؛ فلا الجسد يبقى على حالة ولا الوجه يصير أنضر، وهي إن كانت فما تكون إلا سبيل ضعيف للشيطان يزينه باسم الحب، أيعقل كون الحب بالشكل أو بالمال أو بالشهرة؟

الحب إن كان بتلك الأمور لاقتصر على فئة معينة وما خلق الله منبوذين إلا من اختار الضلال بنفسه، أنا أحبك لأنك أنت وليس لشيء آخر، أحبك كما أنت، كما تضحك وكما تحزن وكما تتكلم، أحبك لأنك لست غيرك ولا يمكن وضعك في مقارنة مع غيرك، أحبك أنت بالذات لأنه لا يوجد سواك مثلك.

أنت صديقي لتقوّمني حين أخطئ وليس لتدلني على طريق الخطأ لمتعة لحظية، علاقة الولد والبنت خارج الإطار الذي قد وضعنا الله فيه محرم، ولو كان غير ذلك لما فعلناه في السر.

من يفعل شيئًا صحيحًا يظل يتفاخر به بين الناس، لكن المخطئ يتلصص في أفعاله كما السارق، ولا يتم الخطأ للنهاية، قواعد لم تتغير على مر الأزمان، لا تضع القوانين الخطأ وتنتظر إجابة صحيحة، إنما هي مسائل رياضيات لا إجابات اجتهادية فيها، وإنما قواعد. اختيارك لتلك الأمور المحرمة يعميك عن التوابع، وهي ما يكون في التالي أذًى للغير، ووهنًا في القلب، وكرهًا للناس، وانعدام ثقة، يليه تعميم للوضع، كما لو أن الخطأ من الأول مسلّم به، فيكون من دخل في علاقة محرمة كمن دخل البيت من بابه، في النهاية كل البشر يكذبون.

هذا هو صميم الخطأ، كوني أحبك هو إزالة لفظ كان من الحياة، فلا أدخل إلا من الباب، ولا أتحدث إلا بالحلال، فلا سبيل للشيطان ليوقع بيننا، فإن افترقنا فلا ضير، وإن أكملنا ففي الخير، ولا يُكسر قلب منا، ولا يقل أحد عنا "كانوا يحبون بعضهم".
المجاهدة في الحب هو كونك اخترت من ترضى خلقها ودينها وذهبت لأهلها فرُفضت، هنا تجاهد في محاولة كونك تناسبها دون معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية لخالق، ليس الجهاد في مقابلات السر وصرف الأموال على الهدايا والمفاجآت.

لكن اليوم من أعجبته فتاة _وفي الأغلب أعجبه شكلها؛ فهو لم يعرفها بعد، وإن كان غير ذلك في العموم_ أول أفكاره تكون كيف يبدأ حديثه معها، هذا كان خطأ أحد الأشخاص، فلما عرفه الغير إما أنكره أو فعل مثله في السر عن جهل حتى شاع، في نفس الوقت حدث نفس الأمر للطرف الآخر، فصارت كل الفتيات يمكن الوصول إليهن، وكل الفتيان يمكنهم وضع الأمر تحديًا أمامهم على الملأ، ظلم للجميع، ونحن من فعلنا ذلك بأنفسنا، لقد طال الوقت، أما آن الأوان لنرجع؟

*****

ردت نور على عبد الرحمن ب "نعم" وأغلقت الهاتف حتى جاءها الرد سريعا من عبد الرحمن كما لو أنه كان ينتظر.

- مساء الفل ازيك.
- الحمد لله، اتفضل أقدر أساعدك في حاجة.
- عبد الرحمن هو ايه الطريقة دي، هو أنا معجب بيكي ومكونتش قاعد على بعضي لحد ما رديتي.
- طب هو المفروض انت تقولي معجب بيكي ف المفروض أتكلم معاك عادي؟
- لا مش شرط بس مفهاش مانع نتعرف مش يمكن ربنا يكرمنا ونتجوز؟
- هو انت جايب الخيال الواسع دا منين، احنا حتى لو اتكلمنا ودا احتمال بعيد طبعا مش هقبل بأكتر من كلام عادي.
- وانا أطول أكلمك بس، دا عندي بالدنيا.
- طب أنا هقفل عشان هنام، عاوز حاجة؟
- لا تصبحي على خير.

أغلقا الهاتف وشتان الفارق بين عقليهما أحدهما تعود على هذا الأمر بضع كلمات معسولة تكفي، والآخر حيران لا يدري هل وقع في الخطيئة هكذا أم أن الأمر عادي فالجميع يفعله؟ وما أسوأ أن يكون ما يفعله الجميع هو الخاطئ فلا تدري كيف تميل وكل الجدران شائكة، ولا على من تستند وكل من حولك سيصيبك بالأذى، ولا أحد لك طوق نجاة.. فأين المفر.

*****

في رسالة صباحية من المصري إلى عبد الرحمن:

- بقولك يا صاحبي أنا عاوز أعمل فرقة مسرحية تكون تمثيل واستعراض.
- وايه جاب الفكرة في دماغك؟
- ليا ناس أعرفهم كانوا شغالين في فرقة بره مصر ولما رجعوا مصر حبوا يعملوا الفرقة تاني هما جابوا الموضوع بشكل عابر كدا لكن الموضوع عجبني وعاوز أشتغل فيه.

- يا عم سهلة نجمع الفرقة ونشوف هنشتغل على أي أساس.
- أنا كنت مشارك في نشاطات زي كدا كتير كنت قولتلك عليها وقرأت عن المجال وعندي خبرة إلى حد ما فيه فهجمع الشباب اللي قولتلك عليهم ونناقش أفكارنا مع بعض.
- خلاص تمام وأنا هشوف موضوع الإعلانات ونظبطلك الدنيا.
- قشطا يا صاحبي.

كم أحب طموح الشباب في الفترات التي لا يستحسن فيها الطموح، يا أخي أنت في المرحلة الثانوية، ركز في دراستك أولًا، لكن ربما تصيب لمن يملكون الإرادة، فمن أنت؟ هل تستطيع الاهتمام بشغفك ومستقبلك؟ هل شغفك هو مستقبلك؟ أنت مرآة نفسك، كن ذكيًا ولا تتسرع.

*****

سريعًا يراسل أحمد صديقه ليخبره بمستجدات الأمور، بعض الأمور التافهة بالنسبة لنا حاليا كانت في يوم من الأيام هي أكبر همومنا ولكم أشعر بالغرابة حين أسرد حدثًا أرى أنه لا يستحق لكن أتذكر أن وقتها كان هو الشغل الشاغل، لقد كبرنا حقا.

- ولا يا ببلاوي، عرفت اسمها يا صاحبي.
- هي مين دي اللي عرفت اسمها؟
- البنت اللي قولتلك عليها في درس الكيميا، اسمها أماني.
- مش كنا متفقين يا نوار نقفل الحوار ده؟
- يا عم ما كدا كدا بنذاكر هتفرق ف إيه يعني، مش دي اللي هتضيع مستقبلنا يعني.
- يا صاحبي قولنا الموقف نفسه غلط من أوله وبلاشه.
- يا عم أنا هجرب أكلمها متشغلش بالك انت.
- براحتك انا نصحتك انت حر.

بعد انتهاء محادثتهم، ذهب لأول وسيلة مساعدة يا إلهي كم ضيعت من وقت وضيعت أشخاص البرنامج اللعين -فيس بوك- ظل يبحث حتى وجدها، في الواقع هناك سياسة

غريبة في هذا البرنامج فما تفكر فيه ستجده أمامك؛ أريد أن أتزوج بفتاة تشبه هذا الشيء حتى تعلم أني جائع في الساعة الثانية صباحا دون أن أخبرها، يا إلهي أحلام البسطاء.

أرسل نوار رسالته مدونًا فيها كلمات لفتى حقا لا يعلم عن الفتيات سوا أنهم من يغطون شعرهم أو لهم شعر طويل، كتب فيها: " صباح الخير، اسمي أحمد نوار، بروح معاكي درس الكيميا، الصراحة أنا شوفتك في الدرس وحقيقي اتشديت ليكي، ودي أول مرة يحصل معايا كدا، مكونتش هبعت بصراحة بس مقدرتش أشوف الاكونت بتاعك ومقولكيش كدا، وبفكر نكون أصحاب" أنهى رسالته وضغط زر الإرسال.

يا له من فتى مراهق، قال أنا معاكي في درس الكيميا ظن أنه قد عقد قرانها.

رأت أماني الرسالة وقالت في نفسها "دا جي واقع جاهز"، ثم قررت الرد بعدها.

- آه عارفاك وخدت بالي منك يوم الامتحان لما مبطلتش تنزل عينك من عليا.

شعر أحمد بالإحراج، ربما هي لم تتجاوز المتر والنصف ولكنها سليطة اللسان، كم أخشى هذه المخلوقات.

- مش مهم إنك أخدتي بالك بس أنا زي ما قولتلك اتشديت ليكي وقولتلك اللي حسيت بيه وكنت صريح.
- طب هو انت متعرفش إن مينفعش ولد وبنت يكونوا صحاب؟
- خلاص بلاش أصحاب، إيه رأيك نبقى حبايب.
- آه تحبني، وأحبك وف الآخر تسيبني؟
- أنا مش ممكن أعمل كدا، أنا مش بتخلى عن حد بحبه.
- كلكم بتقولوا كدا ف الأول.
- أنا أول مرة أعمل كدا ف حياتي ف مش هقبل الإهانة دي، أنا عارف نفسي ومش بحب حد يقارني بحد.
- مقصدش أي إهانة، أنا بتكلم عن الوضع اللي كلنا عارفينه.

- أنا مليش دعوة بحد، أنا اتكلمت عن نفسي وعادي بالنسبالي أقفل دلوقت ومتكلمش تاني دي أول مرة أعمل حاجة زي كدا فعادي إني أتجاهل الموضوع ولو غلطان هتعلم من غلطي.
- خلاص حصل خير أنا موافقة.
- طب وليه الكلام الكتير دا من الأول.
- عادي بنجرب الكلام
- آه تمام.

أراك يا فيمنست يا من تريدين التعقيب على جملة أنه لا يصح وجود ولد وبنت كأصحاب، ولكن لن أتراجع عن قولي فتلك حقيقة شئت أم أبيت عليك الاقتناع بها، هذا في حالة كنتي مسلمة، فلم يعد الأمر يخضع لرأيك ووجهة نظرك.

هل للحب طريق واحد أم يمكن اختلاف طرقه والهدف واحد، صديقنا تحدث لفتاة أعجبته يبغي التقرب منها ليتزوجها، وصديقنا الآخر تحدث لفتاة حتى يتحدى صديقه ولكن الفتاة لا تعلم ذلك، هل يمكن أن ينبع من هنا حب يغير أفكار الطالحين إلى طريق سوي يجمعهم في الخير؟ أم ستكون القاعدة سارية "ما بني على باطل فهو باطل" في قصص الحب قديما كان الحب يصنع المعجزات، هل هذا حقيقي؟ كم أشعر بالغموض حين أروي الأمر بهذا الشكل، حسنا لنرجع لقصتنا.

*****

على غير العادة تستيقظ نور مبكرًا، وتمسك بهاتفها سريعًا لترى ما جد من جديد، فهي تفعل شيئًا جديدا لأول مرة، تتشوق لتعرف ما سيحدث، في نفس الوقت عبد الرحمن يعرف أسرار المهنة لتكسب قلب فتاة عليك بالاهتمام، وهو أيضًا ما يجبرك على إرسال رسالة صباحية، تفتح نور الهاتف فتجد رسالة قد أرسلت منذ مدة ليست ببعيدة.

- صباح الخير يا ست البنات.
- صباح النور ازيك يا عبد الرحمن.
- أنا الحمد لله بخير، ازيك انت عاملة ايه.
- رديت بسرعة يعني زي ما تكون مستني رسالتي.
- طبعا دا أنا قاعد على نار من بدري.
- أخبارك ايه وأخبار مذاكرتك؟ عامل ايه في الثانوية.

طبعا هذا ليس حديث حبيبين، ولكنها معذورة لا تعلم ماذا يقال في تلك المواقف.

- انت محسساني إن خالتي اللي بتسأل عليا، عموما أنا الحمد لله تمام مبذاكرش أوي حاليا كدا كدا لسه في أول السنة.

شعرت نور بالإحراج قليلًا وانتبهت لكلامها، ولكنها تجاهلت الأمر وقالت:

- ربنا معاك.
- يا رب ومعاكي، طب ايه مش هنتعرف على بعض؟
- عايز تعرف ايه؟ اسمي نور، في السن قدك، بحب اللون الأسود والكارتون وأي أكل مش مفيد.
- ونعم التعارف بجد، وهو في حد دلوقت في السن دا لسه بيسمع كارتون.
- متتعاملش معايا زي باقي البنات أنا مش زي حد، متخلقش مني غير نسخة واحدة.
- حاضر ولا تزعلي يا نرجسية، أنا عبد الرحمن نفس السن بحب اللون الأزرق وبحب الأكل اللي كل الناس بتاكله ومبسمعش كارتون، مش تافه للدرجادي.

شعرت نور بالإهانة، لكنها قالت لا يهم ربما لم يكن يقصد ذلك، ولكن من الواجب مراعاة الحديث لا يجب بأي حال من الأحوال التقليل من شأن فعل يفعله أحدهم مهما كان، بعض الأمور التافهة لنا هي مواضع شغف للآخرين، فعود لسانك على الحديث عن

نفسك أو أثني على من أمامك ولا تهون بتاتًا مشاعر غيرك، لن تشعر بجرح من أمامك وقت حديثك ولكن ستترك ندبة في داخله سيذكرها طوال عمره، لا تكن "حلّوفًا".

- الكارتون مش تافه أنا بحبه.
- يا ستي ولا تزعلي، حقك عليا معرفش بتقفشي بسرعة كدا ليه.
- مزعلتش، من تعريفك لنفسك كدا مش شايفة فيك أي حاجة مختلفة عن الناس.
- وليه أكون مختلف عن باقي الناس ما أعيش زيهم وخلاص.
- وفين التميز في كدا لازم نكون متميزين بأسلوبنا وتفكيرنا، ايه الهدف من وجودنا لو كلنا نفس النمط، هتكون حياة مملة جدا.
- على فكرة كلي مميزات، يعني واد حلو وعامل عضلات ولبسي شيك.
- يعني أفهم من كدا، إنك عبارة عن مظهر بس، يعني شكلك مش انت اللي خلقته، واهتمامك بجسمك لو للمظهر بس مش للصحة ف دا فراغ داخلي يعني انت حد فاضي ملكش أهداف، وبالنسبة للبس عادي كله بيلبس.

شعر عبد الرحمن أنه مغلوب على أمره، فتتدارك موقفه سريعا:

- على فكرة كنت بهزر، مش لازم تاخدي كل الكلام جد كدا.
- تمام، مع إن كلامك يبان منه إنه جد.
- كل واحد وإحساسه، ده عشان لسه متعرفينيش بس، مع الوقت هتعرفي لوحدك.
- ماشي، هروح أشوف اللي ورايا ف هقفل دلوقت، سلام.

*****

يستيقظ أحمد من نومه مسرعًا إلى هاتفه بلهفة ليحادث أماني، الأمر سهل مجرد هاتف وبعض الرسائل النصية، يا ليته فكر في صلاة الفجر قبل التفكير فيما يفعله، رسالة سهلة لا تصدر صوتًا ولا تنبئ عن خطأ ولا يشعر بها أحد حولك، خيانة سهلة لثقة الآباء، وما يأتي بسهولة يذهب بسهولة وألم، ولن نشعر بلذة الحصول عليه ولا فرحة الانتصار.

- صباح الخير ازيك يا أماني.

تفتح رؤى عيونها بنعاس نومها خفيف وتستيقظ على صوت أبسط الاشعارات، تقرأ الرسالة وهي تشعر بالخدر في جفونها، ثم تغلق الهاتف وتكمل نومها، يظهر لأحمد إشعار فتح الرسالة وقراءتها وعدم الرد حتى يشعر بالضيق ويبعث برسالة أخرى.

- مبحبش حد يقرأ رسايلي وميردش.

فتفتح هاتفها مرة أخرى لتنتبه لما حدث وتعتذر فورا:

- أنا آسفة كنت نايمة فتحت الفون وعيني مغمضة أصلا ف مأخدتش بالي.
- ولا يهمك، آسف إني بعت بدري.
- لا خلاص حصل خير انا كدا كدا صحيت هفطر وأجهز عشان أنزل الدرس، المفروض هنستلم الامتحان النهاردة.
- متفكريش دا المس قالت اللي هينزل درجتين هيتنفخ.
- هو اقل درجة ينفع نجيبها كام؟
- 49 من 50 وأقل من كدا هنكمل ضرب يا فلوس.
- ربنا يستر، دا أول امتحان أومال هنعمل ايه في الباقي.
- سلام بقا عشان معطلكيش، أشوفك في الدرس.
- سلام.

*****

ثقافة الاعتذار... من الأمور التي تنقصنا هي ثقافة أن نعتذر، نرى الاعتذار نقصًا ولكن عدمه يُنقِصنا، أمر يعلو بك في نظر الجميع، فالنفس جُبلت على الكبر والتمرد والاعتذار يؤدبها، ولذلك لا يفعله الكثير، من يستطيع مجابهة نفسه، يسهل عليه مواجهة العدو، فوزك على نفسك ستعتبره خسارة، ولذلك من أدب تهذيب النفس هو جعلها قوية بالحق وضعيفة للحق، قوية بالتواضع وضعيفة عند الكِبر والغرور.

جملة اعتذار صغيرة تصلح ما أفسده سوء فهم قد يهدم دولة، ولكن حين تقال في وقتها وليس بعدها، فما فائدة الماء بعد التهام النار للقش، سكب الماء مباشرة على الجرح الدامي يطهره، كونك أحد طرفي المعادلة يجعلك إما مخطئ فتعتذر، أو مجنيًا عليه فتقبل الاعتذار، كن دومًا الطرف القوي باعتذارك أو بعفوك، واقبل العفو بعِز.
لا تقطع رحمًا، ولا تخسر صديقًا، ولا تكسر علاقة بسبب خطأ صاحبه قد اعتذر وطلب السماح، فلتحزن قليلًا بعدها ولكن حين تهدأ ستظل تتذكر ما بادر به مَن أحزنك من اعتذار.

عاتب صديقك مرة بعد مرة، أخبره بما أحزنك منه، عاتبه إن لم يعتذر ولا تتسول منه الاعتذار، فإن أبى فقد انتهى أمره، وإن رجع فقد فضّل صحبتك، وهزم شيطانه، فلا نحمل هم الجبال من ذرة خطأ، ولا نعطي حقًا أكبر من حقه، ولا نقطع وصلًا بسوء فهم، ونعاتب طمعًا في الود ونرحل طلبًا لعزة نفس، والأحوال سيان.

*****

يتصل أحمد على صديقه ولكنه شك أنه نائم فهو لا يستيقظ في هذه الأوقات، ولكن للعجب فقد رد عمر على الهاتف ومن أول مرة.

- تتحسد يا ببلاوي بترد على التلفون ومن أول مرة كمان، والصبح؟! في حد هيموت ولا ايه.
- يادي الظلم يا عالم، أصلا لسه منمتش من امبارح ف عشان كده صاحي بس هنام دلوقت وأصحى على ميعاد الدرس، بس انت صاحي ليه مش عوايدك يعني؟
- لا عادي قمت من النوم فقولت أكلمك.
- المفروض إني أصدق بقا كدا منت من همي مش بتنام الليل، ف صاحي تكلمني.
- يا عم أنا غلطان إني اتصلت وعبرتك.
- متغيرش الموضوع، المهم أنا هنام صحيني قبل الدرس بنص ساعة.
- تمام ماشي.

*****

بعد تنظيم الفريق وعمل الدعاية والإعلان، ومعرفة البعض بفريق المسرح سابقا قطع محمد شوطًا في التجهيزات وبقي فقط تجهيز فعالية لتكون أولى خطواته، قرر البدء بمسرحية استعراضية بجانب كوميدي فهذا ما سيلاقي رواجًا بين الشباب في سنهم، وستكون فرصة لرمي بعض الضغط عنهم.

- ربنا يوفقك يا أبو الأمصار.
- حبيبي يا عبود إن شاء الله نعمل شغل يكسر الدنيا، المهم المسرحية اللي هتعملها هدخلها ببلاش.
- يا عم عيب عليك ادعي اللي تقدر عليه وكله ببلاش.
- طيب بمناسبة دي مش هتتخيل مين اللي هخليه يحضر، ومتسألش مين خليها مفاجأة.
- يا مسهل الحال يا رب، مستني.

*****

في مجموعة الواتساب الخاصة بالثلاثي تبادر أماني برسالة.

- صباح الخير يا بنات.
- صباح الفل يا دحيحة، صاحية بدري أكيد بتذاكري. "أميرة"
- ما انت كمان رديتي يا ميرو، ايه بتذاكري انت كمان. "نور"
- ريكو صاحية دلوقت؟! هو ايه اللي بيحصل يا عالم، انت هتبوظي وتذاكري انت كمان ولا ايه يا نور. "أميرة"
- أنا مكونتش بذاكر أنا صحيت عادي ما أنتم عارفين نومي خفيف. "أماني"
- بصراحة عبد الرحمن كان بيكلمني ف عشان كدا صاحية. " نور"
- ابتدينا اهو من دلوقت، المهم هنتقابل عندي بعد ساعة وبعدين كل واحد يروح على درسه. " أميرة"
- تمام. " أماني، نور"

*****

120 مكالمة فائتة على هاتف عمر ويستيقظ على الاتصال رقم 121...

- الو... أيوة يا نوار خير؟
- يعني آجي أدغدغ البيت على دماغك دلوقت ولا أعمل ايه بالظبط، أنا اتصلت عليك كام مره.
- كنت نايم يا عم هرد ازاي وأنا نايم.
- انت كنت ميت بالشكل دا مش نايم، أنا رنيت 120 مرة.
- 121 يا صاحبي.
- انت جبلة يالا؟ ما مفيش كائن مستفز كدا ف الدنيا قوم اتهبب فاضل ربع ساعة على الدرس.
- حاضر يا عم بالراحة هو عشان مليش ولا قريب ولا غريب ولا حبيب.
- يا عم خلاص داخل عليك أهو.
- يا صاحبي انت متحركتش من السرير أي اللي داخل عليا.
- عيب عليك بقولك داخل عليك أهو عد لعشرة هتلاقيني عندك.

بعد ثلث ساعة وصل عمر لأحمد..

- انت كان قصدك عشرة اللي هي عدد صوابعنا ولا عشر آلاف عشان اختلط عليا الأمر بس.
- انت بتدقق في حجات تافهة والله يا نوار دا شوية اصفار، شوف ياخي القافية حتى، ربنا يحفظني بجد.

يحاول أحمد أخذ نفس عميق ربما ينهاه عن ارتكاب جريمة القتل تلك.

*****

في منزل أميرة كانت تدور نقاشات لا طائل منها بين أفراد الثلاثي تحدثت أميرة وأخبرتهم بكونها تحدثت مع محمد بعد ما ذاع سيطه وسط الأقرباء من كونه سيدير مسرحًا حتى أنها التقطت صور للمكان الذي سيقام فيه العرض وصورا مع الشخصيات الهامة المسؤولة عن العرض ومنهم محمد، تفاجأ كل من نور وأماني مما يقال لهم، حتى أنهم بدؤوا يشككون ف الأمر كيف تحدثي معه وهل أنت من بادر بالحديث أم هو من فعل وما الذي دفعك للذهاب إلى هناك أصلا، كلها أسئلة ردت عليها أميرة بهدوء وقالت:

- اهدو شوية بصوا اللي حصل إن القاعة اللي عند المدرسة بتاعتنا أنا كنت معدية من هناك ولقيت واحده أعرفها كانت مسافرة هناك ف وقفت سلمت عليها، المهم عرفت منها إنها من ضمن فريق المسرح ف سألتها هل ممكن أدخل اتفرج عليكم، قالتلي عادي طبعا المهم دخلت وكان محمد هناك، ف سلمت عليه استغربني شوية وبعدين عرفني، وقالي انت جاية تعرفي أسرار العرض ولا أي بس طبعا بهزار، المهم فضلنا نتكلم شوية وقولتله إن الفكرة حلوة وجديدة بالنسبة للسن بتاعنا والمنطقة وكدا، المهم اتكلمنا شوية وخدت بعضي ومشيت بس كدا دا كل الموضوع.
- يولا يا جامد طيب بالمناسبة دي أنا اتكلمت مع أحمد وارتبطنا، معلش يا بنات كانت ع الضيق يدوب ٦ رسايل ع الفيس ف ملحقتش أعزم حد. "أماني"
- أنتم بجد مجانين وتافهين أنتم الاتنين. "نور"
- آه ما انت بتكلمي عبد الرحمن فبالنسبالك الباقي تافه. "أميرة"

- والله حتى عبد الرحمن كلها خيبة ف خيبة انا بس بجاريكم لكن الموضوع كله من الأول مش ف دماغي. "نور"
- تعالوا نقرأ كلمتين قبل ما نزل بدل ما تكون خيبة وفشل كمان. "أماني"

*****

هل المشاهير من المحارم؟ ... لقد انتشر بين غالبية الشباب مصطلح الشهرة، وهو المعرفة العامة لشخصية معينة، إذا وصل شخص ما لتلك المرحلة تسقط عنه كل الحدود حتى إنه يمكنه الدخول لغرفة نومك، وكيف تعترض؟ ألا تعرف من هذا؟ إنه مشهور!

في الواقع الشهرة هي عبارة عن معرفة بغرض معين، شخص يؤدي دورًا معينًا فعُرف بين الناس بدوره، لم يتحول لملاك أو حيوان نادر على وشك الانقراض، وهذا ما يجعل أمر التقاط الصور مع المشاهير أو غيرهم أمرًا غريبًا.

من يكون هذا الشخص المشهور؟ وماذا سيحدث بعد التقاطك هذه الصورة؟ ماذا قدم للمجتمع؟ هل يصلي ولا يضيع الفروض؟ كلها أمور منطقية تم تجاهلها وتبدل مكانها ما يفعله الناس، هذا مشهور فلنلتقط الصور وفقط!

كون وجود أنثى تلهث لتنال صورة مع أحد المشاهير هو سقوط للحياء وخدش للغيرة، وبعثرة لثقة الأهل، وبُعد عن الدين، فهذا الشخص أجنبي، بأي حق تمسكين بذراعه أو يضع يده على كتفك عند التصوير؟

وهرولة الشباب نحو المشاهير إناثًا ورجالًا، هو منقصة للنفس إذا كان بدافع إعلاء الشخص، لماذا لم يطلب هو أن يأخذ صورة معك؟ لماذا قررت أن تكون أنت الطرف الدوني وهو في الرتبة العليا؟ أهذه ضريبة عدم شهرتك؟ هل كمالك سيتم بشهرتك؟ ألست رجلًا كما أنت وفقط؟

الأمر ليس بذاك التشدد، وإنما هي وجهة نظر بعيدة قليلًا عما يحدث في الواقع، لكن كون فتيات يقفون مع مشاهير رجال هو فتنة من كل المناحي، من يضمن أدب هذا الشخص؟ ومن يضمن عدم التلاعب في الصور؟ ومن يضمن عدم استراق النظر من المصورين والتشبع بفحص الصور والتدقيق في تفاصيلها؟

في هذا الزمن ليست هناك ضمانات، وغبي من يظن أن هذا محض ترهات وخيالات، إن كنت تقرأ هذا الآن ولا تظن في قرارة نفسك أن في الخارج وحوشًا مدفونة _حتى نحن بأنفسنا نمتلك وحوشًا لا نعلم عنها شيئا بعد_ فأنت تحتاج لمراجعة نفسك سريعًا قبل

أن تلطمك الحياة بموجِها، وتتقاذفك العواصف التي ظننت دومًا أنها النسيم في الحر، نحن في غابة للأسف؛ فاحذر أن تُفترَس.

تخيل معي جلوسك مع صديق تتحدثون في أمر خاطئ مثل العلاقات بين الشباب خارج إطار الزواج، وتجد هذا الصديق ينصحك ويحثك على فعل أمور معينة لتنجح تلك العلاقة، هل تعلم ما هو شعورك وقتها؟ نعم هو شعور بحسن اختيار الصديق الذي لم يمل من سماعك بل ويشاركك الأمور التي يصعب عليك التعامل معها وحدك، سيزداد قربك منه وستظن أنه الأفضل بين أصدقائك.

للأسف هذا شعور خاطئ وهي نفسك السيئة وأنت لا تعلم، واعذرني هذا ليس صديقك أيضًا، بل هو ألد أعدائك وهو لا يقصد، بل وهو لا يعلم ولا أنت كذلك، لو منعك وردعك عن فعلك فهو نعم الصديق، أعلم ما يدور في رأسك، كيف لا يجاريني فيما أنا مستمتع به ويكون صديقي؟

في الواقع الأمر يتوقف على الأمر المدار حوله النقاش، ولنعلم قاعدة أن المحرم في الدين فيه متعة، وهذا هو مغزى اختبارات الحياة، المحرم له قواعده، صديقك الذي يردعك عن المحرم هو الصديق لكن من يعاونك عليه هو عدو، وأنت تشاركه العدوان على نفسك، النصح الحقيقي هو بُعد عن الخطأ وليس التحايل عليه، فانظر صديقك واختر بعناية.

*****

بعد انتهاء الدرس خرج عمر وأحمد يتبادلان أطراف الحديث فبادر أحمد بقوله:

- أنا مش هتكلم ف موضوع الاتصالات اللي مبتردش عليها دي عشان عاوزك في موضوع.
- هو في ايه يا عم بكون نايم، هو محدش بيستحمل حد نايم اليومين دول يا عالم.
- يبني لو حد دخل عليك بالغلط ممكن يكفنك ويدفنك ومش هتصحى، محدش طبيعي بينام كدا، المهم أنا كلمت أماني.

- طب وبتقولي ليه ما انت عارف إني مش موافق على الموضوع ده، وقولتلك إنك ماشي غلط.
- يا عم أنا قولتلك هكلمها، وبعدين انا بعرفك عشان انت صاحبي ومش هخبي عليك، وكمان عشا ناوي أخطبها.
- وانت تعرفها منين عشان تقول هخطبها، لا تعرف طبعها ولا أخلاقها.
- بالظبط، عشان كدا بكلمها عشان أعرف أخلاقها وطبيعتها.
- طب ما انت لو كنت عاوز تعرف أخلاقها وطبيعتها ف تعرف كدا من قدام أهلها وبما إنك ف ثانوي لسه ف مينفعش تفكر ف الموضوع أصلا، وبعدين لما روحت كلمتها وردت عليك مش كدا هي ردت من ورا أهلها، ودي المفروض قلة أخلاق ما هو مش معقول اتسحرت بجمال عيونك يعني.
- محدش ضامن مش يمكن تكون أول مرة تكلم حد، وبعدين هي الأخلاق هتتحدد من كون البنت بتكلم شاب، يعني أي بنت تكلم شاب تكون مش محترمة، مينفعش تقول كدا عليها وانت متعرفهاش.
- عندك حق... لكن احنا ناس عندنا ف الدين قواعد وشكل للي المفروض إنهم كويسين من الظاهر، زي إنها تكون عندها حياء مبتكلمش حد متعرفوش وغيره بس دي اللي عاوزينه ف النقطة دي.
- يا عم إيه الأوفر ده، يعني هما شوية الكلام دول هما اللي هيخرجوني من الإسلام يعني، وبعدين دا كلام هو انا مشيت معاها.
- يا صاحبي انت مصغر الموضوع، وهو بجد كبير والكلمة بتجيب كلمة وكله غلط ف غلط.
- عيب عليك أنا عارف نفسي، وزي ما قولتلك أنا ناوي أتقدملها.
- أنا مش معترف بأي حاجة تحصل ف السر، إحنا حتى لو نسينا الدين أصلا، ف طول ما إحنا بنعمل الحاجة ف السر أكيد هتكون حرام أو عيب، هو آه المجتمع بايظ بس لسه موصلناش للبجاحة دي.
- خلاص يا عم صدعت دماغي ياريتني ما قولتلك.

سكت عمر بعدما شعر بالخسارة على المجهود الذي بذله بلا طائل كما اعتقد، حتى إن أفكاره تضاربت ما الذي جعله يحزن أو يشعر بالضيق.

قبول النصيحة من عدمه متوقف على طبع الشخص المتمثل في حجم الكِبر لديه أو تقبله لمبدأ الخطأ، إن نصيحتك لي في الغالب ستكون ردعًا عن فعل أنا أريد فعله وسأحب أن أفعل ذلك، فكيف لا أحزن وأنت تريد أن تسلب مني ما أحب، وهنا يقع الجدل، النظر تحت الأقدام ومخالفة حدود الدنيا التي يجب علي الالتزام بها هو ما يولّد الكِبر، أنا أنصحك بالخير الذي هو ضد فرحتك الحالية المؤقتة لأذهب بك إلى بر الأمان، وإلى المكان الذي يجب أن تقف فيه، ليس كل ما تريده هو الصحيح، وليس كل ما تحب حلال، إنما هي ابتلاءات وامتحانات في مكان منطقي وهو الدنيا والتي هي في الأصل دار امتحان، إن كان ما تريد وما تحب عكس ما شرعه لك خالقك، فوجب عليك الانصياع فما أُمرت به لهو الصحيح وهو ما يجب أن تحب، أنت لا تعلم أكثر ممن خلقك.

البدايات الخاطئة حتى وإن كانت سعيدة ومليئة بالبهجة ما زالت بداية خاطئة، ولا تعتقد أنها ستوصل لنهاية سعيدة، والأمور في الدنيا لا تقاس عليها النهايات، إنما النهايات ما يكون لك بعد موتك، فتوقف عن النظر تحت قدمك وتمسك بصديقك الذي ينظر لك الطريق من نهايته، الأخطاء البسيطة تؤدي لكوارث كبيرة، فالجبال في النهاية ما هي إلا ذرات تراب تجمعت مع بعضها.

*****

بعد نهاية اليوم الدراسي المتمثل في الدروس المتكدسة طوال اليوم والتي تجعل شبابًا صغارًا يسيرون كالموتى الأحياء، وجوههم بلا مشاعر يسيرون فقط بوجوه شاردة، ونظرات حادة، يذهب كلٌ إلى منزله صامتًا لا طاقة للكلام فقد استنزفت كل الطاقات في محاولة استيعاب كل هذا الضغط الذي وُضع فيه هذا الكتكوت الذي ما زال صغيرًا على الهم، لكنه يواصل مثبتًا عزيمته بتذكير نفسه بأننا سنموت جميعًا، ولا أحد يأخذ شهادته معه للقبر.

انشغل كل فرد بما يمليه عليه ضميره عمر يذاكر دروسه، أحمد يتحدث مع أماني، نور تقلب بين قنوات التلفاز وأميرة تتصفح الفيس بوك، يا لها من نشاطات متنوعة، في لحظات أرسل عبد الرحمن رسالة لنور في نفس الوقت الذي ظهر إشعار بأن أميرة أرسلت رسالة على الجروب الخاص بها وأصدقائها ولكن نور أجلت فتح الرسالة وقامت بالرد على عبد الرحمن الذي كان نص رسالته:

- مساء الفل على الناس اللي مش بتعبرنا.
- معلش مقصدش أنا بس خلصت دروس وجيت مصدعة.
- ألف سلامة ولا يهمك، أنا حسيتك زعلتي واحنا بنتكلم المرة اللي فاتت ومهونش عليا زعلك، فعاوز أصالحك.
- لا مزعلتش ولا حاجة عادي.
- طب أنا عاوز أشوفك..
- إحنا اتفقنا نتكلم بس لكن مقابلات وكدا لا.
- مش مقابلات أنا بس عاوز اديكي حاجة فلو هنتقابل خمس دقايق أو أقل كمان.
- لا مش هينفع أنا آسفة وياريت نقفل الموضوع دا ومتفكرش فيه تاني.
- طب بصي محمد صاحبي عامل مسرحية قريب لسه منزلش إعلانها الرسمي يعني بس تعالي احضري وهديكي الحاجة هناك.
- أكيد لو جيت مش هاجي لوحدي، صحابي هيكونوا واقفين معايا.
- ماشي موافق تعالي انت واصحابك والتذاكر عليا.
- تمام، بس هي إيه الحاجة دي.
- خليها مفاجأة يا ست البنات.

أغلقت نور هاتفها تتعمد عدم الإسهاب كثيرا في الحديث فما زال الأمر لا يريد أن يسع عقلها، ولا تريد الانغماس فيه، ثم تذهب لرؤية ما تم إرساله على مجموعة أصدقائها.

قمت نور وأماني بفتح الرسالة ليجدوا لقطة شاشة قد أرسلتها أميرة محتواها "ازيك يا أميرة طبعا انت مش محتاجة عزومة أنا بس بعرفك معاد المسرحية أتمنى تشرفيني وهاتي أصحابك معاكي، وعشان معرفتك بالفريق ف متحجزيش تذاكر."

- في حاجة غلط، هل هو بعت الرسالة دي لناس كتير وأميرة من ضمنهم ولا أميرة بس، واشمعنا يعني، هي آه راحت شافت الفرقة بس كان ممكن أي حد يعزمها اشمعنا هو. "نور"
- أنا متفقة مع الفكرة بتاعت نور بس برضه عشان هو المنظم فممكن حس بالواجب تجاه الموضوع دا. "أماني"
- واشمعنا أميرة يعني ما كدا كدا الإعلان هينزل واللي عاوز يحضر يحضر، ما هو مش عشان أميرة راحت البروفة هيدعيها ويدعينا معاها. "نور"
- طيب إحنا نروح بس عشان ميبانش شكلنا وحش إحنا هنشتري تذاكر ونروح زينا زي أي حد. "أماني"
- طب بمناسبة موضوع التذاكر دا عبد الرحمن قالي تعالي المسرحية انت واصحابك والتذاكر عليه. "نور"
- ايوة يا باشا الناس اللي عبده مدلعها. "أميرة"
- بطلي تريقة، مش كل كلمة هتقفولي عليها والله أفركش. "نور"
- انت بتتلككي... عموما أنا مش هرد على رسالة محمد وهنروح عادي زي الحضور وخلاص وأهي حاجة تفصلنا شوية. "أميرة"
- واحنا الشهادة لله مقطعين الكتب مذاكرة. "أماني"
- سيبي البنت تحلم يا أماني متبقيش شريرة. "نور"

يسهب الأصدقاء في الحديث سويا في مختلف الأمور، أي شيء يلهي عن الدراسة وفقط، على جانب آخر كان عبد الرحمن في منزله يخبر شقيقه بحفل صديقه مسترسلًا في كلامه ومنبهًا أخاه على عدم التحدث عن أمور الدراسة فليقل موافق ولا يكثر من الكلام، كان الحوار شديد اللهجة من عبد الرحمن كما لو أنه تعود على مرافقة الكتب لأخيه وعدم اجتماعه بالبشر، على الرغم من كون الكتب الصديق الوفي إلا أن بعض الناس يميلون لتحمل الأذى من الأشخاص بكامل إرادتهم، حقا كم أن الإنسان غريب.

كم من الجميل وجود أخ في حياتك، يشاركك كل وقتك وتفاصيلك، يحفظ سرك ويحمي ظهرك، يتمنى لك الخير والسعادة ويحرص على نفعك، الحب بين الإخوة حب بلا مقابل،

عطاء بلا انتظار رد، بالطبع ستتحمل الكثير من المشاكل بسبب أخيك ولكن ما الضير، هو بجانبك وستمرون بالصعاب سويا.

*****

في محادثة طويلة بين أحمد وأماني، محادثة أحيانًا تدوم لساعات كما لو أن اليوم يحتوي على أكثر من ٢٤ ساعة وفي كلام لا طائل منه يقول أحمد كما لو أنه لا يجد ما يقوله لفتح أي موضوع:

- طلعتي دحيحة ومقفلة الامتحان، ما شاء الله يعني مش بحسد.
- والله دي تساهيل من عند ربنا وبعدين ما انت جايب درجة كويسة برضه.
- ما أنا دحيح، بس انت جايبة أعلى مني برضه.
- مرة عليك ومرة عليا، المهم في مسرحية قريب المسؤول عنها واحد من دفعتنا اسمه محمد المصري، كان مشترك مع فريق ومنظمين يعني الموضوع دا، هتروح ولا أي.
- اه محمد صاحبي أصلا إن شاء الله هروح أنا وعمر صاحبي، هتكوني هناك ولا إيه.
- أيوة إن شاء الله.
- نحجز كراسينا جنب بعض بقا.
- هكون مع أصحابي متعوضة ف مرة تانية.
- عادي المهم هشوفك.
- يا مسهل، المهم انا هقفل عشان أنام بقالنا كتير بنتكلم تعبت.
- كنت لسه هقولك، يللا تصبحي على خير.
- وانت من أهله.

*****

في البدايات يطول الكلام ولا يوجد ملل، وكأنك وجدت كنزًا تحاول معرفة كل ما بداخله، ولا نعارض أن للحب بداية، ولكن هل تلك البداية هي الصحيحة؟ أن تحب شخصًا ما هو تخلص من الملل، فالحب يتجدد بالقرب والطمأنينة، ويدوم بالثقة والابتسامة، أما العلاقات التي يتخللها الملل لم تكن حبًا، بل هو فضول وفراغ، أريد معرفة بعض الأمور عنك، وحين أعرفها حسنًا... انتهى الأمر، ماذا بعد...؟

إذا كانت كل البدايات يطول فيها الكلام، ما الفرق إذا بين الفضول والحب، عند اختيارك لعلاقة ما ضع في عقلك ماذا تريد، هل تريد الشخص أم حياته؟ وفي كل الأحوال محاولة معرفة الشخص في السر، تبني آفاقًا من الغموض، والغموض يجذب الفضول، والفضول يقتل الحب، تظن أنك تحب وأنت في الحقيقة تريد إشباع فضولك، فإذا شبع قضي الأمر.

أن تحب شخصًا في السر أو في العلن قد يكون سيان، بعض الفروق بسيطة ولكن عليك فهم الهدف في النهاية، أن تحب أحدًا هو لأجل أن تجد سكنك، وليس أن تعيش في تلصص لا تدري من سيعلم بِحبك، ربما لا يسير المجتمع وفقًا لتعاليم الشرع تمامًا ولكن ما زال هناك خشية، استراق اللحظات السعيدة في علاقة خاطئة سعادته لحظية، وإذا تكرر الأمر صار فاترًا، بالله كيف تريد أن تحب أحدًا وأنت لا تستطيع ضَمّه في كل لحظة، ما هذه السعادة المجردة من مشاعر الأمان، أنا أحبك وأخاف أن يعلم أحد بحبنا، أتمزح معي؟

أنا أحبك... إذًا أريدك معي، بجانبي، أمسك بيدي إن لم تستطع التحدث، ألقي ما يثقل ظهرك على كتفي فأحمله، أسنِد رأسك على صدري وفجر عبَراتك، على الأقل سأستطيع أن أخبرك أني هنا، وسأكون عالمَك وحدي.

أما أن تكون في بلد وأنا في بلد وحين ينحني رأسي لا يجد ما يستند عليه فينكسر، سحقًا لحب زائف جمعنا ولم يجمعنا أبدًا، حين أحزن أكتم أحزاني سرًا، فلماذا أكتم حبي؟ لماذا حين أحزن لا أستطيع أن أجري إليك؟ لماذا اخترت أن نتقارب سرًا فتدفن جميع مشاعرنا سرًا.

أحيانًا نجد من يمكنه احتضان قلوبنا، ولكن لقيانا في حلال وفي معية الله صعبة، قد قيدها مجتمع عقيم، كيف الاقتراب؟ في الحقيقة الأمر جلي، إن كنت ستبذل المستحيل لترى من تحب في السر، فلماذا لا تبذل الممكن لتراه في العلن؟ وإن وقفت الظروف ضدك فاجعل لنفسك سبيل، لا تقبل سوى بالغدَق ودعك من طَل المشاعر، لا تختر الخطأ إذا استحال الصواب، فلست أعلم بالصواب ممن خلقك وقيّد أفعالك، إن لم تستطع الوصول لمن تحب فاصبر، لا تضل الطريق وتسلك مسلكًا قد يودي بك إلى خطوات قد

مهدها الشيطان لك، لن تنال منها سوى القلق والذنوب، أن تسلك طريقًا صحيحًا هو فوز بالحب والبركة والحسنات، أما الطريق الملتوي، قد يعجبك انسيابية دورانه، ولكن نهايته هلاك.

إن لم يكن هدفك أن تَسعَد سعادة دائمة في الدنيا والآخرة، فلا تختر سبلًا تجلب لغيرك الشقاء عن جهل، ولا تتغنى باسم الحب إن كنت لا تعرف كيف تحب، وابنِ العوائق أمام من يريد اقتحام حصون قلبك، فدخول باب بمفتاحه لا يكسر حجرًا ولا يترك شرخًا، وإنما يفتح طريقًا ممهدًا نهايته حسن الضيافة والاستقبال.

*****

في مرور الوقت يحدث الكثير لأبطالنا كلٌ قد انغمس في علاقته، كلٌ قد ظن أن هذا بداية الحب وكلٌ لهدفه قد أكمل حديثه، ساعات وساعات من المحادثات التي تلهي عن كل ما هو واجب، عن الدراسة والعمل والمسؤوليات، بحجة الاهتمام وما هذا باهتمام وإنما هو أوهام، يخطفون نظرات سريعة في الطرقات والدروس، ويتبادلون المشاعر خلف الشاشات، لا مقابلات حتى الآن نظرات من بعيد فقط كما لو أن كل ما يفعلونه مباح، ما زاد على غير المتوقع كثرة الحديث بين عبد الرحمن ونور، لين الكلام للفتاة يأسرها، قاعدة معروفة وعلى الرغم من ذلك لا تتجنبها الفتيات، الجميع يمكنه أن يلين كلامه، ولا يجب الخضوع للجميع، وعجبا لمن عرف مكان الفخ ثم سقط فيه.

مع اقتراب وقت المسرحية المنتظر، نور متحمسة للقاء عبد الرحمن ورؤية ما يريد أن يعطيه لها، وأماني على وعد مع أحمد بالجلوس قرب بعضهم، وأميرة "القلقاسة" ليس لها حبيب أو غريب أو قريب أو أي شيء آخره "يب" حاليا.

يوقظ عبد الرحمن أخاه في يوم العرض مبكرًا:

- ببلاوي، كلم نوار وتعالوا بدري عشان نقف مع محمد أنا همشي دلوقت هروح معاه وانت متتأخرش.

بعيون ناعسة وعقل نائم محاولا فهم ما يُملى عليه:

- حاضر تمام، إن شاء الله.
- ببلاوي انت نايم ومش عارف أنا بقول ايه صح؟
- يا عم عيب عليك ثق فيا.

في الحقيقة هو نائم بالفعل ولا يعلم بماذا يتحدث، حتى أصدر عبد الرحمن صوتًا كما لو أنه يمزق أوراق فانتفض عمر ظانًا أن عبد الرحمن يمزق شيئًا من أوراقه ويفسد ترتيبها.

- انت قطعت إيه..
- دي ورقه من عندي عشان أخليك تصحى بس، دا انت بتخاف على ورقك أكتر من خوفك عليا أي دا يا جدع.
- بخاف على الورق عشان هو مبيتكلمش مش هيعرف يقول قد إيه بيتأذي يا جاهل انت.
- طب يا عم الحساس ابقى البس طقم من عندي، بلاش شغل الكلاسيك بتاعك دا كان موضة وبطلت.
- انت بتتريق على لبسي، على فكرة بقا ستايلي مريح أكتر من اللي انت عامله ف نفسك دا.
- أنا عاوزك تخطف الأضواء عيب يعني تبقى أخويا واسيبك كدا من غير ما أخليك أشيك واحد في البلد.
- اطلع انت منها بس محدش عارف إنك أخويا أصلا، متقلقش مش هجيبلك العار.
- ابقى بص بصة عندي بس وشوف حاجة على ذوقك والبسها يا عم أنا شاري هدوم جديدة.

- أنا مش مرتاحلك يالا من امته الطيبة اللي نازله عليك دي، دا انت كان بيحصلك حاجة لو خدت تي شيرت من عندك، مالك كدا.
- تصدق ياخي أنا غلطان، البس اللي يعجبك أنا رايح لمحمد، كلم نوار ومتتأخروش.
- قشدا.

يجلب عمر الهاتف حتى يحادث نوار، وبمجرد إمساكه به يجد اتصالًا من أحمد فيرد:

- كنت لسه هتصل عليك، خير.
- اي يا صاحبي مش هنروح لمحمد ولا أي.
- هنروح بس مالك مستعجل كدا ليه، الرجولة قتلاك اووي يعني ولا عشان هتدخل ببلاش.

قال أحمد بتعالي:

- يبني أنا آخر حاجة أفكر فيها الفلوس، انا بس ما صدقت حاجة تفصلنا عن جو المذاكرة مش أكتر.

رد عمر بسخرية واضحة:

- وانت الشهادة لله يا اخويا عينك وارمة من المذاكرة ومعدتك منفوخه من أكل الكتب فعلا، اسلك يالا وقول في اي.

شعر أحمد بعدم وجود جدوى في إخفاء الحقيقة وقال:

- خلاص يا عم انت كشفتني كدا، المهم إني هقابل أماني ف عشان كدا، ومتدخلش ف نصايح.
- سبحان الله ياخي، لما بقول مش مصدقك بتطلع كداب فعلا، مش هقولك إني فرحان لأن انت عارف رأيي وهفضل معترض لحد ما أشوف حاجة رسمية تكون صح وحلال... ساعتها هفرح.
- يا صاحبي متقلقش قريب هتسمع أخبار حلوة، وبعدين سيبك من الشعارات دي، كل واحد حافظ كلمتين بيفضل يرددهم لحد ما تجيله فرصه وبينسى الكلام دا، انت بس بتقول كدا عشان لسه محدش زغلل عينك.

- يا عم ربنا يعافينا من الوقوع في الحرام، وبعدين انت لسه وراك كلية وجيش وليلة كبيرة مستعجل على إيه من دلوقت.
- بقولك ايه يا ببلاوي أنا صاحي رايق متعكننهاش عليا وتقفلي اليوم، شوية وهعدي عليك البس على ما اجي، واعمل حسابك هفطر عندك.
- هات أكل معاك معندناش فطار.
- عندكم ومكسل تعمل ولا معندكمش.
- عندنا ومكسل أعمل فهتجيب فطار معاك وبيبسي.
- تمام.

بعد إنهاء المكالمة ذهب نوار ليحادث أماني مهجة القلب، يا لها من علاقة تجلب الألم للمعدة:

- بقولك يا عسل... إن شاء الله تيجي بدري بقا عشان عاملك مفاجأه.

بعد لحظات ترد أماني على الرسالة:

- مفاجأة اي.
- مش طالبة ذكاء ع الصبح، ما أنا لو قولتلك هتبقى مفاجأة ازاي يعني.
- نظرية برضه، ماشي بس أنا هاجي مع البنات مش عارفه هعرف اجي بدري ولا لا.
- اوك هستناكي سلام.

*****

للتنبيه على خطأ شائع... عند الدخول في علاقة ما غير رسمية وتحت المسمى الشائع الآن وهو الارتباط _بالاتفاق أن الارتباط غير الرسمي حرام وخاطئ، لكن لندرس الأمر باعتبار أننا أمام الأمر الواقع_ إذا لم نستطع التخلص منه تمامًا الآن فلنحاول تقنينه حتى يختفي تدريجيًا، الأمر الخاطئ الذي أريد التنبيه عليه هو أن كل اثنين شاركا في علاقة عاطفية يكونان في سعادة مشتركة من عذب الكلام ولطافته.

ولكن الأمر لا يقتصر على ذلك، فمثلًا إذا وصل الأمر حد التهادي، كيف سأعطيك هديتي؟ لا يوجد سبيل سوى مقابلتك، فهنا يبدأ الخطأ يتدرج للأسوأ، يعني من أنا حتى تقبلين هديتي؟ وإذا رآنا أحد فما تعليل الفعل؟

إن الأمر يظهر بشكل درامي ورومانسي فيُحكم عليه بالعاطفة، فيصير الجدل على كون هل أمر التهادي مقبول أم لا، وهنا سيصير الحديث بكلام عاطفي أمر مفروغ منه وتقرر بين الناس أنه طبيعي، المقصود أن العلاقات الخاطئة تجر بعضها، كان الخطأ في البداية مجرد الحديث، لكن بعد ما تطور الأمر إلى المقابلة صارت المقابلة خطأ ونُسي أمر المحادثات، وهكذا ينفرط العقد خرزة خرزة حتى تصبح الأرواح فارغة.

في تلك الحالة الحكم بالعاطفة واللعب على مشاعر المشاهد يزرع فيه أسئلة وجودية، إذا كان الأمر بهذا الجمال فلماذا هو خاطئ؟ فيصير إقرار الفعل أمرا مسلمًا به، والخطأ في تأديته بالشكل المناسب هو الخطأ، يعني سينقلب الخطأ على من لم يتهادوا، إذ سيصنفون بعدم حبهم لبعض، والأمر ساذج للغاية، من قال أن الحب خاطئ بالكلية، الخاطئ فقط هو عدم مراعاة الحلال والطريق الصواب للأمر، فما فائدة الهدايا إن افترقنا بسبب ظروف الحياة، وما الطائل من المحادثات العاطفية إن التقينا بأشخاص آخرين أكملنا معهم حياتنا، ولذلك فإن الهدف من اختيار الطريق الصواب من أوله هو المحافظة على دفء قلوبنا لمن يستحقها ومن سيكمل معها الطريق، وحينها فلنتفنن في إظهار حبنا لغيرنا، على الأقل هو معنا بدون قيود.

لكن نختار علاقات خاطئة تترك ندوبًا في القلب وذكريات سوداء إما لبشاعتها أو لحلاوتها التي يصعب الآن تكرارها، طرق مسدودة في النهاية، بسبب النظر تحت الأقدام وعدم إظهار الجوانب السيئة في الأمر، وإنما المحاولة الدائمة في تزيين كل فعل حتى تُخدع الأعين في السعادة الكاذبة، وتضل القلوب في حب زائف وواقع مؤلم.

قد يختلف البعض معي، ويقولون هناك من أمثال ذلك كثير يكتمل للنهاية، في الحقيقة هذه ليست حقيقة، ما بني على باطل فهو باطل، وإن نجحت علاقة أمام أعيننا فقد فشلت مئات العلاقات أمام أعيننا أيضًا، ولعل نجاح تلك العلاقة بعد الخطأ هو اكتشاف الخطأ ومحاولة تصويبه وأخذه في منحى حلال قد وافق الدين والأخلاق، فلعلنا لا نجازف من البداية ونأخذ الطريق القصير مرة واحدة وتحري الصحيح لا تزيين الخطأ.

*****

ذهب الأصدقاء للعرض مبكرًا قليلًا عن الموعد، من كان ينتظر هذا اللقاء هو عبد الرحمن، يريد أي فرصة لإقناع نور بحبه لها، يذهب في زاوية من زوايا المسرح شبه مخفية عن الأنظار، لكن عيون نور كانت تتبعه حين يلوح لها تذهب لرؤيته دون لفت الأنظار أيضًا، يبادر عبد الرحمن بالحديث قائلًا:

- ازيك، اي القمر اللي انا شايفه دا.

نظرت نور في الأرض واحمرت وجنتاها قائلة بصوت يكاد يُسمع:

- متحرجنيش بقا مبعرفش أرد على الكلام دا، المهم اي الحاجة دي عشان مش هينفع نفضل واقفين كدا.
- ولا تزعلي نفسك مش هطول عليكي، أنا بس كنت عاوز أديكي دا.

وأخرج خاتَما فضيًا يحوي فصًا من الكريستال أعلاه وأعطاها إياه قائلًا بابتسامة:

- هاتي إيدك ألبسهولك.

احمرت وجنتاها وثانية وأحنت رأسها في خجل، ولكم يزداد جمالها في تلك المواقف لترد بصوت هادئ جدًا:

- لا هات أنا هلبسه.
- يعني بعد دا كله مش هتخليني أمسك إيدك وألبسهولك، يا خسارة تعبي ومجهودي طول الوقت دا.
- معلش بقا استحمل، واحمد ربنا إني وقفت معاك كدا أصلا.

رفع عبد الرحمن حاجبه ونظر باندهاش واضح وقال:

- والله إيه كمية الغرور دي، حصلي الشرف يا سعادة الهانم إني وقفت مع معاليكي، خدي الخاتم اهو دي علاقة منيلة بنيلة.

ردت نور بملامح جادة قليلًا تحاول إخفاء ضحكتها:

- يعني مش عاجبك العلاقة بتاعتنا، يا عم خد الخاتم أهو وانا هروح ل أمي لا تقولي علاقة ولا بتاع.

ضحك عبد الرحمن من الطريقة الطفولية التي تحدثت بها وأخبرها أن ينصرفا حتى لا يلفتا الأنظار.

ذهبت نور للجلوس بجانب أصدقائها وهي تحاول إخفاء يدها ولكن أميرة لاحظت ذلك وبادرت بالاندهاش حتى ارتسم على محياها ابتسامة بلهاء تبدي إعجابها بالخاتم، مما جعل نور تشيح بنظرها في اتجاهات مختلفة بسبب خجلها.

- اي يا ريكو مش كان ارتباط اي وهبل اي، والله ووقعت يا جميل.
- بس بقا هعيط والله، وفين أماني دا وقت تمشي فيه وتسيبني لوحدي معاكي.

تضحك أميرة بشدة على موقف نور وعلى الموقف بالمجمل وتبحث بنظرها على أماني هي الأخرى لا تدري أين اختفت فجأة بعد ما قالت سألتقي بأحمد خمس دقائق وسأرجع.

- انت روحتي لعبد الرحمن وهي قالتلي هشوف أحمد وسيبتوني حزينة لوحدي هنا، يا شوية صحاب مش صحاب.
- دا انت البركة بتاعتنا يا ميرو وبعدين مش انت الي فضلتي تقولي موافقة موافقة وغفلتينا وقعدتي.

ردت أميرة بثقة بعدما وضعت قدم فوق الأخرى ورفعت رأسها لأعلى قائلة:

- عزيزتي المدربون لا يلعبون، أنا مش هرتبط زيكم بالطريقة الهبلة دي، انتظروني سأفعلها بشكل مدهش وستندمون.
- والله يا أميرة هتموتينا من الضحك ف مرة بطريقتك دي.

على الجانب الآخر أماني تقف مع أحمد يبادر أحمد سريعا بالكلام قائلًا:

- كويس إنك جيتي بدري، خدي بقا العلبة دي فيها حجات حلوة، أكيد مش أحلى منك، بس عشان تعرفي شوية من غلاوتك يا قمر، ويللا روحي مكانك عشان محدش يقول كلمة كدا ولا كدا، واه حلو الطقم دا عليكي.

تقف أماني مشدوهة من طريقته وطلباته السريعة وراء بعضها، وتبتسم بداخلها من خوفه من كلام أحدهم أو إطلاق الشائعات، كما ظنت أنه يحفظ بعض الكلمات ويحاول قولها سريعا قبل نسيانها، ردت مبتسمة:

- واحده واحده انت خايف تنسى الكلام ولا أي.

ضحك أحمد قائلًا:

- لا أنا عامل عليكي أنا غلطان يعني وبعدين مقبلش حد يقول كلمة عليكي (راجل اوي).
- بجد انا مش عارفة أقول أي على الهدية دي لو بنفع كنت ....
- حضنتيني أنا عارف.

ضحكت أماني:

- لا طبعا مش للدرجادي أنا كنت هسلم بس، بجد أنا فرحانة أوي.

رد أحمد بلطف:

- ربنا يقدرني وأفرحك دايما، يللا نروح خلينا نشوف هنقعد فين.

ذهبت أماني للجلوس بجانب صديقاتها صامتة لا تدري كيف ستتحدث ونظراتهم قد ظهر أنها ستخترقها محاولين كتم ضحكاتهم على مظهر أماني الصامت كما لو أنها بللت نفسها ولا تريد التحدث، حتى بادرت أميرة بملامح جادة وصوت هادئ كما لو أنها قاتلة تتلبسها الكاريزما، وقالت بنظرات ثابتة:

- اللي ف إيدك دا بالنص يا إما هقتلك ومحدش هيعرفلك طريق.

لم تستطع نور تمالك نفسها من مظهر الاثنين وانفجرت بالضحك حتى دمعت عيناها، ثم تبعتها أميرة بالضحك على الموقف، وأماني تحاول استيعاب كم البلاهة التي هم فيها، ترد أماني بعد استيعاب الموقف على أميرة قائلة:

- هحن عليكي حاضر عشان انت لسه سنجل بس.

ردت أميرة وعلامات الضحك على محياها قائلة:

- أنت بتذليني يعني؟ كل واحدة فيكم جايلها هدية ولا كأننا في الفلانتاين، والله وفسدتوا يا ولاد.
- آه هنبدء حقد أهو..

ردت أميرة بتعالي:

- انتظروني هيجي يوم وسأنتقم.

في أثناء حديث أميرة لوح محمد ناحية الفتيات كما لو كان يرحب بهم وأشار إلى أميرة كما لو أراد أن يخبرها شيئا، قالت أميرة لصديقاتها وهي تضحك من سرعة الموقف:

- طيب معلش يا جماعة هروح أشوف في ايه وهاجي أنتقم انتظروني.

قالت نور وهي تتنهد وتنظر بعيون لامعة كنظرة الجدة لأحفادها وهم يكبرون:

- ياااه الزمن بيجري، بنتنا أميرة كبرت يا ولاد.

ذهبت أميرة لتلبية نداء محمد وتبادلا أطراف الحديث، كان محمد خجلًا قليلًا فقد شعر أنه قد سبب لها بعضا من الإحراج، لكنه تمالك الموقف وأعطى لها علبة هدايا لم تكن كبيرة الحجم ولكنها ممتلئة بالحلوى وبعض الأغراض الأخرى لقد اندهشت في بادئ الأمر وقالت له:

- شكرا، بمناسبة ايه دي؟
- مش بمناسبة حاجة اعتبريها هدية تعارف، لو مش موافقة اعتبريها هدية إعجاب.

في وضع آخر كانت أميرة لترفض هذا الأمر ولكن لم تكن تريد أن تشعر بالغرابة بين صديقاتها.

- شكرا مرة تانية على هدية التعارف دي.
- معلش طولت عليكي ممكن تروحي دلوقت عشان محدش ياخد باله وعشان العرض هيبدأ.

بعد انصرافها ذهب عبد الرحمن لصديقه وقال له:

- بقولك قبل ما تبدأ شايف مين قاعد جنب أميرة.
- آه نور بس مش جاية عشانك أنا قايل لأميرة تيجي هي واصحابها.
- في الأول والآخر أنا اللي قايلك تكلم أميرة ازاي، بس عشان متتكلمش كتير بص على ايد نور.
- أكيد مش اللي ف بالي.
- لا يا نجم هو الخاتم اللي انت شاريه معايا، من النهارده مسمعش غير يا عبد الرحمن بيه.
- يابن الايه يا عبد الرحمن بيه، طب روح شوفلك كرسي خلينا نبدأ.

- عشان تتعلم من عمك يالا.
- طيب متوسعهاش وروح اقعد جنب أخوك.
- ربنا معاك عاوزك تهرني.
- قول يا رب.

صعد محمد على المسرح وفُتح الستار، والجميع جالس مستمتع بطريقته كل واحد رأى عالمه الخاص مما حدث من المفاجآت، الكل يرى بداية قصة حبه، والكل قد وقع في فخ السعادة المزيفة.

*****

من الأخطاء المنتشرة بين الشباب هي التحدي، أنا أعلم عزيزي القارئ أني أسلط الضوء على أمور غير منطقية في العالم المثالي الذي ترسمه أنت في رأسك، ولكن نحن لسنا في عالم مثالي أبدًا وأنا لا أبتكر مواقفًا من رأسي، أنا أنقل لك الواقع وأحاول إصلاحه معك. التحدي الذي ينتشر بين الشباب هو التحدي في الوصول للفتاة، لمّا خُلقنا من طباع الرجال الميول للنساء، يعني من سنة الحياة أن تكون المرأة أو الفتات مطلوبة ومرغوبة، فبما أن الفتاة غاية؛ سيتحتم وجود وسائل للوصول لها، وقد وُضعت لنا الوسائل المباحة ولكن فيها التزام، وأين الاستمتاع بالالتزام؟ وهنا ظهر التحدي، كيف سنستمتع بأكبر كم من الفتيات؟ وكيف سيتم تحديد الفريسة؟! هذا والله تفكير الكثير، وتحدي الكثير من الأصدقاء، كيف سنصل لتلك الفتاة؟!

الجميع يعرف مبادئ الصحيح والخاطئ، ولذلك في البداية لتحديد الفتاة المراد الوصول لها، تقع العين على أكثرهم بعدًا عن المبادئ وطبعًا يحصل بالحكم على الظاهر، كما حدث في بداية القصة: "أنت مش شايف لبسها؟"، وهنا بيت القصيد، لا أحد يسير في طريق الخطأ ويبحث عن جوهر الشخص، وإنما يضع انطباعه على ما يراه بعينه، والسيئة تعم، ربما تكون أنت جيد ولكنك تشبهت بأفعال السيءين فصرت مثلهم دون أخذ الاعتبار لشيء آخر، هذا وللأسف ما نعيش فيه.

ربما هي ترتدي لباسًا ضيقًا ولكنها لا تقبل أن تختلط بأحد، هنا لم يعد الأمر معتمدًا على قبولها، هي أصبحت هدفًا لمحاولات ستطول كثيرًا حتى تنجح إحداها، لأنها أعطت إيحاءً على كونها ممن يسهل الوصول لهم، هي أفكار فطرية موجودة في المجتمع، ربما سترفض مرة واثنين وعشرة، لكن سيتلاعب شيطان النفس برأسها يومًا، وستفقد الثقة بنفسها.

على جانب آخر إذا كان هناك من يوحي مظهرها بصعوبة الوصول لها كمن ترتدي مثلًا لباسًا يواري زينتها ويواري تفاصيل جسدها، لن تكون في أول قائمة الأهداف، فمظهرها يوحي بالصعوبة، والنفس لا تميل للبحث عن الصعب.

الأمر لا يثبت أو ينفي طبع أحد، فربما من تغطي وجهها وجسدها ربما تكون راقصة ومن كشفت جسدها ربما تكون متفجرة الأخلاق، لكن الفطرة السوية التي جُبلت على الستر ستحكم على الكاشفة جسدها بأنها سيئة وعلى الأخرى بالعكس، هذا ظلم الكثير من الناس وجعل عدد الفرائس يزداد، كلما زاد الانكشاف زادت الأهداف، فإن كانت الفتاة حسنة الخلق ولكنها توشحت بوشاح المجتمع الفاسد، فستكون من هذا المجتمع وستنهل من مضايقاته.

في كل المجتمعات هناك الحسن والقبيح، ولكن الاتباع يكون للأغلبية، ووقوع الأغلبية في الخطأ يجر الكثير خلفهم، وتفكير اللاحق هو أنه ليس من المعقول أن يكون كل هؤلاء السابقين على خطأ، وفي الواقع يمكن أن تكون أنت المحق وحدك، ولكن ليس برأيك وإنما بقواعد الحياة التي وضعها لك من خلقك.

في هذا الوقت جميعنا يعلم الصواب والخطأ ولكن لا أحد إلا من رحم ربي يمتلك القوة أو الجرأة الكافية لمحاولة تغيير الخطأ أو الوصول للصواب؛ لأن من يحاول السعي وراء الحق هو أول من يُنتقد كما لو أنه يرتكب جريمة، وأضعف الإيمان هو من يعمل بعمل المجتمع السيء ولكن بصورة أقل، وهذا ليس بحل وإنما هو تمهيد لفساد أكبر، فإن سألت من يفعل ذلك يقول لك نحن أفضل من غيرنا، وفي الواقع هو فقط تأخر قليلًا عن غيره وسيلحق به قريبًا.

على سبيل المثال، إن العلاقات في السر خاطئة وحرام، ولكن استصعاب الحلال سيحث الفكر على فعل الحرام ولتزين الأمر من الشيطان سيكون التفكير بأن الضرر هنا أقل، فمثلًا سنتكلم فقط وبعدما تتحسن الظروف سأتقدم لخطبتها، أو سنتحدث في الرسائل فقط لكن لن نتقابل.... وإلخ.

أفكار كثيرة مثل ذلك فقط لتزيين الخطأ كما لو أنه لا يحدث، وما ذلك إلا اتباع لخطوات الشيطان نهايتها واحدة، لكن النفس تجادل وتكابر فقط، وكلٌ يرى نفسه البطل الخارق الذي سيفعل ما لم يفعله أحد.

*****

لقد انتهت المسرحية على خير حال والجميع سعداء بتفاصيل اليوم كله، عند عودة الجميع انشغل كلٌ مع رفيقه فكان أحمد وأماني يتحدثان طوال الوقت كالعادة، وتقرب عبد الرحمن من نور بشكل أكبر حتى محمد بعد نجاح حفلته دعا أميرة لتشارك معه في المسرح، لتكون مسؤولة عن التنظيم مع الفريق، ولم تتواني في المشاركة فوافقت مباشرة.

الكل بدأ قصته وهو في قمة السعادة كحال جميع البدايات التي دائما ما تكون سعيدة، تمر الأيام سريعًا ويتحادث أحمد وأماني في أحد المرات فيقول لها:

- معلش يا أماني البيت عندي مشددين شوية على موضوع الفون دا ومش عاوزين إني أستخدمه عشان المذاكرة وكدا، ف ممكن مفتحش كتير.
- ولا يهمك يا حبيبي وقت ما تقدر تفتح هتلاقيني موجودة، وأهو كدا كدا مع بعض ف الدروس.
- ربنا يخليكي ليا يا رب، المهم هتجيبيلي ايه في الفلانتين.
- المفروض انت اللي تجيب انت الراجل مش أنا.
- لا أستغفر الله احنا مبنحتفلش بحجات الكفار دي.
- دلوقت حجات كفار لكن لو أنا اللي هجيب عادي.

- ما هو طول ما الحالة ناشفة متفكريش في هدايا.
- يا سيدي ماشي، حيث كدا بقا هستنى الهدية برضه.
- قولي يا رب.

حسنا عزيزي القارئ أعلم أن الأمر مر سريعا في الواقع لقد تقرب أحمد وأماني كثيرًا في الأيام السابقة ويعتقدان أنهما يحبان بعضهما، في الوقع أحمد كان يحبها ومستعد لفعل أي شيء في سبيل سعادتها، كان أكثر ما يستطيع فعله هو شراء الهدايا والحلوى، أو يلاطفها قليلًا وذلك ما كان يسعدها كما يعتقد وهو الأمر الذي يستطيع فعله براحة، وإنه لأمر رائع أن ترى ما يسعد غيرك وتفعله.

يذهب أحمد لصديقه عمر ليراجعوا بعض الدروس سويا، وكما هي عادته يحطم الباب على الرغم من وجود جرس للباب، لكن ماذا نفعل، يفتح عمر الباب قائلًا:

- ابويا بيسلم عليك يسطا وبيقولك معناش فلوس نجيب باب تاني.
- وهو انا جيت ناحية الباب يعني يا صاحبي.
- إحنا آسفين يا عم الباب هو اللي كان بيخبط على إيدك احنا هنربيه، أصل التشققات اللي فيه دي من الجفاف عشان مش بنسقيه، انما انت يا عيني بريء.
- يا عم طب أدخل طيب ونشوف الموضوع دا بعدين، هي دي معاملة الضيوف.
- دا انا اللي ضيوف وانت موجود، ادخل ادخل.

بعدما دخل الاثنان إلى الغرفة، بادر نوار قائلا:

- بص يا سيدي أماني عاوزه هدية لعيد الحب، وأنا الحالة ناشفة معايا، وعاوز أعدي الموضوع من غير زعل.
- أنا من رأيي بعد اللي حصل يوم راس السنة إنك متجيبش أي هدايا ف أي مناسبة، وهي تبوس ايدها شعر ودقن.

ينفجر أحمد ضاحكًا:

- ياخي متفكرنيش، هو كان يوم ما يعلم بيه إلا ربنا بس كان يوم حلو، المهم أعمل أي.

- فعلًا، هي غلطتي إني بسمع كلامك، وأروح معاك تحت التهديد لبيتها الساعة ١٢ بالليل وأفضل واقف ف الشتا عشان خاطر أم الرومانسية بتاعتك، أنا مالي يا عم.
- انت قلبك اسود يا ببلاوي انت لسه شايل من الموضوع دا.
- وهشيل ليه دا هما شوية شتا الساعة ١٢ بالليل والحكومة اللي كانت هتمسكنا مفكرانا حرامية، حجات تافهة بجد.
- يا عم اللي فات مات وبعدين مش أنا عزمتك بعدها، روق بقا وقولي أعمل ايه.

زفر عمر وجلس واضعًا قدم فوق الأخرى وقال في هدوء حكيم:

- من رأيي متجيبش وشايف إن دي فرصة، هي عارفة إنك مش بتتأخر ف حاجة على الرغم من إنك مينفعش تدفع فلوس وهي مش مراتك بس بشكل عام، انت دلوقت مش معاك فلوس، قولها إنك معرفتش تجيب هدايا عشان مش معاك فلوس وشوف رد فعلها، لو زعلت ف أظن كدا متكملش، لأن حاجة تافهة زي دي وحرام هي مستحملتهاش معاك، ولو عدت الموضوع عادي ومزعلتش، هشوف حاجة تانية أصل كدا كدا برضه أنا مش راضي على العلاقة الحرام دي.
- والله لولا إنك صاحبي وعارفك، كنت هقول إنك كارهلي الخير بالكلمتين دول، بس للأسف عارف إن نيتك خير، وعموما ماشي هعمل بكلامك.

قال عمر بنفس الوضع النرجسي:

- يبني أنا نصايحي دايما زي الفل، سيبك بقا من المحن الأوفر دا وخلينا نذاكر كلمتين.
- يا عم ماشي أنا هقوم أجيب حاجة نشربها، عندكم اي ف التلاجة.
- تقريبًا في عصير مانجا، هاته.

رد نوار بوجه متسائل:

- طب وانت هتشرب إيه.
- هو انت كنت رايح تجيب لنفسك من تلاجتنا ومش عامل حسابي معاك؟

- بصراحة أنا كنت هجيب ليا مكونتش عامل حسابك.
- طول عمري بقول إني مش هلاقي أوطى منك حقيقي.
- يا عم خلاص متعيطش هجيبلك ده انت قموصة.

*****

في محادثة بين عبد الرحمن ونور، ودائما ما يبادر عبد الرحمن بالحديث:

- ست البنات اللي مش عارف أنام من حبها.
- على فكرة انت أوفر جدا.
- هو عشان بحبك أبقى أوفر.
- آه احنا لسه عارفين بعض.
- عارفين بعض من خمس شهور وأزيد، وبنتكلم بالساعات كل يوم ولسه عارفين بعض؟ مش عارف ليه سعات بحس إنك مجنونة.
- متشتمش عشان مزعلكش يا عم انت.
- أوع الوحش بيزعق وبيهدد كمان أهو.
- على فكرة دي أقل حاجة عندي.
- طب عاوز أطلب منك طلب.
- اؤمرني يا قلبي.
- أنا يا حبيبتي مبشوفكيش غير تخاطيف، وانت مش راضية نتقابل، ع الأقل ابعتي صورة ليكي أحتفظ بيها، وأهو حتى أشوفها لما توحشيني.
- انت بتحاول تثبتني بالكلام يعني؟ عموما ماشي هبعتلك صورة واحده بس عشان بس أعرفك غلاوتك عندي، ومتحلمش أقولك بحبك دلوقت والكلام الأهبل دا.
- أي كلمة منك أصلا حلوة يا قمر انتي.
- انت أكتر حد نصاب في الدنيا.
- يا بنتي بحبك بلاش أدلعك.

أرسلت نور بعض الصور، مؤكدة عليه على ألا يراها أحد، لقد طمأن قلبها بوعده أن يحتفظ بهم لنفسه، لقد طالت محادثتهم قليلًا حتى استأذنت نور للذهاب لصديقاتها.

عند وصولها لمنزل أماني تطرق طرقات خفيفة لا تتجاوز الثلاث طرقات، في الحقيقة كلما أتذكر كيفية طرقها وطرق نوار تنتابني القشعريرة، فُتح لها الباب وكانت أميرة هناك أيضًا فجلسوا يتحدثون سويا.

*****

كان محمد وعبد الرحمن يتحدثان سويا حول المسرح الذي نظمه محمد، وكان محمد يريد أن يتفرغ قليلًا فقال لصديقه:

- بقولك يا صاحبي في موضوع كدا عاوز أعمله وقولت أقولك.
- ما تقول يا عم انت بتستأذن.
- أنا عاوز أسيب المسرح.
- انت بتهزر صح، انت يبني معملتش غير حفلتين والاتنين كانوا ناجحين اي اللي يخليك تسيبه دلوقت.
- بصراحة كانت فترة حماس فمكنش ف بالي أي حاجة وقتها، دلوقت زهقت وهخلي حد تاني يمسك مكاني.
- في حد زعلك ولا أي.
- لا بس عاوز أفضي دماغي شوية وألحق أذاكر شوية قبل الامتحانات، أهو أدخل أي كلية بدل ما أعيد السنة وهو كان واخد وقت كبير مني.
- أنا مش مؤيد القرار ده نهائي، انت المفروض نجحت ف حاجة كمل فيها، أميرة عارفة الكلام دا؟
- لا انا قولتلك انت بس، هقولها بعدين.
- ربنا معاك في اللي تختاره، ويا رب يكون اللي تختاره هو الأحسن ليك.
- إن شاء الله، انت عامل ايه مع نور.

رد عبد الرحمن وابتسم ابتسامة تنم على الخبث قليلًا:

- زي الفل، أكتر واحدة تطول معايا.

- بص يا صاحبي، أنا كنت معاك في كل حاجة بس المرة دي أنا مش عاجبني الوضع، وشايفها بتحبك وهي باين عليها طيبة، يا إما تسيبها لحالها أو تاخد خطوة جد.
- إيه يا أبو حميد ضميرك صحي فجأة ولا إيه مالك يا صاحبي زعلان من ايه.
- ما تتكلم يا عم جد بقا، أنا بقولك اللي حاسس بيه، أنا مش مرتاح للموضوع دا.
- مفيش حاجة هتحصل، وبعدين انت أول مرة تقول كدا، كل المرات اللي فاتت كانوا بنات بلاستيك يعني، وبعدين هو أنا نمت معاها دا هما صور، متع نظرك يا عم كلنا هنموت.
- أنا مش معاك المرة دي، لو مش بتحبها سيبها لو مش هتسيبها ع الأقل متطلبش حاجة غلط، أنا كرهت كل اللي كنا بنعمله فجأة كدا، ومش عاوز أعمل حاجة غلط تاني.

رد عبد الرحمن باديًا على وجهه علامات الضيق:

- انت قعدت مع حد لعب ف دماغك ولا إيه، فوق يا صاحبي واظبط نفسك كدا.

رد محمد بعدم اكتراث وخيبة أمل:

- براحتك أنا قولتلك اللي عندي، انا هكلم أميرة اقولها ع المسرح وهروح أشوف حاجة أذاكرها... سلام.
- سلام...

*****

في منزل أماني كان الاصدقاء يتبادلون أطراف الحديث وكيف يمر الحديث بدون الكلام عن علاقاتهم لتبادر أماني قائلة:

- طبعا كل واحده اتشغلت مع حبيبها وبطلتم تذاكروا، وكمان بطلتم تعبروني.
- مقدرش انشغل عنك يا حبيبتي. "نور"
- أخبارك إيه مع عبد الرحمن. "أماني"
- من غير محن... مدلعني على الآخر شكلي كدا بحبه. "نور"
- انت متفقة انت وأميرة ولا إيه لأنها لســـه قايلة نفس الكلمتين الملزقين دول ومدلعني ومهنيني وبتاع. "أماني"

- يعني هو أحمد اللي مزهقك. "نور"
- لا احنا كويسين مع بعض بس مبنتكلمش بتلزيق بالأوفر بتاعكم دا، كلامنا عادي. "أماني"
- يعني بيحبك؟ "نور"
- آه بس مش عارفة حصل حاجة غريبة النهارده بيقولي مش هيعرف يكلمني عشان مش هيكون معاه الفون كتير وعشان يذاكر للامتحانات اللي قربت، وأهله شادين عليه. "أماني"
- زعلتيه وعاوز يمشي بس بشياكة ولا أي خايفة أظلمه بصراحة. "أميرة"
- منا كمان مش عاوزه أظلمه، بس كدا كدا الفلانتين جي، لو مجابش هدية يبقى عاوز يطفشني. "أماني"
- طب انت مزعلتهوش وعلاقتكم حلوة ليه مش بتلتمسي العذر وممكن ميجيبش برضه هدية عشان مش معاه فلوس إيه المشكلة الحجات دي مش مقياس يعني. "نور"
- مش عارفة يمكن أنا اللي مبحبوش أو بحبه بس مش عاوزاه يبعد. "أماني"
- دي كدا قلة ثقة ودي حاجة مش كويسة. "نور"

يقطع حديثهم الشيق رسالة على هاتف أميرة من محمد قال فيها: " ازيك يا ميرو.. أنا هقول الموضوع على طول، أنا نويت أسيب المسرح عشان عاوز أهتم شوية بالمذاكرة والامتحانات كلها أربع شهور أو خمسة بالكتير، ومش عاوز أعيد السنة وقولت لازم أعرفك حاجة زي كدا.

ردت أميرة في الحال على الرسالة:

- مش شايف إنك تسيب المسرح ده قرار غلط شوية يعني ممكن تذاكر جنبه.
- صعبة، وأصلا زهقت كانت فترة حماس بس زهقت وعاوز أريح دماغي شوية.
- اللي تشوفه انت أدرى بمصلحتك، بس كدا مش هنعرف نتقابل تاني؟
- معلش هنيجي على نفسنا شوية، أنا الموضوع مضايقني أنا كمان بس نستحمل وكدا كدا نتكلم هنا، ونشوف بعض ف الدروس.

- اللي تشوفه يا حبيبي أنا معاك.

وأنهت حديثها معه ورجعت لأصدقائها قائلة:

- محمد بيقول هيسيب المسرح، عاوز يريح دماغه ويركز عشان يذاكر قبل الامتحانات، معرفش هو فعلا عاوز كدا ولا كل دا عشان منتقابلش. "أميرة"
- هو ايه التفكير السلبي بتاعكم أنتم الاتنين ده، وبعدين محمد مسرحه ناجح وفرقته كاملة مش هيتخلى عن دا كله لمجرد إنه ميكلمكيش أو ميشوفكيش، هو ممكن فعلا عاوز يركز على مستقبله الدراسي، نعذر الناس شوية. "نور"
- عندك حق يا نور ممكن دي قلة ثقة، أهي غلطة هنصلحها إن شاء الله. "أماني"

كان الجو مليء بالكآبة قليلًا ولكن نور قطعت الحديث ليقوموا بالدراسة قليلًا فهناك مستقبل سيضيع.

*****

في رسالة على هاتف نور من عبد الرحمن كان قد بدأ كلامه قائلًا:

- عسولتي عاملة اية.

ردت نور بتلقائية:

- بطل نصب واتكلم زي الناس، أنا الحمد لله تمام.
- يا بنتي أنصب ليه انت حبيبتي ونور عيني.
- طيب بما إنك داخل حنين كدا فأنا كنت عاوزه أقولك إني بصراحة كدا يعني بحبك ومتخيلتش بصراحة إني أحبك أبدا.

رد عبد الرحمن متظاهرًا بفرحة عارمة:

- يا فرج الله أخيرا قولتها دا انت تعبتيني يا شيخة والله.
- أهو حسيت إني عاوزه أقولك كدا، مش متخيلة حياتي من غيرك.

كانت نور تتحدث بتلقائية فهي قد رأت علاقات صديقاتها وظنت أن علاقتها هي الأفضل، قال عبد الرحمن ممازحًا:

- هننصب أهو.
- متقلدش كلامي وأنا أصلا غلطانة إني قولتلك حاجة.

- لا خلاص على ايه دا أنا ما صدقت.
- طب عاوز أخد رأيك ف حاجة.

وأرسلت له بعض الصور الخاصة بها بأكثر من مظهر وبمختلف الملابس وقالت له:

- ايه أحلى صورة فيهم.
- بصراحة زي القمر.
- أنا عارفة أنا بتكلم على اللبس.
- نرجسية أوي وبعدين معقولة تبقي موجودة وأشوف اللبس، دا عيونك سحراني.

لقد قال جملته وكانت عيناه تتفحص كل نقطة في الصورة، كل سنتيمتر من جسدها كان يتفحصه، فهي لم تكن ذات أزياء واسعة تخفي معالم جسدها في الواقع، قالت نور:

- على فكرة انت بتجامل.
- لا بتكلم جد، المهم عاوز أشوفك لأنك وحشتيني.
- طب ما انت لسة شايفني من كام يوم.
- ووحشتيني تاني أعمل ايه مش بمزاجي.
- طيب يا سيدي عاوز نتقابل امته.
- غريبة وافقتي بالسرعة دي.
- حبيبي بقا ومش عاوزة أزعلك.
- روح قلبي يا ناس خلاص شوفي انت فاضية امته ونروح نتغدى سوا.
- قشدا.

*****

"حبيبي ومش عاوز أزعله"

بعد الدخول في علاقة ما وأثبت أحد الطرفين حبه بطريقة ما من المتعارف عليها بين المجتمع الخاطئ، كأن يتحدث بالكلام الجيد أو يأتي بالهدايا أو يواسي وقت الحزن، كل تلك الأمور أصبحت دليلًا على الحب، بعد فعل تلك الأمور والتي هي من السهل جدًا أن يفعلها أي أحد، يتولد من هذه الأفعال ثقة وهمية، يأتي لأحد الطرفين هاجس أن يكون الطرف الآخر لا يحبه بالشكل الكافي أو لا يحبه أصلًا، وكل هذا وهم، ولكن سرعان ما تختفي تلك الفكرة ببضع كلمات لطيفة.

الواقع أن النفس المنغمسة في الأخطاء تعلم جيدًا حقيقة الأمور الصحيحة، ويكون هناك آخِر شعور بالواجب والالتزام به يضيء للحظات ويختفي لعل الانسان يرجع عن أفعاله، فمن يتمسك بهذا الوميض له القدرة على التخلص من عباءة السوء.

هل يمكن أن يتواجد الحب دون زواج؟ في الواقع نعم، ولكن التمادي في الخطأ يقتل هذا الحب، في العلاقات خارج إطار الزواج يكون المرء حريصًا على إسعاد شريكه، فليس هناك قيود قد تجعله يبقى، وهذا ما يزيف الحب، مجرد أني أريدك أن تبقى سيخلق مني متملقًا كبيرًا لا يتردد في إظهار الود أبدًا، وسيأتي وقت سيكون من الصعب التعرف هل أنا فعلًا مرغوب فيّ أم لا.

هناك دلالات على زيف الحب، لأن من فطرة الإنسان أن يعلم عظيم هذا الشعور، ولا يترتب عليه أمر خاطئ إلا كان مسماه مزيفًا، فمثلًا أنا أحبك؛ سأسعى لأتقرب منك فيما أحله الله، وإذا لم أفعل فهو زائف وسيكون لمجرد إرضاء شهوة، أنا أحبك سأخاف على عرضك وستر، فإن فعلت غير ذلك فهو زائف وسيكون لمجرد إشباع رغبة، وهكذا في مختلف الأمور.

شرب الماء قد يحتمل أن يكون حرامًا في بعض الأمور، فلو شربت في رمضان متعمدًا فقد ارتكبت جريمة وكبيرة، وكذلك في العلاقة القرب أمر جيد كما هو شرب الماء أمر جيد، ولكن القرب في الحرام كشرب الماء في نهار رمضان عمدًا، الفعل واحد والظروف تختلف.

لكن في غمار الحياة والأمر الواقع الذي صـرنا فيه صـارت الخدعة الممتعة عبارة عن إشـعال فتيل شـمع، تحرق المبادئ ببطء، وفي هذه الخدعة نحن نعطي الحب حقه ولكن لا نعطي الحب نفسه.

يعني أننا نفعل كل الدلائل على الحب لأننا وضعنا شروطًا وكيفية من فعلها فهو محب ومن لم يفعله ليس كذلك، وهنا صـار الحب المتعارف عليه عبارة عن قواعد تتكرر لا أكثر وهذا معنى نعطي الحب حقه.

أما المشاعر الحقيقية التي تحفظ وتصون وتجر بنا إلى طريق الصواب والخير ليست من المتعارف عليها ولا قواعد لها يمكن تحديدها؛ فهي أمر فطري، وهذا هو الحب الحقيقي الذي لا نعطيه.

والله إن ارتبط الحب بمحرم فلا ذرة حب فيه، وما كان هناك محب يقبل الأذى لمن يحب، سواء أذى في دينه أو دنياه، إن المحب لحريصٌ أشد الحرص على حبيبه ليجتمعا في الجنة لا أن يتفرقا بعد الموت.

*****

الأيام تمضي سريعًا وبالكاد يستطيع أحمد الحديث مع أماني بسبب عدم وجود هاتف معه، لكن حين يحصل عليه أول ما يفكر فيه هو مراسلتها وهو ما حدث:

- ازيك يا أماني، وحشتيني جدًا على فكرة.
- وانت كمان بصراحة وحشتني بس هو احنا هنفضل كدا كتير، احنا بنفضل بالأيام مش بنتكلم واحنا كنا بنتكلم كل يوم، وكمان معدناش بنتقابل صدف حتى.
- والله يا حبيبتي غصب عني، أنا بمسك الموبايل بالعافية.

ردت أماني بفتور:

- تمام يا أحمد ولا يهمك.

قال أحمد متسائلًا:

- هو انت زعلانة مني؟
- لا عادي محصلش حاجة.
- يعني بجد مش زعلانة؟
- ما قولت خلاص يا أحمد مش زعلانة.
- طب اهدي بس يا حبيبتي متعصبة ليه.
- هو ايه اللي متعصـــبة ليه... هو أنا كل ما أكلمك كلمة تقولي غصـــب عني وأهلي شادين عليا وكل شوية تطلعلي بحجة.
- بس أنا مش هكذب يعني، أنا بقول ظروفي.
- خلاص يا أحمد حصل خير مفيش حاجة.
- اللي تشوفيه أنا آسف كنت مفكر هلاقي رد فعل غير دا... سلام.
- سلام.

*****

كيف لطرفين المفترض أنهما يحبان بعضهما أن يختلفا لمثل هذا الأمر التافه أو لا يستطيعان تقدير ظروف بعضهم البعض؟

في الحقيقة، تذهب كل دلائل الحب أدراج الرياح إذا اهتزت الثقة، الثقة لا تكون عمياء في هذه المواقف، فدائمًا ما يكون العقل مشغولًا بفكرة عدم التقيد وأنه بسهولة يمكن أن يبتعد أحدهم بلا سبب وجيه، ولذلك تكون الثقة دومًا على حد شعرة، إذا قل ما يقومها من اهتمام أو قرب أو لقاء أو غيره تداعت وأصبحت مثل نسج العنكبوت، كيف تتم علاقة وتكتمل بهذا الوهن؟

ولذلك يحاول الطرفان دومًا تدعيم هذه الثقة بأي شيء يؤكدها ولكن لا شيء يبقى على حاله؛ فيتولد خوف في النفس، وكم يكره الانسان أن يظهر خوفه، فإذا شعر أنه في موقف قد يظهر ضعفه صرخ... لتكون صرخاته أخر دليل يعبر به عن قوته.

وتضارب المشاعر بين الخوف والثقة والحب وغيره قد يؤدي إلى إنهاء علاقة على أسباب تافهة، ولذلك اختيار الطريق الصحيح من البداية يجعل في الأمر شيئًا من القيد والذي يساعد على تدعيم الثقة بأشياء ليست واهية ولا تقل مع الوقت إلا بشروط أو أمور غير محتمل حدوثها كثيرا، فوالله إن الأمر لفيه صيانة لقلوبنا ولكن طريق الحق دائما مليء بالأشواك فلا يمكن أن يصل إلا صادق.

*****

يذهب أحمد ليحكي لصديقه المفضل ما حدث معه وأماني، فمن غيره سيتحدث معه، وبعد ما أ خبره بما حدث بالتفصيل قال له عمر:

- أنا شايف إنك تبعد وتقفل الموضوع على كدا، أصل بجد الموضوع أتفه من إن يحصل عليه خناقة، وبعدين الموضوع بتاع الضغط على الكل فالمفروض هي أكتر حد يفهم الموقف دا.
- هو كلامك صح بس مينفعش من أول موقف كدا أبيع يعني.
- يا صاحبي هو مش بيع، انت عارف إن الموضوع من أوله غلط والعلاقة بالشكل دا هشة وكل شوية هتتخانقوا على حجات أكتر بدون سبب، وكل مرة انت مش

هتطلعها غلطانة عشـــان متكونش انت البياع، وأنا متأكد إنك هتصـــر تكمل عشان تعاندني بس وتثبت إنك صح وتقدر تكمل عادي، بس انت هتأذي نفسك كدا.

- هو أنا فعلا هعاندك، بس برضـــه مش عاوز أبعد يمكن هي زهقانة ف طلع فيا، قصدي مش لازم أتلكك يعني للغلطة دي.
- انت حر بس انت عارف اللي في قلبي، انت بتعمل حاجة حرام، بتحبها روح اتقدملها غير كدا متكلمهاش، أنا مش كارهلك الخير بس دي كلها ذنوب ف ذنوب.
- إن شاء الله خير هحط كلامك في دماغي.
- مفيش فايدة أنا عارف، عدي عليا النهاردة نحل شوية امتحانات.

*****

"أصعب الأوقات التي تمر علينا، هي التي يخبرنا العقل فيها أن نبتعد والقلب يخبرنا أن نكمل"

(The most difficult times which we see, when the mind prefers get away while the heart needs continuing.)

(3)

هناك دائمًا فرصة للتغير واختيار الصواب في مرحلة ما، يسمى أمر الرجوع للطريق المستقيم بالتوبة، وهي لا تقتصر على أحد بعينه أو على زمان محدد، يمكنك دومًا التوبة ولا تكترث لنقد أحد فلتسع دومًا للسير في الطريق الصحيح.

في وقت سابق قابل محمد صديقه أنس كان أنس شابًا على خلق ودين نحسبه كذلك، كان يعلم من علوم الدين مالا يسع للمسلم أن يجهله، شاب خلوق بشوش، ناصح يحب الخير للغير، لكنه على الحياد من المجتمع في الغالب، عندما تقابلا وتبادلا السلام وقف أنس ناصحًا له قليلًا قائلًا:

- ازيك يا محمد أخبارك.
- الحمد لله بخير والله.
- يا رب يديم عليك النعمة، عندك وقت نتكلم فيه مع بعض شوية.
- طبعا اتفضل عنيا.
- انا هقول كلمتين بس كدا في السريع نصيحة من أخ لأخوه، وأنا مش أحسن منك ولا حاجة، بس لعل الكلمتين دول يكونوا في ميزان حسناتنا، أنت عارف إني مش مختلط بالشباب كتير في الدفعة وكدا بس بلاحظ الشخصيات يعني وعارف تعاملهم، وعارف إنك حد كويس وعبد الرحمن برضه حد كويس، بس يعني في شوية حجات كدا بسيطة مش حلوة عشانكم.
- خير يا رب زي أيه.
- يعني مثلًا عبد الرحمن كذا مرة يقف مع بنات في الشارع ولبسه مقطع وسلسلة وحجات لا تليق بشاب مسلم، وانت صاحبه وأكتر حد تقدر تنصحه، وانت برضه في المسرح كنت بتقف وتسلم، ودي أمور حرام كلها، أنا بس بتكلم على حجات ظاهرة للعوام، كان الأفضل إننا نتجنبها، في الأول والآخر احنا جايين الدنيا نعبد ربنا.

- عند حق، بس احنا مش ماشيين على الصراط المستقيم يعني عشان نبقى واقفين على الحجات البسيطة دي
- ربنا يهدينا جميعا، وأكيد احنا بنعمل غلطات كتير بس الهدف اننا نقللها حتى بأبسط الأمور أصل هنتجاهلها عشان بنعمل غلطات كتير غيرها ف دا معناه اننا هنعمل غلطات أكتر، فالواجب علينا نقلل ونبطل اللي نقدر عليه، وحتى الحجات اللي قولتلك عليها دي مش صعب نغيرها.
- والله تسلم يا غالي، أنا فعلا الفترة اللي فاتت بحاول أعمل حاجة صح في حياتي.
- انت بتصلي يا محمد؟
- تخاطيف يعني الجمعة مثلًا وكام صلاة فنص الأسبوع وكدا.
- طيب أهم حاجة صلاتك، متفوتش فيها فرض متنامش فيوم وانت فيه صلاة مصليتهاش، لو بتموت صلِ وموت، لكن دي أهم حاجة فحياتك.
- حاضر إن شاء الله هاخد بكلامك ويا رب ربنا يهدينا جميعا.
- ربنا يرزقك الجنة يا صديقي.

لقد كان محمد يريد ترك المسرح وحياته السيئة يريد أي سبيل ليتغير لقد كان يحتاج فقط دافعا صغيرًا وقد وجده وعسى أن تتغير حياته بعدها.

*****

راسلت أميرة محمد في صباح يوم ما قائلة:

- مش معبرني ليه يا أستاذ انت، هو أنا لازم أتخانق كل شوية.
- لا يا حبيبة قلبي مقدرش والله، بس بحب انت تبعتي بفرح برسالتك.
- طب متفرحني أنا كمان ولا انت تفرح لوحدك.
- طب ما أنا لسه مفرحك وجايبلك شاورما أهو، انت زي القطط كدا ليه.
- انت هتذلني على الخمس سندوتشات اللي جبتهم، يا سيدي شكرا.
- لا ذل ولا نيلة هسكت خلاص.
- طب تعلالي عاوزاك في موضوع.

- خير يا رب.
- كنت واقف مع بنات امبارح ليه؟
- وانت شوفتيني امته.
- متغيرش الموضوع أنا ليا عيون في كل حتة.
- مفيش كان حد بيسأل على المسرح وقلتلهم إني سيبته يعني وعرفتهم يكلموا مين عليه.
- طيب متعملش كدا تاني عشان بتضايق.
- بتغيري عليا ولا ايه.
- أيوة بغير وبجد بتضايق، أنا كلمتك بالراحة دلوقت بس بعد كدا مش هسكت وهتغابى.
- يولا يا شرس انت.
- ماشي هزر براحتك خالص.
- ما تيجي أعزمك على الغدا بكرة.
- انت كدا بتثبتني يعني، طيب تمام.
- اشطا نلتقي غدا.

*****

في بعض الأحيان أتعجب من دهاء الشباب، ووجود مبرر دائم لكل أمر، حين يراقبه والديه يتحجج بانتهاك الخصوصية، وحين يثق فيه والديه يرمي بثقتهم عرض الحائط، وليس من العادل أبدًا أن يكلّف الآباء بالسير خلف أبنائهم، حتى عند السؤال فالأبناء بارعين جدًا في الكذب، هل سنهدم المجتمع ونهدم ثقة الآباء بأبنائهم أم سيحفظ الأبناء ما تعب آبائهم في بذله من التربية؟ إن قيم المجتمع تذهب للهوة بسبب انتشار خطأ بسيط يجر ورائه جهنم.

ذهب محمد لمقابلة أميرة كما اتفقا لتناول الغداء حين التقيا بادر قائلًا:

- ايه القمر دا.
- لا مبتصالحش كدا، الكلام دا مبيدخلش دماغي.
- يعني بلاش أقول كلام رومانسي يعني.
- هو ايه الرومانسية في الكلام... ما الكلام حافظينه لكن الرومانسية اللي بجد هي مثلًا فرخة مشوية بحنية، أو ربع كفتة على شكل قلوب، لا خليه نص، أو مثلًا بيتزا حجم كبير، هي دي الرومانسية اللي بتطبطب على القلب بجد.
- .....
- ايه مش بترد ليه.
- حاسس إني بحب فرس النهر مش بنت.
- بس أنا رفيعة.
- هو دا اللي مجنني بتاكلي ومش بيبان عليكي.
- احسدونا على مميزاتنا بقا، قل أعوذ برب الفلق.
- تعالي ناكل هي المعرفة باينة من أولها.
- انت ندمان على معرفتي؟ والله أزعل وأجيب ناس تزعل.
- مقدرش أقول كدا طبعا، دا أنا أكني في الجنة.
- رجعنا للكلام الغريب تاني أهو.

سنتجاوز قليلًا وقت الغداء فهو مشهد لا يناسب الأطفال، يمكن التعبير عنه بأسد لم يأكل منذ أسبوع، هذا بالنسبة لأميرة أما محمد فهو الأطفال.

*****

كان عبد الرحمن ونور على موعد للقاء أيضًا اتصل عبد الرحمن بنور:

- الو ... انت فين؟
- بلبس ونازلة أهو هنروح فين.
- هقابلك عند المدرسة ونمش من هناك

- تمام خمس دقايق وهكون هناك.

.....

بعد قليل جاءت نور متأخرة عن خمس دقائق فقال عبد الرحمن بقليل من الانفعال:

- اتأخرتي كدا ليه
- كنت بلبس الكوتشي ونازلة.

نظر عبد الرحمن عند قدمها وقال:

- بس انت مش لابسة كوتشي.
- ما انا عارفة بس هي بتتقال كدا لما حد بيتأخر على ح.
- أنا مش هرد بجد، تعالي هنروح نتغدى ونقعد على النيل شوية.
- أوع رجلك والرومانسية.
- هو انت عبيطة؟
- يعني بعد العمر دا كله ولسه بتسأل.
- بجد أنا مش هرد المرة دي.
- يا سيدي خلاص دا انت زعلك وحش أوي.
- هنروح المطعم اللي قولتي عليه.
- يلهووي على الاهتمام... لا بجد قلبي الصغير لا يتحمل.
- .....
- خلاص همشي ساكتة أهو.

بعدما أنهو غدائهم وذهبوا إلى ملتقى العشاق وملاذ ذوي العقول العميقة وجاذب كل فئات المجتمع، وهو نهر النيل، وكل حبيبين يجلسان في مكان خاص بهما يتبادلان عذب الكلام وكل واحد عينيه تشع قلوبًا حمراء، مع بعض التسالي مثل المكسرات أو الذرة، ولا أدري ما الرومانسية في الذرة حقًا، ولكن حين أتزوج سأذهب أنا وزوجتي لأفعل ذلك وسأخبركم إن كتب لي البقاء.

قال عبد الرحمن ليفتتح الحديث:

- ايه رأيك في الجو.

- لا كويس يجي منك، بتعرف تبقى رومانسي برضه.
- لعلمك دي أقل حاجة عندي انت مش مدياني فرصة بس.
- يبني دا اسمه محن أنا عاوزاك تجمد شوية كدا.
- مش عارف ايه اللي مصبرني على فصلانك دا.

قالت نور في غرور بادٍ على وجهها:

- بتحبني... وانا للأمانة أتحب جدًا
- هاتي ايدك.
- ايه هتعضني ولا ايه.
- يبنتي انتي مجنونة... احتا قاعدين على النيل والجو جميل فلازم أمسك ايدك.
- قاعدين عالنيل والجو جميل... أوع الشعر يا عم الحج.
- هستحمل برضه الفصلان ده، هاتي ايدك.
- امسك يا عم خدلك شوية بركة.
- جمايلك مغرقاني، مش هعرف هفضل عايش لحد ما أردهم ولا هموت بجلطة بسببك قبلها.
- يا جدع متقولش كدا انت زي أخويا برضة.
- هاتي الذرة دا كدا، قومي روحي.

تضحك نور على الموقف وتقول:

- يا سيدي بهزر معاك، دا انت حبيبي.
- ايه اللي هناك دا.

تنظر نور في الاتجاه الذي أشار اليه عبد الرحمن وقد كان قاصدًا أن يضللها ليستغل هذا الأمر ويطبع قبلة على خدها، احمرت وجنتاها من أثر الصدمة، وتصبب جبينها عرقًا، لم تتكن تتوقع ما حدث، ازدادت نبضات قلبها بسرعة رهيبة وشعرت بنشوة في جسدها، أمر لطيف مع شخص تحبه، بدأت تتكلم بكلام غير مفهوم وتتمتم متلعثمة، فما كان منه إلا أن سحبها إلى كتفه وأمال رأسها وقال لها (على فكرة بحبك).

انتهى اليوم ورجع كل لمنزله، تحدث الأصدقاء على مجموعة الواتساب لكن لم تكن أماني نشطة فجلست نور وأميرة يتحدثان.

- هي أماني فين، بقالنا كتير بنتكلم والرسايل مش بتوصلها غريبة يعني. "نور"
- مش عارفة هتلاقيها اتخانقت مع أحمد تاني فقفلت. "أميرة"
- حتى لو مزعلها مكنتش هتقفل كدا، هتصل عليها. "نور"
- هي فتحت خلاص أهي، ايه يا عبقرينو فينك من بدري. "أميرة"
- مفيش كنت نايمة شوية بس. "أماني"
- مش عوايدك يعني تنامي في الوقت دا. "أميرة"
- عادي يا بنتي كنت مصدعة شوية وقولت أريح، أنتم عارفين داخلين على امتحانات وهنتهدل شوية. "أماني"
- اه صح نسينا إنك دحيحة. "نور"
- عقبالكم، المهم ايه الأخبار؟ ما التفاصيل التي فاتتني في علاقاتكم اللعينة. "أماني"
- يعني ايه. "أميرة"
- يادي الغباء، عاملين ايه مع محمد وعبد الرحمن. "أماني"
- كنت زعلانة منه فعزمني على الغدا النهاردة. "أميرة"
- أي دا بجد؟ عبد الرحمن برضه عزمني النهاردة على الغدا وقعدنا على النيل. "نور"
- وطلعتم ازاي من البيت انت وهي. "أماني"
- أنا قولت لماما أنا هروح عند نور. "أميرة"
- وانا قولتلها أنا هروح لأماني، يا لهوي على الكدب اللي احنا فيه، دا احنا شياطين. "نور"
- الله يسهلكم ولعانة معاكم، أنا اللي ولعانة فيا. "أماني"
- ليه بس مالك. "نور"
- مفيش جديد أنا وأحمد مش بنتكلم كالعادة هو مش بيفتح وأهله شادين عليه وبلا بلا بلا. "أماني"

- اهدي يا أماني أنتم بتحبوا بعض فلازم تعذروا بعض شوية، هو أكيد مش هيزعلك قصد يعني. "نور"
- ما أنا مش عارفة هستحمل لأمته، أنا بحبه ولما بيقفل ومش بشوفه بيوحشني. "أماني"
- هانت يا عسل، كلها شوية والامتحانات هتخلص وكل حاجة هتكون زي الفل وطالما بتحبيه اعذريه واصبري شوية. "نور"
- ادي ريكو الهبلة اللي عمرها ما كلمت ولد، دلوقت بقت خبيرة في العلاقات، وأنا باخد منها نصيحة. "أماني"
- يبنتي والله أنتم معاكم جوهرة بس أنا اللي مش برضى أظهر مواهبي عشان الحسد بس. "نور"
- ضحكتيني والله يا نور، الله يرحم أيام ما كنتي بتقولي مفيش حاجة اسمها حب أصلا. "أميرة"
- أنا هقفل بقا يا بنات عشان هنام. "نور"
- تصبحي على خير. "أميرة، أماني"

في الحقيقة لم تكن تريد النوم هي فقط كانت بحاجة لتسترجع ذكريات اليوم، تتذكر حين كانت لا تعترف بالحب وحالها الآن، لا تدري هل ما تشعر به من سعادة الآن هو الحب أم ماذا، لقد شردت في عالم من الأحلام تتذكر القبلة التي طبعها على خدها، وكتفه الذي استندت عليه وكأنه لا يوجد في العالم أحد بسعادتها، لقد كانت سعيدة لدرجة لا توصف، حتى غفت من فرط خيالاتها.

كانت أماني على سريرها، شاردة في كيف تكون تحب ولا تلتمس العذر لمن أحبت، هل هي من ستدمر العلاقة أم ماذا، هل هي تحبه بشدة ولذلك لا تتحمل فكرة ابتعاده عنها، أم هي تشعر بالغيرة من علاقات صديقاتها الناجحة، كانت مشاعرها مضطربة جدًا، ولا تستطيع تحديد حالتها فعليا، لم تستطع التفكير طويلا حتى غفت من التعب مرة أخرى.

*****

كم هو أمر صعب جدًا أن تشتاق لأحدهم ولا تستطيع أن تذهب إليه وتضمه لصدرك، أو حتى تميل برأسك على كتفه فتزول جبال الهم من فوقك، كم هو مؤلم أن تحب أحدًا لا تستطيع رؤيته وقت ما تشاء، ولا تستطيع الاطمئنان عليه حين تريد، وما أجمل أن تكون مع من تحب في مكان واحد فتستطيع أن تملأ عينيك بالنظر إليه، وتملأ قلبك بابتسامته، وتشعر بالدفء في أوصالك حين تمسك بيديه، كم هي فكرة دافئة أن يمتلئ قلبك بشخص يكون لك العالم، ولا عالم غيره بينكما.

*****

كان محمد يحادث عبد الرحمن كما هو حديث الأصدقاء كالعادة وقد بدأ الحديث من عبد الرحمن قائلًا:

- ايه الأخبار يا تلميذي، عقلت شوية ولا لسة.
- على فكرة أنا مبضحكش على حد وأنا بحب بجد مش زيك.
- ايه مش زيك دي انت بتغلط فيا يا صاحبي.
- لا أنا مش بغلط أنا بس بقول إني بحب أميرة، مبضحكش على حد زي ما انت بتضحك على نور.
- أنا مضحكتش على حد، لا وعدتها بالجواز ولا قولت حاجة ومنفذتهاش.
- أومال نور اللي انت مفهمها إنك بتحبها وهي بتحبك دا المفروض يخلص بإيه.

رد عبد الرحمن هذه المرة بصيغة الحكيم المصاب بخيبة أمل:

- انت مش عايش معانا ولا ايه على الكوكب، هو انت مفكر كل اللي ماشيين مع بعض دول هيتجوزوا، كل دي تسلية، واحد عنده فراغ وواحده عندها فراغ، فكل واحد بيعمل حاجة جديدة، يعني كله بيتسلى بكله، هو دا الواقع، وكل اتنين كلموا بعض كان هدفهم من الأول تسلية، بس لما بيقربوا من بعض شوية يبدأوا يفكروا بقا في الجواز وبتاع، بس مفيش واحد بيروح يكلم واحدة وهيروح يتجوزها في الآخر، هي دي الحقيقة المرة.
- لا مش كل الناس في ناس بتحب فعلا ونيتها خير.

- واللي نيته خير دا بيكلم بنت ويخرج معاها في السر ليه، فين الخير ف دا.
- ما هو بيعمل كدا لحد ما يلاقي فرصة.
- دي الكدبة اللي كلنا بنكدبها، اللي عاوز فرصة هيخلقها يا صاحبي، احنا بنعمل الغلط وعارفين إنه غلط، بس عادي كله بيطلع مبسوط في الآخر.
- مين قال كدا، تخيل نور حبتك وانت سيبتها وضحكت عليها، فين الانبساط في الموضوع.
- يبني ما أنا مضحكتش عليها، أنا موعدتهاش بحاجة.
- انت قولتلها بحبك، والكلمة دي عهد.
- يا عم الشعب كله بيقول بحبك، انت اللي عايش في القرون الوسطى، وبعدين هو انا قولت لنور لما انت اتحديتني أكلمها أنما جي أخطبك؟ لا مقولتش ايه بقا اللي يخليها تحط أوهام في دماغها.
- أنا كنت فعلا غلطان غلطة عمري بالتحدي دا، وحتى لو انت مقولتلهاش أنا جي أخطبك، هي العلاقات دي المفروض يكون آخرها ايه.
- يبني قولتلك كله بيتسلى، هو انت فاهم إني أول واحد في حياة نور، ولا انت فاكر إنك أول واحد في حياة أميرة، ولا أي حد بيكون أول واحد في حياة حد دلوقت؟ متبقاش أهبل يا صديقي انت مش عايش وسط ملايكة.
- أميرة عمرها ما كذبت عليا ومش هتكذب في حاجة زي كدا، وبعدين أكيد فيه الحلو وفيه الوحش، مش كل الناس وحشة.
- الحلو حلو فكله والوحش وحش فكله، مفيش واحده هتكلم واحد وهي مقطعة سجادة الصلاة، ومفيش واحدة مبتسيبش فرض هتلبس ملزق، ومفيش واحدة عارفة دينها هتخرج مع واحد، اللي بتعمل حاجة غلط، بتعمل ألف حاجة غلط تانية، وكلنا عارفين اللي بنعمله.
- مش اللبس اللي يحدد أخلاق البنت، ولا كلامها مع حد، ولا كل الحجات اللي قدامك دي، لأن ممكن دي تكون غلطات غصب عنها، أو محدش علمها.

- صاحبي لو شوفت واحدة بنقاب أول كلمة هتقولها إنها محترمة حتى لو طلعت هي في الآخر رقاصة، أنا بقا مش هروح أشوف مين محترم ومين لا، واحدة كلمتني خلاص هكلمها، هي عارفة إنها غلطانة وأنا عارف إني غلطان.
- ولما انت عارف إنك غلطان بتعمل كدا ليه.
- ربنا يهديني.
- ما هو عشان ربنا يهديك لازم انت اللي تقرر إنك تتوب.
- يعني أنا دلوقت واحدة لابسة عريان، أو واحدة بتكلمني أقولها لا متعمليش كدا، ما كل واحد حر يا عم، وبعدين لو قولتلها متكلمينيش هتكلم غيري، وأنا طلعت منها بلاش.
- أنا بجد مصدوم من تفكيرك، يعني انت لما تتحاسب هتروح تقول لربنا كل واحد حر، ولو مكلمتهاش هتكلم غيري.
- يا سيدي أما نروح لربنا يبقى يحلها حلال.
- حرام يسطا دا كله.
- ربنا غفور رحيم.
- ما هو برضه ربنا شديد العقاب يا صاحبي.
- بقولك ايه متعمليش فيها شيخ احنا مع بعض في كل حاجة.
- أنا مش شيخ أنا صاحبك، وانت اعترفت إنك ماشي غلط، تعالى نتوب مع بعض، مش أحنا كنا بنعمل الغلط سوا، تعالى بقا ياخي نعمل حاجة صح سوا.
- محمد انت تعبتني وصدعت دماغي روح شوف اللي وراك.. سلام.

وأغلق الهاتف ليتخلص من هذا الضجيج الذي أججه محمد في رأسه.

على الجانب الآخر كان محمد حزينا لسبب الكثير من الأمور، لقد اهتزت ثقته قليلًا ولكنه حاول تناسي الأمر، لقد ظل يدعو لصديقه بالهداية، وعز على اختيار أصعب القرارات التي تُتخذ في موقف، لقد قرر أنه سيتوقف عن الحديث مع أميرة حتى يتقدم لخطبتها، لقد قرر السير على الطريق الصحيح مهما كانت العواقب، سيخبرها بالقرار في أقرب فرصة.

إن مشكلة البعد عن الحرام سهلة على النفس كمجرد فكرة، لكن حين التنفيذ يكون الأمر له جوانب عدة، لو قررت الإقلاع عن التدخين ستجد أصدقائك يعطونك السجائر بالمجان، لو قررت أن تتوقف عن سماع الموسيقى ستجد موسيقى محببة دائمًا لقلبك تعمل في كل الأماكن، لو قررت الابتعاد عن الفتاة التي تحبها حتى تستطيع الوصول لها في الحلال، ستجد ألف من يخبرك بكونك لا تؤتمن، وستجد بنيات أفكارك تخبرك بأن من تحب ستشعر أنك تتخلى عنها، توابع تأنيب الضمير والمواجهات التي تتبع اتخاذ القرار ما هي إلا اختبارات على صدق القرار، وما وصول القمة بالمشي نائمًا، ولكن مواجهة الصعاب هي ما تُكسب القوة، والإصرار على المواجهة هي ما تجعلك تستحق الفوز، لا متعة في الوصول بدون صعاب، وما يأتي بسهولة يذهب بسهولة.

*****

في لحظة غريبة قليلًا وجد عمر إشعارا لرسالة على هاتفه من صديقه أحمد على الرغم من أنه لا يمتلك هاتفًا، قائلًا:

- ولا يا بب.
- نعم يا صديق، انت فاتح نت ازاي مش انت أبوك بيعاملك معاملة المساجين وساحب منك التلفون ومعيشك على العيش المبلول.
- هو أنا بطة، ايه معيشني على العيش المبلول دي، انت بتتنمر عليا يالا، طب تمام عنيا.
- يااااه عليك، دايما كدا تفهمني غلط، المهم خير.. ارغي.
- بتجيب ورا فلي ثانية المهم أنا قولت لأبويا إني عاوز حاجة منك ف اداني الفون القديم الصغير عشان يضمن إني مستعملوش كتير، المهم ابعت نماذج الامتحانات اللي معاك.
- بس التلفون القديم دا بيعلق، يعني ممكن ميفتحش الملفات، هو ممكن ميحملهاش أصلا.
- يا عم ابعت بس، لو وصلوا وعلق، هشوف وأنقلهم على فون تاني.

- تمام ببعتهم أهو، دقيقتين.
- تمام بيتحملوا أهو.
- لو حليت حاجة ابعتهالي أو هاتها معاك بكرة.
- .....

أرسل عمر الكثير من الرسائل لكن أحمد لا يرد، فأرسل قائلًا:

- انت يبني ما انت أون لاين أهو مبتردش ليه.

ولكن لا توجد إجابة كذلك، حتى جائه اتصال من أحمد يخبره أن الهاتف تعطل بعد وصول الملفات، أجاب عمر متفهمًا وأخبره بما يريد وأغلق.

*****

لم تستطع أماني النوم وظلت تتصفح في هاتفها، يغلبها الشوق أحيانًا ويعتريها الحزن أحيانًا، فتحت المحادثة بينها وبين أحمد قدرًا حتى تفاجأت أنه نشط الآن، فأرسلت له قائلة:

- أحمد... فاتح ليه دلوقت وبعدين مش انت قايلي مش معاك موبايل وكمان فاتح ومش بتكلمني؟ هو للدرجادي أنا مش في دماغك؟!
- .....
- مبتردش ليه؟
- .....
- ماشي يا أحمد براحتك، سلام.. أنا غلطانة إني بعت أصلاً.
- .....

أغلقت هاتفها منزعجة من الأمر حتى زارها الشيطان لاعبًا في عقلها بكلمة يا ترى، هل يتحدث مع أحد آخر، هل الأمر كله خدعة من البداية، هل وهل... حتى لم يستطع عقلها تحمل كل تلك الأسئلة هذه المرة وغفت في نوم عميق.

*****

من المواقف الجيدة التي يمكن الفرح بها هو عند قبول الصديق النصيحة الحسنة من صديقه، الأمر أكبر من مجرد نصيحة، لقد أصبح كل إنسان يخير نفسه، ولم يعد أحد يهتم لصلاح أحد إلا نادرًا، ولذلك من تجلّي المحبة أن يؤثر الشخص على نفسه الراحة ويبذل الجهد في تقديم النصيحة، وقبول النصيحة هي قبول للجهد المبذول في ذلك، لقد كنت في بالك وتذكرتني، فسأحاول رد أقل ما يمكنني فعله وهو عدم ذهاب جهد نصيحتك سدى...

لقد خلق الله عقولنا لتكون الشيء الذي يحلل المعلومات ويختار الأصلح بناء على مبادئ وقواعد، لكن حين تقع في الحب يصبح المسيطر هو القلب وهو لا يميل إلى تحليل أي معلومات، فإذا اقترن الحب بالثقة أصبحت كل الأمور مباحة في سبيل إكمال هذا الواقع المصنع.

فمثلًا حين أمسك عبد الرحمن بيد نور أو حتى الأمر برمته من بداية دعوته لها، لقد وافقت على كلا الأمرين، على الرغم من كون المبدأ في أول الأمر مرفوض لكن حين تطور الوضع قليلًا أصبح الخطأ مباحًا للحفاظ على هذا الوهم المختلق، وتلك المبادئ لا تُهدم مرة واحدة وإنما تباعًا كفرط العقد، إذا وقعت خرزة جرت ورائها أخواتها حتى يصبح العقد فارغًا، وهو الفراغ الداخلي للإنسان المجرد من الجمال.
لقد بدأ الأمر برسالة، تطور للقاء وإمساك يد، ثم قبلة، كل هذا في قانون الحب والعلاقات هو قمة الرومانسية، ورافضه معقد!

احتضان وقبلات وتلامس، كلها ما هي إلا شهوات، فإذا احتدم أمر أو حدث خطب كَر كلٌ إلى خيمته، فلا عقد يصف تلك العلاقة ولا عرف يقبل هذا التجمع، وتهاوت كل لبنات الثقة الواهية القائمة على شهوات مشتركة، ونفوس جوفاء.
إذا ضل الشباب فاللوم عليهم أم على أهلهم، والحقيقة الكل ملام على فعله، فترسيخ العقيدة الصحيحة واجب على الأهل، وتقوية النفس واجب على الشباب، وإذا تخلى أحد عن دوره لعاث الفساد الأرض.

وبداية هدم المبادئ للشاب تظهر من طفولته: "ما زال صغيرًا، دعه يعيش سنه"، وعلى الفتاة: "ما زال مبكرًا عليها ارتداء الحجاب، لماذا تقوم بخنق نفسها من الآن؟"، جمل تهدم قواعد الحياة ببطء، فعفة الفتاة حجابها ولا اختناق في هذا، وسن حجابها محدد بوقت بلوغها، فإذا بلغت وهي عشر سنوات وجب عليها الحجاب وهو عفة لها وليس لتقييدها، ولتمارس حياتها العادية ولكن تغطي ما يظهر منها، حتى وإن لم تكن بجسد مكتمل، فالأعمى عن الحق لن يفرق حين تعتريه الشهوة أي شيء سوى أنها فتاة.

والشاب عفته في قبض بصره، وإمساك لسانه، وكبح شهوته فيما حرم الله عليه، فإن ضل أحد الفريقين استقام الآخر وقوَّم بعضنا بعض، لكن إن مال الطرفين فسننزل للهاوية، وعلى الجميع عتاب.

كل ذرة من فكرة خلقت في الحياة هي موضع اختبار للجنسين، فعدول المرأة عن الطريق السوي وتحررها ما كان إلا فتنة واختبار لها وقد فشلت فيه، واتباع الرجل لها هو اختبار، فإن غض بصره فقد نجح وإن لم يفعل فقد فشل هو الآخر.
والاختبار عادل؛ فالشهوة في الرجل هي رغبته للمرأة، والشهوة في المرأة هي رغبتها في كمال الزينة والجمال، وليس فيهما اختبار سهل.

لقد خلق العالم باختلافه، ولكل قاعدة شواذ، فإن كان الأصل في الحجاب العفة وارتدت إحداهن الحجاب ورقصت، لا ينتفي حكم العفة على الحجاب، فليس الحجاب من الرقص، وعلى النقيض من تحررت فهي ليست بأخلاق المحجبة، فإن كانت أخلاقها أفضل فهذا ليس صفة في التحرر.

أفعال الأشخاص أساسها مبادئ، وليست المبادئ أساسها أشخاص، فعل الشخص لا يثبت ولا ينفي المبدأ، وتلك المبادئ أمور فطرية، العقل يصل إليه فطريًا كون ذات الخمار متدينة وعلى خلق، فإن انتفى الأمر لن يرفض العقل كون ذات الخمار متدينة وعلى خلق، وإنما سينفي هذا الأمر عن الشخص الذي ضاع فيه الخلق فقط، لأن تصرف الفرد لا يدل على تصرف الجماعة، ولا يغير العرف بمفرده، وكل الأمور تخضع لقوانين النسبة والتناسب.

لو أن هناك خمسين فتاة محجبة فالأولى أن النسبة الأكبر منهن تحاول الحفاظ على الأمور التي أمرها بها الدين، ولو أن هناك خمسين فتاة غير محجبة فالنسبة الأكبر هم من يفعلون أمورًا ضد الدين، والسبب أن الحجاب أمر ديني ولم يفعلوه، وهكذا تقاس الأمور، لا تقاس على الأفراد ولا على الجماعة؛ وإنما باتباع المبدأ المسلّم به والموضوع من قِبَل الله وليس البشر.

نحن نميل دومًا إلى تأويل الخطأ، إذا وقعنا في أمر خاطئ يومًا وتبعته أخطاء نميل دومًا إلى التأويل، فإذا ارتبطنا في علاقة محرمة، سيكون تأويل ذلك بأن الحلال صعب، وإذا تبع الأمر قبلات، سيؤول إلى أنه دوافع لاستمرار الحب، وإذا استمررنا في الخطأ ورفضنا الابتعاد سيكون التأويل أنه لا يمكن الابتعاد حتى لا تكون خيانة، وهكذا دواليك، الأمر مبني على التأويل حتى يصل الأمر لصعوبة معرفة أين الطريق الذي يجب السير فيه، فابتكار الطرق المختصرة ونسيان الخريطة الأصلية ما هي إلا جهل يؤدي إلى الضلال.
اختيار طريق غير الطريق الأصلي في علاقة ما هو إلا ظلم، فخروج الزوج مع زوجته أمر حلال فهي زوجته، أما خروج اثنين يقال إنهما على علاقة حب هو ظلم، فلربما تزوجت هذه الفتاة من أحد آخر، أليس هذا تعدٍ على حقه؟

الحق لا يُجزأ، صلاة الظهر تُصلى أربعًا وليس ثلاث ركعات، ولا يصح قولنا على الأقل صليت، وكل الأمور كذلك، الحجاب الهدف منه عدم إظهار معالم الجسد، فالحجاب على بنطال ليس حجاب ولا يصح قولنا على الأقل محجبة، فالحق لا يجزأ، إن أردت فعل الأمور الصحيحة فتحرى عن تأديتها على أكمل وجه، ولا تقل على الأقل أنا أفضل من غيري، ولكن قل هناك أفضل مني.

الفرحة في الذنوب هي فرحة وسعادة وهمية لحظية وسبب كونها وهمية هو الضمير الواعي للخطأ الذي يعطي تنبيهًا أن هذا الأمر خاطئ، والنفس دومًا تحاول قتل هذا الضمير، فتختلق سعادة وهمية لتقول للضمير ألم أخبرك أن سعادتك في هذا الأمر، فلو أمسك الفتى يد الفتاة التي يحبها فهي لا تشعر بالسعادة، في الواقع هي تشعر

بالاضطراب، ولكنها تحاول قتل هذا الشعور وتخلق شعورًا بالسعادة لتنتهز الموقف، لا تصبح مخطئة وحزينة.

وعلى الجانب الآخر فإمساك الزوج يد زوجته هو سعادة حقيقية، فليس هناك ما يدعو للاضطراب، فيكون الفكر دومًا كيف سأسعد بالموقف فقط، كل الأمور متشابهة والفروق بينها خطوط دقيقة لكنها مؤثرة في بناء شخصياتنا، إما نكون أشخاص أسوياء أو قلقين دومًا.

*****

على جروب الثلاثي ترسل أماني رسالة لتفتتح قائلة:

- بنات... هقولكم حاجة. "أماني"
- خير يا أوزعة. "أميرة"
- مصطفى عامل حفلة عيد ميلاده وعاملها كبيرة وعزمني، وأنتم عارفين إن أنا ومصطفى كنا صحاب عادي طول الفترة اللي فاتت، المهم إنه عازمني أروح ولالا؟ "أماني"
- لو روحتي أحمد هيزعل. "نور"
- ما أنا مش هقول لأحمد وكدا كدا مش بنتكلم، وعادي يعني مصطفى زي أخويا فمش هيحصل حاجة يعني. "أماني"
- برضه يا أماني مينفعش حاجة زي دي هتزعل أحمد منك، وبعدين هو ممكن ميعرفش بس لو عرف هيزعل، فملهاش لازمة تخسري أحمد عشان حاجة تافهة زي دي. "أميرة"
- وإيه يخلي أحمد يزعل هو أنا ماشية مع واحد تان يدا حفلة وأنا معزومة زيي زي ناس كتير، ايه الدنيا هتتهد على دي. " أماني"
- لا بس لازم تقدري غيرة أحمد يعني أكيد أنت مش هتكوني مبسوطة لو هو راح حفلة واحدة يعرفها برضة. "نور"
- ماهو أنا مش هينفع مروحش لأن مصطفى قالي من فترة وأكد عليا. "أماني"

- لحظة هو انت كنتي بتكلمي مصطفى وانت بتكلمي أحمد؟ "نور"
- أي المشكلة، كنا بنتكلم عادي يعني مش حاجة كبيرة. "أماني"
- هو كل حاجة عندك مش حاجة كبيرة، مينفعش يا أماني كدا. "نور"
- اووووف بجد ياريتني ما اتكلمت معاكم أنا هقفل.. سلام. "أماني"

أغلقت الهاتف وألقته بجانبها كما لو أن كل العالم يقف ضدها، كانت قررت ألا تذهب ولكنها تشعر أن كل شيء خاطئ كل شيء لا يسير كما تريد، أين الحياة إذا كانت كل الأفعال خاطئة؟

*****

كان عمر يريد شراء بعض الملابس فطلب من أخيه أن يذهب معه قائلًا:

- عبود تعالى معايا عاوز أشتري هدوم.
- يا نهار أبيض يا جدعان سعادة الباشا بنفسه هينزل يمشي معايا، دا شرف عظيم ليا والله.
- انت أهبل يبني، انت نسيت إنك أخويا ولا ايه.
- يا عم أخوك ايه بس دا انت آخر مرة مشيت فيها معايا بقالها أكتر من سنة.
- ما أعملك ايه مفيش مشاوير بتصادف لينا مع بعض انت اللي مش بتبطل خروج وسايبني في البيت.
- يا عم تعالى أنا أصلا هواجه مشكلة في إني أقنع حد إنك أخويا التوأم خليك قاعد في البيت أحسن من وجع الدماغ.
- يبني أنا الناس تتمنى تمشي معايا ايش فهمك انت، المهم اخلص تعالى وريني ذوقك المنيل، أنا بس واخدك معايا عشان نوار مش هيطلع وأنا مبعرفش أفاصل، فالحق الفرصة بقا.
- ياخي دايما متواضع.

عند الخروج من المنزل توقف عمر سريعًا وبلهجة شديدة قال:

- اقلع اللي انت لابسة دا أي شغل البنات سلاسل وأساور شيل يا عم الحجات دي مش همشي معاك كدا.
- يا عم أساور ايه وبعدين ماشية مع اللبس، وعلى فكرة بقا انت اللي المفروض تلبس زيي عشان هو دا اللي ماشي.
- لا حرام وأنا قايلك قبل كدا على التشبه بالنساء دا.
- حاضر.
- تمام كدا يللا بينا..
- مش عارف ليه حاسس إنك ماسك عليا ذلة.

رد عمر ضاحكًا:

- يبني أنا عاوز أعمل منك بني آدم.

نظر عبد الرحمن بوجه يعتريه الذهول قليلًا:

- على فكرة يسطا انت مش يسطا، الاخوات في أجازة، وكدا كدا انت مش شبهي يعني ممكن تتبرى مني عادي.
- لا مقدرش انت أخويا اللي مليش غيره
- اسرح بيا كمان شوية.

خرج الشقيقان في جو يملأه الهدوء والراحة، فهما أخوان لا يكنان البغض لبعضهما، ليس بينهم تربص لأخطاء بعضهم البعض، يسري الكلام منهما تلقائيا دون أدنى مجهود، ابتسامة دائمة، وسعادة نقية لا يشوبها مرارة المجتمع وسوء الظن، كما لو أن لسان حالهما دومًا يقول مهما تخبطت بنا الدنيا يكفي أننا معًا.

بعد سير كثير وبعدما غلبهما التعب أشار عمر على أخيه بالاستراحة قليلًا لتناول شيء ما في أي مطعم أو يشربا شيء، بعد دخولهم أحد الأماكن جلس عمر شاردًا ينظر من خلال النافذة فيرى من بعيد شاب وفتاة يقفان سويا كانت ملامح الفتاة مألوفة قليلًا، لم يلقي بالا حتى طرأ في عقله هاجس يريد أن يقترب استأذن من أخيه سيذهب لرؤية

شيء ما وسيرجع سريعا، وحين اقترب كانت الفتاة قد انتهت من الحديث مع الشاب، التفتت فتأكد ظن عمر لقد كانت أماني.

صعقت حين رأته وسرت قشعريرة في جسدها، فابتسم والتفت وغادر.

قال له عبد الرحمن متعجبًا:

- كان في حاجة ولا ايه؟
- لا بس الشخص اللي هناك دا شكله مش غريب عليا.

دقق عبد الرحمن النظر قليلًا:

- دا مصطفى زميلنا في اعدادي بس هو دلوقت في مدرسة تانية فمفيش احتكاك بينا كتير يعني.
- شكله اتغير أنا حسيت إني أعرفه.

بينما كان عمر يتحدث مع أخيه كانت أماني تحاول إرسال رسالة لأحمد لتحاول تخليص نفسها من هذا المأزق فربما يعلم من عمر وتحدث مشكلة لكن هيهات، فأحمد لا يمتلك هاتفا من الأساس حتى الهاتف القديم لا يعمل، تتسارع نبضات قلبها، لا شيء يسير كما تريد يا لسوء الحظ الذي أصابها.

بعد وصول الشقيقان لمنزلهما اتصل عمر على أحمد من خلال رقم والدته قائلا:

- بقولك يا صاحبي أنا عاوزك تيجي دلوقت.
- مش هعرف أطلع خير في ايه.
- مش هينفع في التلفون يا عم ما تتصرف وتعالى.
- مش هعرف والله قول بس في ايه.
- أنا شوفت أماني واقفة مع واحد، وكان معاه شنطة هدايا.

رد أحمد ضاحكًا:

- أنا عارف إنك عاوزني أسيبها بس متوصلش بيك ياخي للدرجادي.
- يا عم والله مش بكذب عليك أنا شوفتها والله واقفة معاه وفضلت مدة طويلة كمان ولما شافتني خافت.

رد أحمد بعصبية هذه المرة:

- انت بتكررها تاني، ببلاوي اقفل الحوار دا، ومعلش بقا يا صاحبي متتكلمش معايا فيه تاني، احتفظ بنصايحك لنفسك.
- يعني هي بقت كدا، أنا آسف، أنا فعلا غلطان.

وأغلق عمر الهاتف لا ينتظر ردًا، لقد شعر بغصة في صدره، هو لا يكذب ولم يحتمل شعور التكذيب من أعز أصدقائه، لقد شعر بالحزن فسكت.

حاول أحمد استعادة هاتفه ليحادث أماني، وحين أحضر الهاتف وفتحه جاءه على الواتساب بعض الرسائل من أماني.

وكان قد كتب فيها:

" أحمد لما تفتح كلمني على طول، أنا عارفة إني مينفعش أتدخل فحاجة بينك وبين صاحبك، بس عمر شافني في الشارع وقالي أبعد عنك، أنا كنت حاسة إنك بتحاول تبعد عني معرفش هو اللي كان بيحاول يقلبك عليا ولا ايه، بس هو قالي إني مكلمك شتاني وأبعد عن طريقك أحسن"

لم يفتح رسالة أماني لقد كان يحاول مراسلة صديقه فقد علم أنه شعر بالحزن وأنه أغضبه فأرسل له:

- عمر لما تفتح كلمني.

ثم فتح رسالة أماني وقرأ ما فيها، تأجج الغضب في عقله وانتفخت أوداجه، في اللحظة التي قام عمر بالرد:

- نعم يا أحمد عاوز ايه تاني.

فذهب سريعا ليوبخه:

- أنا مش عاوز أعرفك تاني.

لم يفهم عمر ماذا يجري هل ما قاله كان أمرًا جللا ليحدث كل هذا أم أن صديقه فقد عقله:

- انت بتقول ايه يا عم؟ انت مستوعب كلامك؟

رد أحمد بجفاء يمكن الشعور به:

- أيوة فاهم ومستوعب، أنا كنت بقول عليك صاحبي وأخويا وبسمع كلامك لما بتنصحني بالخير، لكن توصل للمرحلة دي وتكدب عليا عشان حاجة انت مش حابيها فالأحسن اننا منعرفش بعض تاني.

كانت الكلمات كالخناجر يطعنها أحمد في صدر صدقه الواحد تلو الآخر، لكن عمر رد بكل هدوء:

- بص يا نوار، انت صديقي وأنا عمري ما كذبت ولا هكذب عليك، أنا قولتلك اللي عندي، صدقتني أنا مش هخسر حاجة، مصدقتنيش انت حر، بس مفيش حاجة بتفضل متخبية طول العمر، ولما تتأكد من اللي أنا قولته، هتجيلي وتعتذرلي بس أنا مش هقبل اعتذارك، وشكرا لحد كدا.
- أنا عشان عرفت اللي حصل قولتلك كدا، وشكرا يا صاحبي على كدبك عليا.
- انت بتبيعني عشان بنت أصلا بتخونك؟
- متتعداش حدودك يا عمر واقفل الكلام على كدا.
- تمام ....

وقبل أن يكمل حديثه قام أحمد بحظر الرقم.

كان الحزن يعتصر قلب عمر ولكن على الرغم من ذلك كان حزينا أكثر على صاحبه، لقد أثر فيه جدًا أن يتخلى عنه صديقه بسبب فتاة بالكاد يعرفها، لقد قرر ألا يحادثه مرة أخرى حتى تنكشف له الحقيقة ولن يقبل اعتذاره حين يأتي إليه.

*****

بعد يومين من النقاش الحاد بين عمر وأحمد كان الأول جالسا في غرفته حزينا، لقد نسي الموقف ولكنه ظل يردد " أنا يتعملي بلوك على آخر الزمن"، لم يتجاوز الموقف ولا أظن أنه سيتجاوزه، مر أخوه عليه قائلًا:

- ببلاوي.. فاكر مصطفى اللي قولتلك عليه من كام يوم.
- آه ماله دا؟

- عيد ميلاده النهارده ومحمد بيقولي عاملها حفلة كبيرة ودعا فيها كل اللي ف سننا.
- مش انت بتقول العلاقة سطحية هتروح تعمل إيه.
- يا عم هنروح انا ومحمد هيبقى فيه أكل وشرب ببلاش هندلع نفسنا شوية ما تيجي.
- يا عم لا حرام.
- هو انت يبني كل حاجة عندك حرام ما تفكها شوية.
- طب ما تلمها انت يا أخويا شوية، وبعدين مش الحفلة دي هيكون فيها أغاني وفيها بنات وكل دا؟ يبقى حرام، والمفروض متروحش وتخلي عندك دم.
- يا عم أوعدك هقف بعيد ومش هكلم بنات.
- انت بتحاول تحللها يعني... طب هقولك صحيح انت تعرف أماني.
- آه عارفها وعارف إنها بتكلم نوار وانت مقولتليش عشان انت أخويا اللي مش أخويا.

رد عمر ضاربًا كفا بكف:

- يبني هي شطارة ما هو دا غلط وأنا بحاول اخليه ميعملوش، المهم تعرف حد من صاحباتها؟

غمز عبد الرحمن بعينه قائلًا:

- ناوي تلعب بديلك ولا ايه يا شيخنا، عموما أعرف قولي عاوز إيه بس.
- ولا اطلع من دماغي، أنا مش بتاع الكلام دا، وبعدين تعرف منين انت بتكلم بنات يالا ولا ايه، تصدق أنا سكتلك كتير.
- اهدا يا عم شوية مبكلمش، وعلى فكرة أنا أكبر منك ب دقيقتين المفروض تحترمني شوية.
- طيب يا عمو معلش هتعبك وتشوفلي أماني هتروح الحفلة دي ولا لا.
- أنا مش فاهمك يا صاحبي والله، بس الحفلة كبيرة كله هيروح انت العاق الوحيد اللي مش هيروح.
- يا سيدي ربنا يعافينا، بس اتأكدلي هي هتروح ولا لا.

- شوف أنا هقولك على أسرار وانت مبتقوليش، محمد بيكلم أميرة صاحبتها هسأله.
- يا فرحتي بأسرارك اللي تفتح النفس والله، ربنا يهديني ويهديكم يا بني.

بعد دقائق قال عبد الرحمن لأخيه أن أماني ستذهب بالفعل إلى هذا الحفل، وكأن شعاعًا من الأمل اخترق قلب عمر فأبهجه، فكتب برسالة ووضعها في ظرف وقال لعبد الرحمن أعط هذا الظرف لأحمد في طريقك.

قال عبد الرحمن ضاحكا ممثلًا الصدمة:

- انت بتبعت لنوار جوابات، ببلاوي أوع تكون....

رد عمر سريعًا:

- أكون ايه يا عم انت استغفر الله العظيم، انا سليم يا عم والله بس هو نوار معهوش تلفون ف هكلمه ازاي.
- روحله متبعتلوش جوابات كدا هيتشك فيك، وبعدين شغل الحمام الزاجل دا موضة وانتهت يعني.
- هو انت لازم تعملي على كل كلمة حوار، ما توديله الظرف يا عم وخلاص، دا انت غريب يا جدع.

رد عبد الرحمن ضاحكًا:

- اهدى يا ببلاوي، أنا بس بتطمن على ميولك عشان نلحق الموضوع بدري قبل ما نفقد السيطرة.

استشاط عمر غضبا وقال:

- امشي دلوقت يا عبد الرحمن متجننيش عليك.

خرج عبد الرحمن وهو ينفجر من الضحك على هيئة أخيه وذهب إلى منزل أحمد ليعطيه الظرف كما طلب أخوه منه، وحين فتح أحمد الظرف قرأ أول الرسالة مكتوب فيها " عبد الرحمن رايح عيد ميلاد دلوقت، روح معاه وانت تعرف إني مكذبتش عليك." قال أحمد في نفسه "هو انت يالا معندكش دم." ولكن الفضول أيضًا تملكه.

وقال لعبد الرحمن:

- انت رايح فين يا عبده دلوقت؟
- رايح عيد ميلاد واحد صاحبنا اسمه مصطفى أشرف.
- إيه دا بجد طب استنى هلبس وجي معاك.
- انت تعرف مصطفى.
- آه يا عم دا حبيبي أنا استغربت إنك تعرفه اوي كدا ورايحله، يللا نتسلى في الطريق سوا.

في الواقع أحمد لا يعلم من هو مصطفى أصلا إنه ذاهب فقط ليرضي فضوله لا أكثر.

*****

أرسل محمد رسالة لأميرة قائل:

- أميرة عاوزك في موضوع.

كانت أميرة ممسكة بهاتفها في هذا الوقت فأجابت مباشرة:

- خير يا حبيبي.
- انت عارفة إني بحبك وإنك غالية عندي صح؟
- في ايه يا محمد عاوز تقولي ايه؟
- بصي أنا مش هلف وأدور كتير، أنا بحبك بس كلامنا غلط وحرام، ولو جيت اتقدمتلك دلوقت أهلك مش هيوافقوا عشان السن وإن لسه بدري، من الآخر أنا بقولك إننا مش هينفع نتكلم لحد ما آجي أتقدملك.

قالت أميرة وهي يتملكها شيء من الحسرة:

- هتسيبني بعد ما حبيتك؟
- مش بسيبك والله، أنا عاوزك بس في الحلال وعشان عارف إني غلطت من الأول فبحاول أصلح غلطتي دلوقت، وأدخل البيت من بابه، وعشان بحبك قولتلك كدا.
- اللي تشوفه يا محمد.

- أنا وعدتك، ومش هخلف وعدي إن شاء الله.
- خلي بالك من نفسك يا محمد... سلام.

أغلقت الهاتف وهو لم يرسل أي رسالة أخرى لقد قطع وعده واستعان بالله على تنفيذه، لكنها لم تكن بأفضل حال لقد كانت مضطربة بين الخوف والأمان، تملكتها العبرات حتى صارت تبكي بداخلها أيضًا، تشعر أنها فقدت شيئًا، وفي نفس الوقت تريد أن تطمئن أنه يريد أن يصل لها بشكل سوي، لقد قررت انتظاره ولم ترجع لمحادثته مرة أخرى على الرغم من أن الشوق يغلبها.

*****

ليس عيبًا أبدًا أن نرجع عن أخطائنا بعد اكتشافنا لها، ولا يضرنا أن نلتمس دومًا طريق الحق، حتى وإن ظنوا بنا سوءًا؛ يكفي أننا اخترنا طريق الله وعونه، وابتعدنا عما حرمه، صدق التوبة يحدد بالابتلاء؛ فمن استعان على التوبة بالله وضع الله له ابتلاءً حتى يرى صدق نيته، والابتلاء يكون في أكثر ما تحب.

نظرة الناس لنا حين نعود عن الخطأ هي ما تجعلنا نفكر في عدم العودة، لكن من يريد أن يستقيم يضع نظر الله أمامه وليس نظر الناس، فالأمور بحكم الناس تظهر على محمل السوء دومًا، فمن ترك من يحبها لأجل إرضاء الله والتماس الحلال، سيحكم عليه بالخيانة والتخلي، فمن قويت إرادته فليعلم أن هذا هو الابتلاء وأن عليه الصبر والثبات على قراره ونيته لله، حتى وإن شُحن الجو بالحزن، فهذا عقاب على الأخطاء الفائتة، وعسى ذلك أن يكون تكفيرًا للذنب.

إن الحب دومًا هو ما يسعى ويتحرى الخير، والخير في الدنيا هو اتقاء الله، فإما يكافئنا الله عنها في الدنيا بما نحب أو يختزنها لنا في الآخرة لتكون سببا لنا لدخول الجنة، وما يسوله الشيطان بأن نغتنم الفرصة لأنها لن تتكرر، ما هي إلا فرصة للشيطان ليهلكك، فلن تصل لا لدنيا ولا لجنة حتى وإن صدقت نواياك، صدق النوايا يؤكده صدق الفعل، وقتل الظالم لن يجعل القتل حلالًا إن كانت نيتك أن تخلص الناس من ظلمه، نواياك الجيدة اجعلها تصاحب أوامر الله لك، فتصدق نواياك وأفعالك.

*****

وصل أحمد وعبد الرحمن لمكان الحفل فأشار أحمد لعبدالرحمن بالدخول وأنه سيلحق به بعد أداء أمر ما، دخل عبد الرحمن للحفل وذهب أحمد للجلوس في مكان قريب من مكان الحفل ليري من سيدخل ويخرج، جلس قرابة الساعة لم يرى أماني، وظل يقول في نفسه "روحت يا عم عمر أم عيد الميلاد وضيعت وقت على الفاضي، وانت طلعت برضه كداب" لقد تملك عقله أفكار سيئة كثيرة، ورأى أن صديقه قد بلغ به السوء ما بلغ وظل يفكر لماذا فعل عمر ذلك له، فهو لا يضمر حقدًا ولا غلًا لأحد، ولا يغار من أحد وإن كان يريد إصلاحي فليس بهذه الطريقة، لقد تضاربت مشاعره قليلًا بين الحزن والغضب وبين الفقد والثقة حتى قطع حبل أفكاره خروج شخص من الحفل لم يكن يعلم أنه صاحب الحفل.

كان هذا الشخص واقفا كما لو أنه ينتظر أحد ما وبالفعل لم تمضِ دقائق معدودة حتى جاء ما صعق أحمد وهي أماني التي جاءت بكيس هدايا وأعطته له ولم تقف أكثر من دقيقة وغادرت، هي لم ترى أحمد ولكنه رآها، هنا لم تراوده إلا فكرة واحدة وهي كيف تخلى عن صديقه من أجل فتاة بالكاد يعرفها، لم يفكر في أي أبعاد أو مبررات تسمح لأماني بمقابلة شخص ما، بل فكر في أن الأمر انتهى ولابد من إرضاء صديقه، لكن أفكاره قطعت وجملة صديقه ظلت تضرب في رأسه "لما تعرف اللي حصل هتيجي تعتذرلي وأنا مش هقبل".

*****

في الواقع قد يبدو الأمر دراميا، لكن أماني لم تكن تنوي الذهاب حتى حادثها مصطفى وأصر لقد أرسل لها قائلًا "مجيتيش ليه"

فردت أماني عليه:

- مش هعرف أطلع دلوقت عشان متأخرش بره وكدا.

فأجاب مازحا:

- قولي إنك مش عاوزة تيجي بقا عشان مجيبتيش هدية، تعالى ومتشغليش بالك هسامحك.

- لا والله جبت بس زي ما قولتلك مطلعتش بدري ولو طلعت دلوقت هتأخر ف خليها في فرصة تانية بقا.
- لا تعالي دلوقت خمس دقايق وامشي، هتفرق معايا بجد.
- تمام هاجي بس همشي على طول.
- اتفقنا.

كانت هذه هي المحادثة التي جرت بينهما، لقد كانت أماني على قرار أنها لن تذهب، ولكن قررت الاستسلام في نهاية الأمر؛ فلن تكسر خاطره لأجل خمس دقائق لن يضروا في شيء. ربما وهم البساطة هو ما يؤدي بنا لارتكاب حماقات قد يترتب عليها وجود شيء في مكان وزمن غير مناسبين يؤدي إلى فهم الأمور بأسوأ شكل ممكن، قد يبدو الأمر كما قلت دراميًا ولكن هذا ما يحدث في الواقع فعليًا، كل الأمور الخاطئة التي نعلم أنها خاطئة ونقرر تجاهلها قائلين أنها ستمر بسلام وأنها ليست بالأمر الجلل، تصبح في النهاية أمرًا جللًا فعليًا، ثم نضرب كفا بكف ونشكي سوء الحظ وليس سوء الفعل.
بعض الأمور لن تشعر أنها تحتمل حسن ظن، فلقد اجتمعت كل الأمور التي تنفي ذلك في وقت واحد، خطأ بسيط يؤدي إلى زوال كل الثقة في القلب، وكل الأمان حولك، ولن تجد أي مبرر له، فالمخطئ دومًا تحبط مبرراته إن وُجدت.

*****

لقد شعر أحمد بتأنيب الضمير لم يعد يعلم ماذا يفعل وجملة صديقه ترن في أذنه، لقد ارتكب جريمة دون حتى أن يتحرى للحظة، ظل يفكر في أي طريقة يرجع بها لصديقه، ولكن الندم لا يفيد يريد استرداد كرامة صديقه وعزة نفسه التي رمى بها عرض الحائط. شعر أنه أسوأ شخص في هذا الكون إحساس بالاستحقار يتملكه، لقد أخطأ في كل ما فعل تمامًا، لقد قال في نفسه ربما يكونون أقارب ولكن لماذا غادرت سريعا، كل فكرة تأتيه يأتي ورائها ما ينقضها كما لو أن الأمر مصمم خصيصا ليفتك بعقله.

جلب هاتفه مستأذنا ليفعل شيئًا هاما عليه، ولكنه ذهب لمحادثة أماني لم يفكر في محادثة صديقه فلقد شعر أن الاعتذار لن يفعل شيئًا الآن، أرسل لأماني:

- أماني ايه الأخبار، أنا لقيت معايا التلفون فقولت أكلمك عشان وحشاني.

أجابت سريعًا:

- ازيك يا أحمد سبحان الله جي في وقتك، أنا من الصبح قاعدة ع السرير زهقانة.

قال في نفسه" أومال مين اللي كان في عيد الميلاد من شوية" لقد تجاهل الأمر وقال لها:

- ايه بس اللي مزهقك؟
- معرفش مفيش حاجة معينة، انت بتوحشني ومش بيكون في حاجة أعملها، وبقيت بمل من المذاكرة وبتعب بسرعة فكل دا بيجي مع بعضه بقا.
- ربنا يعينك يا حبيبتي هانت، الامتحانات قربت وكل حاجة هتكون تمام إن شاء الله.
- إن شاء الله، طب هو احنا مينفعش نتقابل قريب؟
- لا عادي ممكن نتقابل بكرة لو تحبي ع الساعة 3 في كافيه (.....)
- طب ما تخليها 2 عشان متأخرش بره.
- معلش هكون مشغول ف 3 هيكون مناسب وعادي نقعد شوية مش هخليكي تتأخري.
- تمام ماشي نتقابل بكره.
- اتفقنا.

لم يكن الأمر يشغل بال أحمد كثيرا، كل ما كان يشغل باله هو كيف ينتقم لا أكثر كل الأفكار الوحشية تجمعت في رأسه، كما لو أنه أسوأ شخص في الكون فعليا.

*****

كان عبد الرحمن ونور يتحدثان سويًا واستطردت نور في الحديث كثيرًا كعادتهما، لم يكن الحديث ذا مغزى معين وإنما أي مواضيع ليس لها أي طائل سوى أن يظلّا بالقرب من بعضهما، وعلى الرغم من سطحية المحادثات وعدم فائدتها إلا أنها لا تنتهي وإنما تتجدد بأبسط الكلمات، كما لو أننا نتحدث دومًا بما لا يفيد للهروب من الواقع والبقاء في عالم الخيال الممتع محاولين جعله يمتد للأبد، ولكن هيهات كلها أمور زائلة سعادة لحظية ونعود مرة أخرى للواقع البائس.

قالت نور لعبد الرحمن أنها ستذهب مع أصدقائها لتناول الغداء خارجًا في الغد فأشار لها بمطعم يقدم طعامًا جيدًا وأشاد بتجربته فوافقت على وعد أنه سيلتقيها بعد انتهائها من الخروج مع أصدقائها.
تبدو جميع الأمور سهلة حين تريدُ فعلها وفي الواقع كل الأمور سهلة لكن ما كان صعبًا عليك هو الذي لم تكن تريد فعله، فأتيت بمبررات لعدم فعل أي شيء ولم تفكر لحظة في إيجاد حل.

يمكنك السير في طريق التوبة ولكن لا تريد ذلك، فقد عميت عيناك إلا عن الشهوات، وسرت وراء نزواتك وتملكتك الشرور ولن تهتدي إلا بعد هلاكك.

*****

كان يشغل بال أحمد كيف يقدم انتقاما لأماني على ما فعلته فالأمر حتى وإن احتمل سوء ظن فلقد حاولت الإيقاع بينه وبين صديقه بشكل صريح، وقد بيت أحمد النية، فاختياره للمقهى كان بسبب كونه أمام المكان الذي رآها فيه حتى يكون دليلًا على كونه يعلم، واتفق مع أحد أقربائه للجلوس معه في هذا المقهى قرب موعد لقائه مع أماني، يريد أن يرد شعور الخيانة لها ولكن شتان بين محب وغيره، لقد اختار أكثر المواقف درامية لرد اعتباره كما لو أننا في فيلم عربي بإنتاج رديء ولكن أحيانًا تعجز العقول حين الغضب عن الإتيان بالأفكار الجيدة.

الآن بات كل شيء مرتب حتى أتى صباح اليوم الجديد، لعله يكون يومًا حافلًا، التقى الأصدقاء الثلاثة في منزل أحدهم حتى يذهبوا على اتفاقهم لتناول الغداء معا، كان لقاء عاديا كما حال لقائهم تجاذبوا أطراف الحديث، ولا يخلو الأمر من الحديث عن علاقاتهم، بعد مضي الوقت وانصرافهم لوجهتهم أشارت نور بأن عليها الانصراف بالقرب من الساعة الثالثة والتي كان بقي عليها حوالي الساعة أو أكثر قليلًا، فهي ستلتقي بقرينها لاستكمال اليوم معًا حتى أردفت أماني مشيرة لنفس الأمر معها، وتوجهت الأنظار لأميرة التي لم يبدو عليها أي انفعال بل ظلت كحالها كما لو أن الأمر لا يهمها، ولكنها أضافت كونها ستذهب هي أيضًا لزيارة خالتها.

نظرت الفتاتان بتعجب عن كونها لم تذكر "محمد" فبادروا بالسؤال عنه لتجيب بابتسامة صافية ووجه وضّاء وثقة عن كونهم لا يتحدثون حاليا على أمل اللقاء مرة أخرى في وضع أفضل وأكثر أمانا.

كانت علامات الحزن بادية على وجوه الباقي كما لو أنهم قد خاضوا التجارب الكثيرة للتيقن من كذب "محمد" لكن أميرة لم تنتبه ولم تلقِ بالا لأفكارهم السيئة فلقد كانت تملك من الثقة ما يطفئ لهيب ظنونها وهو ما جعلها لا تأبه لما يقولانه، وقد لاقى هذا الأمر استحسان نور بشكل كبير فلكم تمنت أن تمتلك هذا القدر من الثقة في أحدهم حتى أنها دعت لها بالخير والبركة، وفي نفسها تتمنى أن يحدث ذلك لها وتكون هنالك نهاية سعيدة.

تناولوا الغداء، وجاء عبد الرحمن لاصطحاب نور فاستأذنت أصدقائها وخرجا سويا، في نفس الوقت استأذنت أماني ولحقتها أميرة وانطلق كلٌ لوجهته.

بادر عبد الرحمن بالحديث قائلًا:

- وحشتيني على فكره.

فردت نور بوجه جامد قليلًا:

- وانت كمان وحشتني.
- ايه رد العساكر دا.

- دا اللي موجود دلوقت، المهم تعالى نروح على النيل.
- هنعمل إيه هناك؟
- هنتنيل، سؤال ذكي جدًا على فكرة، ما أكيد هنقعد هناك.

ذهبا سويًا للمكان المختار، كان عبد الرحمن جالسا واضعًا يده على كتف نور وجالسين بهدوء، ولكن فوجئت نور بوضع يده على أعلى ركبتها قائلًا:

- قلبظتي يا نور ما شاء الله متغذية.

شعرت نور بالصدمة قليلًا وأزاحت يده سريعا:

- عبد الرحمن! إيه دا عيب كدا.
- إيه اللي حصل أنا عملت إيه؟
- مبحبش الأسلوب دا، مينفعش كدا.
- مع إني معملتش حاجة أنا كنت بهزر معاكي بس حاضر.
- أنا آسفة متزعلش مني مقصدش حاجة بس حسيت بإحراج لما حطيت إيدك على رجلي.
- وهو أنا غريب أنتِ ليا أنا بس.
- مهما كان أنا بحبك بس احترم إحساسي مش أكتر.
- خلاص متزعليش... بقولك إي، أنا فصلت تعالي نروح مكاني تاني.
- أنا كمان يللا.

*****

ذهبت أماني لمكان لقائها مع أحمد، وكانت قد ذهبت مبكرا قليلًا لانتظاره ولكنها فوجئت بجلوسه مع فتاة أخرى يتبادلان الكلمات والمزاح، وأتى في بالها جملته عن كونه مشغول قبل الساعة الثالثة، فغلى الدم في عروقها وانتفخت أوداجها، ودخلت مقررة إنشاء شجار، وبصوت عالي قليلًا قد كان مسموعًا لبعض الجلوس:

- هو دا اللي أنت مشغول فيه يا أحمد عشان كدا قولتلي الساعة 3.

رد أحمد بهدوء وابتسامة تملأ محياه:

- خير يا رب عايزة مين؟
- أحمد بطل استهبال، وخفة دم مين دي؟
- طب لو سمحتي وطي صوتك بس عشان في ناس حوالينا، وقوليلي بالراحة كدا أنتِ عايزة مين.

ردت أماني بنفاذ صبر وحنق شديد ونظرت للفتاة التي معه وقالت:

- طالما مش هتقول مين دي فهقول أنا، أنا اللي المفروض في واحد متفق معايا إنه بيحبني وهيجي يتقدملي كمان كام شهر ودلوقت عامل نفسه ميعرفنيش بكل استفزاز.

قام أحمد بكل هدوء بعد ابتسام الفتاة الجالسة أمامه ومال ناحية أماني هامسًا في أذنها ومشيرا إلى المبنى القابع خلفها:

- على فكره شوفتك، فاهدي بقا شوية، بلاش مشاكل أكتر من كدا.

التفتت لترى ما يشير إليه وإذ بملامحها تتجمد وتسكن أنفاسها ثم تحاول الحديث بهدوء وتقول وهي تتلعثم:

- طب لحظة عشان بس متكونش فاهم غلط أنا هفهمك....
- أظن الموضوع خلص على كدا، دي عموما بنت عمي والحمد لله عمري ما كنت خاين، وللأسف محبيتش الموضوع يخلص بالشكل دا بس كل حاجة ليها وقتها، بعد إذنك.

هم أحمد بالانصراف هو وقريبته وتقف أماني محاولة استعادة كل اللحظات في بالها وتفكر كيف جرت الأمور على هذا المنوال وكيف تعاقبت الأخطاء خلف بعضها، كل ما يحدث ليس منطقيًا كل الأمور أخذت منحنى سيء للغاية.

لقد أنهى أحمد الأمر بطريقة سيضحك عليها فيما بعد فلقد تجاوز حبكات صناع الأفلام المصرية، ولكن تفكير شبابي ونهاية طائشة، لقد هدأت ناره قليلًا والآن حان دور كيفية إصلاح الخطأ الذي اقترفه في حق صديقه وكيف سيفعلها، قام بتوصيل ابنة عمه لمنزلها وظل طوال الطريق يفكر ماذا سيفعل، هل يذهب ولكن ماء وجهه ذهب كيف سيقابله،

ولكنه قال في نفسه "يعني ليك وش تزعله وملكش وش تصالحه"، بعض عصف ذهنه قرر عدم العودة لمنزله والذهاب لصديقه أولا ولن يتوانى في المحاولة.

وصل لمنزل صديقه وطرق الباب بهدوء ففتح عبد الرحمن سريعا فهو للتو دخل للمنزل، وتفاجأ من الطارق:

- خير يا أحمد مالك دا أنا يدوب سمعت الباب، انت اتحولت ولا حد عاملك عمل ولا إيدك اتشلت، عشان مش جي فدماغي أسباب تانية تخليك تخبط بالراحة كدا.
- اطلع من دماغي، أخوك فين.
- نايم في أوضته تقريبًا، أنا لسه داخل من بره معرفش.

ذهب لغرفة صديقه فوجده بالفعل نائم، فجلس بجانبه مترددا ماذا يقول، يريد أن يبكي ولكنه يتماسك، يحاول جمع الأفكار في رأسه ليقولها بشكل مرتب، هو يعلم أنه لا يحتاج للتفكير فهو صديقه سيفهمه بدون مجهود، ولكن الأمر ليس بهين فيجب أن يغير من طريقته في الاعتذار.

شعر عمر بأنفاس حوله لم يكن مستغرقًا في النوم ففتح عينه ليجد أحمد جالسًا بجانب سريره مطأطئ الرأس، فنظر واتسعت حدقتاه وأمسك بملابسه من عند صدره وقال بملامح مرتعبة قليلًا:

- هو انت منهم، عاوز إيه مني وأنا نايم، كله إلا الشرف.

كانت طريقة قوله للكلمة وإمساكه بثيابه كفيلة لتجعل أحمد يضحك مما جعل الموقف غريبًا فكل ما كان يفكر فيه قد ذهب أدراج الرياح ولم يعد يدري بماذا يشعر، ولكنه عانق صديقه بعينين دامعتين كما لو أنهم أطفال قد أجبرتهم المعلمة على إصلاح ما بينهم بعناق، ولكن عمر أبعده سريعًا قائلًا:

- أستغفر الله العظيم، هو النوع دا انتشر في مصر خلاص، انت مش مظبوط يالا ولا إيه، ارجع لفطرتك يالا بص في بطاقتك حتى عيب على شنبك اللي عامل زي كارت الشحن فوشك دا.

ضحك أحمد بشدة فهو لا يستطيع تحديد مشاعره ولا استيعاب أبعاد الموقف فالأمر لا يسير كما كان يفكر.

لكنه قال:

- يا عم متبوظش اللحظة، أنا جي أعتذر...
- أه قول كدا بقا، عموما من غير حوارات أنا مش مسامحك، اللي اتكسر جوايا مج مش كوباية.
- طب عمال تهزر ليه وانت زعلان لما انت مش مسامحني.
- وهو أنا كل أما حد يزعلني هكتئب؟ لا يا عم أنا راجل فرفوش بحب أفرفش نفسي.
- طب وسايب صورتنا على مكتبك ليه.
- عشان شكلي حلو فيها وأمي عملت بالمقص سمك فمعرفتش أقصها.
- ببلاوي متهزرش بقا أنا آسف يا عم، وقابلت أماني قبل ما آجي هنا واتخانقت معاها، وانت كل كلامك صح ف حقك عليا.
- فاكر أنا قولتلك إيه؟
- فاكر، وندمان والله عارف إنك قولتلي إنك مش هتسامحني، بس كلنا بنغلط وأنا مش همشي غير لما تسامحني.
- يا عم لا مش قصدي على دي، أنا قصدي على الكلمة التانية بتاعت "في عصير مانجا في التلاجة" لسه هنا من آخر مرة روح هاته بقا، وبالنسبة لمش هسامحك دي، كنت بحط التاتش بتاعي عشان أظبط المشهد بس، انت أخويا يالا، مع إني أمي متجيبش الحجم دا بس برضه أنت أخويا يا جدع.

ضحك أحمد في وسط همه من عفوية صديقه، كان يريد أن ينهال عليه ضربًا، ولكن على الرغم من ذلك شعر بهم ثقيل قد أزيح من فوق صدره.

- عارف يا ببلاوي انت مستفز ومعصبني، بس بحبك والله
- أستغفر الله العظيم تاني، مش بقولك أنت فيك حاجة مش تمام.
- يا عم بحبك في الله أنت دماغك بتروح فين.
- تمام بعد كدا قولها على بعضها عشان الجو لبش اليومين دول.

- بقيت سنجل كحيان زيك أهو.
- احمد ربنا على النعمة، وفوق بقا شوية خلينا نركز في اللي جي عشان ربنا يكرمنا.
- خير إن شاء الله.

*****

بعد مغادرة نور وعبد الرحمن للمكان الذي كانا فيه قال عبد الرحمن لنور أنه يشعر بالملل ويريد الذهاب للمنزل، شعرت نور قليلًا بالضيق لكنها استجابت لكلامه، فلقد كانت تريد الذهاب أيضًا للمنزل.

وفي وسط الملل الذي تشعر به وهي جالسة وحدها بالمنزل بعد اليوم الذي لم يمر على خير جاءتها رسالة من محمد صديق عبد الرحمن قائلًا:

- نور إزيك، كنت بس عاوزك في موضوع.
- خير يا محمد اتفضل.
- هقولك على حاجة بس ياريت متحاوليش تفهمي غلط، ياريت تبعدي عن عبد الرحمن، ودا لمصلحتك انت والله.
- .....
- أنا فاهم إنك مستغربة، بس والله أنا صاحبه ومش هحب أقول كدا بس عبد الرحمن مش من النوع بتاع الكلام جد وكدا، هو بياخد الحجات دي من باب التسلية مش أكتر.
- انت عشان سيبت أميرة فبتحاول تخليني أسيبه عشان تبقى انت وهو مش مرتبطين ولا عشان عاوز تكلمني؟
- انت فاهمة غلط خالص، أنا اتفقت مع أميرة إننا مش هنتكلم لحد ما ربنا يقدرني وأتقدملها، ثانيا أنتِ فاكرة إن عبد الرحمن لو سابك هيبقى مش مرتبط؟ عبد الرحمن حاليا ممكن يكون بيكلم سبعة غيرك على أقل تقدير.
- ياريت تبطل كدب... من الآخر انت عاوز إيه.
- مش عاوز حاجة أنا كنت مش عاوزلك ضرر وفي كل الأحوال براحتك.

- تمام ياريت متبعتش تاني... سلام.
- أنا عملت اللي عليا، سلام.

قامت نور بمراسلة عبد الرحمن لتخبره بما حدث، فيشعر بالضيق ويتوعد لصديقه ويذهب لمحادثته.

- أنت بتكلم نور ليه أنا عاوز أفهم.
- أنا قولتلك بلاش اللي بتعمله، هي بتحبك وبلاش تئذيها وقولتلك عاوزك تمشي صح.
- يا عم وانت مالك، هي كانت قريبتك، بص يا صاحبي محدش بيخلي حد يمشي صح بالعافية أنت نصحتني وأنا مقبلتش، عاوز تمشي صح امشي بس حل عن دماغي.
- بس أنت صاحبي.
- يا عم ملكش دعوة أنا مبسوط كدا، عاوزنا نفضل أصحاب ملكش دعوة باللي بعمله.
- تمام يا صاحبي أنا آسف.

أغلق محمد هاتفه وهو يمطر صديقه بوابل من الدعاء بالهداية، ولم يتراجع عن كونه يريده أن يرجع عما هو فيه، فقرر أن يفعل أمرا لم يكن يحب فعله أبدا، أرسل إلى نور بعض من المحادثات الخاصة القديمة بينه وبين عبد الرحمن والتي كان بعضًا من محتواها عن تحديهم لبعض في محاولة الحديث مع نور، فشعرت بالدوار أثر صدمتها مما رأت، فلم تكن تلك الملاك البريء أن تتحمل رؤية ثقتها في أحدهم تتحطم بهذا الشكل، لقد تحولت كل مشاعر الحب في قلبها لكره خالص، أو لا تستطيع تحديد ذلك ولكنها لا تريد أن تراه مجددًا، شعرت بالطعنات تأتي متتالية على قلبها الصغير، فما تشعر به من غدر من أقرب الأقربين إليك يترك ندوبًا لا تشفى، ولا تستطيع التأقلم معها ولا حتى فهم ما تمر به كيف تتجاوزه، الأمر أشبه بأن تطير إلى أعالي السماء وتسقط مبتسمًا ثم تدرك في النهاية أنك لا تمتلك مظلة لتحميك من الاصطدام، فلا البكاء يفيد

ولا الحزن يجدي، ولا اللوم والعتاب قد يصلح شيئًا لقد فقدت جزءً داخلك لن يعود مجددًا.

لم تستطع نور منع نفسها عن كتابة كلمة شعرت بمرارتها في حلقها:

- عبد الرحمن... أنا بكرهك.
- هو محمد لعب في دماغك ولا إيه.

بكت نور، بكت من تمسكه بالكذب واستمراره في اللعب بمشاعرها، بكت كما لو أنها تريد غسل مشاعرها بدموعها، ويا ليت الدمع يكفي للمداواة:

- محدش لعب في دماغي محمد وراني شات بينك وبينه، ومش قادرة أستوعب إني كنت بالنسبالك تحدي وبس.

شعر عبد الرحمن بأن الأمر لم يعد يحتاج كذبًا أكثر وأنه بات جليًا.

- محدش قالك حبيني.
- أنا وثقت فيك، وحبيتك وكنت أول حد أكلمه، وفعلا كنت مبسوطة معاك، وكنت مستعدة أكمل معاك للآخر.
- طب ما انته تكملي معايا للآخر.
- وبعد ما عرفت إني مجرد لعبة فاكرني هكمل.
- ومين قال إني ممكن أسيبك أنتِ معايا بمزاجك أو غصب عنك، بينا شات كتير وصور كتير وسهل جدًا الحجات دي تطلع من فوني بالغلط كدا ولا كدا.
- بجد أنت وصلت للدرجة القذرة دي؟
- ياريت يكون الكلام يكون بشكل أفضل من كدا.
- اقفل يا عبد الرحمن ربنا يسامحك.
- هسيبك تهدي شوية ونتكلم بعدين.

وأغلق الهاتف وتركها تغرق في بحار دموعها التي كانت كفيله بجعلها تشعر بالاختناق وتودع أنفاسها للحظات، فسلب الحرية من طير حر قد يجعله يقتل نفسه ولا أن يستسلم للأسر، لقد تحطمت كل ملامح الطريق، واختفت الصورة الجميلة المليئة بأشعة الشمس تتخلل الحياة الوردية، لتظهر مكانها سحب سوداء وطريق مظلم لا

تهتدي لمعالمه، ولا تدري ما القادم وما سيخبئه المستقبل، والأدهى أنها لا تستطيع التحكم فيما يحدث تاليا، لقد شعرت بالحقارة في نفسها، وكيف بعد كل هذا لا تُرى إلا على أنها تعدي ولعبة، لا تستطيع التفكير فيما أخطأت حتى ترى كل ذلك.

حاولت التمسك بآخر أمل لها وأرسلت لمحمد رسالة تعتذر فيها عن طريقتها في الحديث بشكل سيء منذ قليل وتطلب منه المساعدة فهي الآن تحت التهديد، لم يكن ذلك في حسبان محمد ولكنها طمأنها وأخبرها بأنه سيحاول التصرف في هذا الأمر، لقد كانت كلماته خيطًا هشًا من الثقة تحاول التعلق به، فالغريق سيرى القشة طوق نجاته، وسيتمسك بها كأمله الأخير على الرغم من إدراكه أنها ما زالت قشة ولكن الإيمان لا تراه إلا في أحلك المواقف كما لو أنه لا يوجد في سواها.

ذهب محمد لمنزل عبد الرحمن لا يدري ماذا سيفعل كل أفكاره تهاوت في الطريق هو فقط يدعو الله أن يصلح الوضع، حين وصل فتح عمر الباب له، وأذن له بالدخول فدخل وسأل عن عبد الرحمن فأخبره بأنه يستحم ويمكنه الانتظار في غرفته حتى يخرج، دخل محمد ووجد الهاتف متصلًا بالشاحن فحاول مسح محتوياته لكنه عبد الرحمن كان قد دخل فجأة وسحب الهاتف سريعًا صارخًا فيه ماذا تريد من الهاتف، فلم يكن من محمد إلا أنه حاول إفاقته من وحشيته تلك، لقد أراد إنهاء الأمر هنا ولكن لم يستطع، أمسكه عبد الرحمن من ملابسه وحاول التعدي عليه بالضرب، ولكن محمد تفادى الأمر ولطمه بشدة، فلم يستطع الآخر تمالك نفسه ولكنه كتم غيظه وأمره وهو يصر على أسنانه، بالخروج من المنزل.

- أنا مش هقول إنك طردتني من بيتك، بكن انت صاحبي ومش هسيبك كدا.

أنهى محمد كلماتك وخرج بهدوء وهو يعلم أن الأمر لن يمر بسلام، وهو بالفعل ما حدث فقد أرسل عبد الرحمن رسالة لنور يخبرها بأنه يريد أن يلتقي بها في مكان قد حدده مسبقًا، وعلى الرغم من بكائها وتوسلها إلا أنه لم يقشعر بدنه حتى، ولم تكن هي بأفضل حال، فلقد ظلت تلوم نفسها على ما تورطت به من متاعب لقد كرهت الحب وما يأتي من ناحيته.

على جانب آخر تحدث محمد مع عمر على ضرورة لقائهم فالأمر هام مبيتًا النية على إخباره بالأمر برمته، ومحاولة وضع حد له لعل الأمور تهدأ ولا نرى ما لا يسر لاحقًا.

*****

أفضل ما يمكن أن تجده في نفسك هو أن تجد نفسك تلجأ لله في الفرح والحزن، قاعدة تجعلها في حياتك، حين تفرح تسجد شكرًا، وحين تحزن تتضرع طلبًا للعون، ومهما كانت فداحة خطئك فالله لا يرد من طرق بابه، بيّت النية واعزم على الاستغفار وأن ترتدع عن فعلك، كل الأمور يمكن إصلاحها، الله يغفر لمن عزم على طلب المغفرة، وعزم على الالتزام بالصواب، الله معك حين ينأى عنك الجميع.

نحن نتقرب في أوقات الهم فقط، وهو ما لا ينصلح به حال، فكل من انتحر لم يكن يرى عظيم قدر الله حوله، بل لجأ حين الحزن فلم يستشعر قربه ففقد إيمانه، لكن الله دومًا حولك لا يحيطه شيء وهو يحيط كل شيء، ستعلم قربه في كل لحظاتك حين تريد أمرًا بشدة فيسهُل لك، يكون هذا بمثابة أنا معك لقد سمعتك، وحتى حين تدعو فلا يستجاب، تجد لاحقًا أن هذا كان حفظًا منه.

كل الأمور تسير بمشيئة الله وقدرته يبتليك لترجِع؛ فلقد ابتعدت قليلًا، يكافئك لتشكر؛ فشكرك محبوب، لم يكن البلاء أبدًا نقمة وإنما هو تكفير لذنب أو زيادة لأجر، كل ما فات من يدك لم يكن خيرًا ولم يكن مكتوبًا في قصتك التي كتبها الله لك، لا يجب أن تأخذ كل ما تريد؛ فليس كل ما تريد يكون جيدًا أنت لن تعلم أكثر من الذي خلق لك ما تريد، إيمانك سيوجهك؛ فلا تركن لسواه.

*****

ذهبت نور للمكان الذي قد أخبرها به عبد الرحمن دون أن تخبر أحدًا حتى صديقاتها لم تعد تخبرهم شيئًا يخصها من ناحية هذا الأمر لا تدري هل خوفًا من الشماتة أم ندما على سماعها كلامهم من البداية، الدموع لا تفارق مقلتيها، وما إن وصل الآخر قال:

- معلش يا عسل اتأخرت عليكي.

- .....
- مبترديش ليه، عايزة القعدة تبقى كئيبة ليه طيب؟

الصمت يعم المكان فذهابك لمقابلة شخص وأنت تحبه تختلف كل الاختلاف وأنت على شفير الموت من الخوف منه، رعشة الجسد لن تتوقف حتى لو لم يكن لها سبب، الخوف يقبع في القلب فكيف ستواري رجفتك والقلب يضخ الدم وهو يرتعش.

- أنا جيت زي ما طلبت، ممكن أعرف عاوز إيه.
- في إيه يا حبيبتي، ما هو بطريقة الكلام دي هتفضلي زعلانة.
- متقولش بس حبيبتي.

يقترب منها محاولا وضع يده على خدها، ولكنها تدفع يده سريعا فجذبها من ذراعها، ولكنها تملصت وفرت تركض والدموع تغرق وجنتيها، حتى وصلت منزلها، حين رأتها والدتها في تلك الحال سألتها ما الذي حدث، فلم تستطع إخبارها سوى أنها تشاجرت مع أحدهم، فلم يكن من أمها سوى أن أخبرتها أن تغسل وجهها وترتاح قليلًا في غرفتها.

*****

أحيانًا تنشأ مشكلة في غالب البيوت بسبب "الحوار"، للأسف ليس موجودًا في الغالب، فالأمور تسير على قواعد دون النقاش في كيفية السير عليها، هناك أمور دينية لا يصح النقاش فيها وليس علينا إلا الامتثال ونسمع ونطيع؛ فهذا الدين لا نختار فيه، ولكن الأمر الدنيوي النقاش فيه واجب.

ولكن تجد الحوار يبدأ بلطف واجتذاب الصراحة، فإذا ظهرت الصراحة وكانت مخالفة لهوى الوالدين انقلب الأمر جحيمًا دون نقاش وتأنيبًا دون أعذار، فيسلك الحوار مسلك الجريمة، ويترك في النفس غصة لا تُحل، وتقتل كل سبل الأمان في البيت، فيختفي الكلام وتلجأ لعرض مشكلتك للغير، فتصبح عاريًا في منزلك لا تجد من يستر ضعفك أو يحتضن حزنك، فأنت إن أخطأت فلقد ارتكبت أسوأ الجرائم، وتحمل الذنب ولا

تسقطه، ويمتلئ صدرك بالأثقال الجاثمة لا تستطيع حملها وحدك ولا تجد من يحملها معك.
تشعر بالوحدة؛ فمن هم أساسًا حولك لم يستمعوا لك كما تريد، فعلت الذنب وتدرك فداحته، وبدلًا من مساعدتك حمّلوك همومًا أكثر، وتظل دائرة الطعنات تستمر، وأنى تخرج منها سليمًا.

انجذابنا نحو أشخاص خارج حدود الأسرة لا يكون إلا بسبب القلق من الأسرة، يمكن أن يسألني صديقي أين أنت أو كيف حالك ويسألنا أهلنا نفس الأسئلة، ولكن سؤال صديقي بدافع الاطمئنان وسؤال أهلي بدافع الفضول، فإن قلت لصديقي أنا في ملهى ليلي، ربما ستضارب أفكاره محاولًا إخباري أن هذا خطأ أو حتى يسأل عن سبب ذلك، أما إن قلت ذلك لأهلي فسأتلقى سيلًا من السباب عن قلة تربيتي، وعدم اكتراثي للمجهود المبذول في إصلاحي، فينتقل الحوار من حوار آمن إلى طرق متشعبة من الكذب والتورية، تضعف القلوب لدرجة فهمها أن الكذب سيكون ملجأً آمنًا أكثر من إخبار أحد سيضاعف إحساسي بالذنب.

تلك الأمور تؤخذ على الغالبية وليس العموم، فهناك من رحمهم ربي من الأهل يدركون حجم العواطف وأهميتها وكيفية مراعاتها والتعامل معها بأسلوب آمن غير منفر.
قارن بين رد الصديق ورد الأهل حين تحزن، صديقي لن يتركني حزينًا أبدًا، لكن الأهل قد يسألون ماذا بك فإن قلت لا شيء فأنت حر، ولكن لا يمكن أن تكون الحرية بدون أمان، هل أنت ملجأ آمن يمكنني أن أستغل حريتي وأذهب إليه أم أنا حر فقط لأبتعد عن رأسك، الطفل إن لم تعوّده على اللجوء لك سيلجأ لغيرك، فإن شاب وفهم سيظل يحمل ثقبًا أسود في قلبه يمنعه من الحديث معك؛ فهو لا يعلم بأي الطرق ستحمله ذنبًا أكبر.

"لا أنتظر الكثير منك، أنا فقط أريدك أن تفهم أني أصيب وأخطئ، أنا أعلم أنك أخبرتني بأن هذا خاطئ وقد فعلتُه، بدلًا من أن تخبرني بأنك نادم على تربيتي ساعدني مرة أخرى على تجنب الخطأ، تحدث معي عن كونك فخورًا بي وأن هذا الخطأ لن يهدم الثقة التي بنيناها سويًا معًا، فقط أخبرني أن كل الأمور يمكن إصلاحها.

أنا أعلم أني مخطئ وإلا لم أكن لأشعر بالندم، أنا ما ذهبت لأحد إلا لأن الأمر أصبح ثقيلًا عليّ وحدي وأنت لم تكن لتقبل كوني بشرًا يمكن أن أخطئ، أنا لم أجد الأمان معك، وحين حاولت أن أراه في الغير رأيت الكون سيءا جدًا لم أعد أجد من أحتمي به، لقد شعرت بالخوف فقط حين لم أجدك ملجأ من البداية فلما بحثت عن أحد آخر وذهب حينها شعرت أن الحياة خذلتني.

قلبي متعب ويبحث فقط عن حضن يظل في كنفه، فلا تفلت يدي ولا تخذل قلبي ولا تترك من في الخارج يصل إليّ، أنا أحبك ولكن أنت لا تريد أن تفهم ما أريد أن أخبرك به، لا ترى الصواب من منظوري، وأنا لست آلة لأسير على خط لا أحيد عنه، أريد أن أقترب وأبتعد وأنا أعلم أنك ستكون معي دومًا، أريدك أنت، لا أحد سواك"

رسالة من محطم لوالديه.

لجوء الفتاة لغير أهلها وإيجاد الأمان في إطار غير مباح ليس من قبيل الصدفة، فالولد يعرف أن من تلجأ لهذا ينقصها شيء، هذا هو الوتر الذي سيتم العزف عليه، من وجد الأمان في الظلام الحالك في ليلة عاصفة لن يشعر بأنه ينام في كهف نمر لا يستيقظ ليلًا، فإذا أتى الصباح لن يدرك بأنه قد تم ابتلاعه.

الإنسان ضعيف بطبعه، فإن جهل الخطأ وفعله فيلزم تقوميه، فإن علمه وفعله فيجب ردعه بالحسنى، فإن تكرر فيجب زجره، كل حبال الوصل يلزمها مرونة لتُشد وتُرخى، والوقوع في الخطأ يعقبه خطأ، وذوو العقول أولى باجتنابه، وأولى بتدارك ما يمكن أن يأتي بعده.

*****

تقابل محمد وعمر وأخبره الأول بكل ما حدث من بداية الأمر من أول لقاء حتى اللحظة الحالية، طالبًا منه حلًا لهذا الأمر، فيوافق الأخير قائلًا بأنه سيتصرف في هذا الأمر وما إن يعود للمنزل حتى يمسك بهاتف أخيه ويمحو كل ما عليه بلا استثناء هامًا وغير هام ثم يترك الهاتف، حين يمسك عبد الرحمن بهاتفه يجد أنه كما لو عاد جديدًا فيشتاط غضبا ويذهب لأخيه قائلًا:

- بقولك يا عمر هو محمد كان هنا؟
- لا خير؟
- مفيش بس في حد مسك تلفوني وحصل مشكلة فيه يعني.
- أنا اللي مسكت التلفون، كان في حاجة مهمة ولا أي؟
- لا بس كان عليه حاجتي الخاصة واتمسحت.
- متقلقش صورك كلها معايا.
- كان في حجات تانية برضه، في كل الأحوال كان واجب عليك برضه تقولي قبل ما تمسح حاجة، أنا عارف مفيش بينا كدا بس بتكون من باب العلم بالشيء يعني.

نظر عمر في عينه مباشرة وبنظرة لوم وعتاب قال:

- ناوي تكمل كذب كتير؟ أنا وأنت مش مجرد أخ وأخوه، المفروض احنا توأم وكمان بعتبرك صاحبي، بس أنت بتخون الثقة دي، إحنا متربيناش على كدا، أنا عارف إنك بتروح تلف ومش مسؤول عن حاجة بس برضه بقول الحمد لله مبيمشيش في حرام، مبيشربش سجاير مش مصاحب ناس وحشة، لكن متوقعتش إن في حجات كتير معرفهاش، أنا كنت قررت متكلمش معاك بصراحة، لكن قولت مش هسيب حاجة في نفسي مقولهاش، روح يا عبد الرحمن أوضتك، أنا هعتبر إن مليش أخ وشكرا على الثقة لحد كدا.
- طب اهدى بس إيه الكلام الكبير دا، هنتفاهم طيب.
- عبد الرحمن... لو سمحت من غير صوت عالي متتكلمش معايا، كله إلا حرمة البيوت وانت تعديتها، ودي مش أخلاقنا ولا تربيتنا ولا دا أنت اللي أنا أعرفه.

خرج عبد الرحمن من غرفة أخيه مطأطئ الرأس، الآن خسر أو يشعر بمرارة الفعل. على جانب آخر أخبر عمر صديقه محمد بالأمر والذي سارع لإخبار نور وإغلاق الأمر برمته، لعل تلك التجربة أن تنتهي بأن يتعلم كل شخص منهم شيئا مهما في حياته.

ذهبت أميرة وأماني لنور كما عادتهم للتجمع، ولم تكن نور بأفضل حال فعلى الرغم من إطفاء نار قلبها إلا أن الندوب ما زالت تحرق، وأثرها لن يزول بسهولة، أخبرتهم بالتفاصيل ولم يكن غريبا أن توجم وجيهما فأين كانا من كل هذا ولمَ لم تخبرهم بكل هذا، لقد بكت ففي النهاية قد خسرت شيئًا أحبته وبكت لأنها قد اختارت ما تحبه بشكل خاطئ، ما زال الأمر صعبا.

شاركتهم أماني ما حدث معها لقد كانت تلك المقابلة للفتيات بمثابة صدمات متتالية على كل ما يحدث، لقد كانت هناك أمور كثيرة مخبأة، أخبرتهم بموقفها وعن مظهر الخيانة التي ظهرت به، لقد صار كل شيء ضبابيًا أمام أعينهم، ولقد اكتسب كل منهما صدمة قد تظل عالقة في أذهانهم للأبد.

بعد سيل المشاعر قرر الأصدقاء الأخذ بيد بعضهم البعض لتجاوز كل تلك الصعاب وحان الآن كتابة صفحة جديدة لا يشوبها كل هذا السوء لقد اكتفوا مما حدث، لقد كانوا يعلمون مدى أخطائهم والآن لابد من إصلاحها، تخلل الحديث ذكر اقتراب موعد الاختبارات النهائية في المرحلة الثانوية، لتمغص بطونهم وتحول أذهانهم للتركيز على هذا الأمر وتدارك ما فاتهم في الفترة القليلة الماضية.

*****

حاول عبد الرحمن أن يحصل على العفو من أخيه بشتى الطرق ولكنه يتجاهل غضبا عليه وأيضًا لمحاولة تأديبه، وقد ضاق الأمر على عبد الرحمن فقرر الذهاب لمحمد ليعتذر له فمجرد اتصال لن ينفع فكلما كانت الصداقة أقوى كلما كان الخطأ أفدح ويلزمه اعتذار مناسب.

طرق الباب وحينما فتح محمد لم يعطه فرصة للحديث فقد انطلق عبد الرحمن متكلمًا:

- أنا آسف على كل حاجة أنت صاحبي ومكنش ينفع أتكلم معاك بالشكل دا، وبصراحة مش هستحمل زعلك أنت وأخويا الواحد حاسس إنه ملوش حد بجد.
- ولا يهمك يا صديقي، بس متبقاش بتراضيني بكلمتين وبس ننوي نعمل الخير وبس.
- يا عم أنا مش كافر والله.
- يا سيدي ومين قال كدا أنا بقول إننا نهتم أكتر ونساعد بعض وربنا يسهل طريقنا إن شاء الله، في الأول والآخر إحنا جايين الدنيا عشان نعمل خير ندخل بيه الجنة.
- إن شاء الله، أنا فعلا هحاول.

لقد تجاوز منتصف الطريق الآن ينقصه أن يراجع أخاه ويطلب مسامحته، لكنه ذهب أولا هو ومحمد لإمام المسجد مستفتيا عن كيفية التوبة وكيف السبيل للرجوع، فأخبره الإمام بأن ركعتين بعد الوضوء وقلب نادم على الذنب ونية معقودة على عدم التقصير والانتكاس كفيلة بأن تَجُب ما قبلها، والله يفرح بتوبة العبد واستغفاره.

بناء جبل يلزمه ذرات تراب، وبناء قصر في الجنة يلزمه إخلاص في تحري الطريق نحو الصواب، والدالون على الله في الأرض هم الشعل التي تنير طريق الضال والمرتاب، التكبر يمنع العلم، والكسل يثبط العزيمة، وطريق الجنة تحفه من جميع النواحي صعاب، فلن يصل إلا مريد صادق، ولن يتهاوى إلا منافق كذاب.

كان عبد الرحمن عازما على قطع شوط طويل في طريقه الذي اختاره ومن أول يوم ظهر على محياه كيف يريد التغير، فلقد غير طريق لباسه ولم يعد يفوت فرضًا في المسجد، كان أخوه يتجنبه ولكنه استمر في طريقه لأجل نفسه وقال هو أخي سنتحدث في النهاية.
وفي أحد الأيام بينما يذاكر أحمد وصديقه، وإذا بعبد الرحمن ينادي عليهم:

- أحمد قول لعمر العصر أذن تعالى نروح نصلي.

وانطلق في طريقه تاركًا خلفه نظرات اندهاش من أخيه على هذا الأمر:

- بسم الله الرحمن الرحيم هو ده عبد الرحمن أخويا؟
- أيه يا عم هو مش مسلم ولا إيه، بيقولك تعال صلِ، مقالش هنروح كنيسة يعني.

- مش عوايده، عاوز يصالحني باين.
- ما تعدي الدنيا بقا يا عمر دا أخوك برضه.
- يا عم خليه يظبط نفسه شوية، لكن أنا مش زعلان منه أوي يعني، وهو باين عليه إنه بيحاول يعمل حاجة تمام اليومين دول.
- ربنا يهدينا جميعا يا رب.

*****

التغير الحقيقي في الحب هو التغير للأفضل، ومنطق أن "من أحب أحدًا يحبه بعيوبه" هو تعدٍ على الجملة، أحب عيوبك التي لا دخل لك فيها، وحينها لا تعتبر عيوبًا، من عيوبك أنك عصبي... حسنًا لا يهمني، أحبك، من عيوبك أنك حساس للغاية... حسنًا لا أهتم، ما زلت أحبك، لا أرى هذه عيوب، هذه صفات وأنا سأتقبلها.

لكن عيوبك التي لا يمكن السكوت عنها هي كونك لا تصلي، أو كونك تدخن، أو تمشي في طريق ضال، هذا لا يمكن أن يكون حبًا وتلك عيوب لا تقبل، بل ويمكنك تغييرها وأن تصبح شخصًا أفضل.

من أراد أن يسير في طريق الصواب فستجد أول ما يجب فعله هو الاستقامة في الصلاة، فإذا استقامت صلاتك استقامت حياتك، واقترابك من الله هو عين الصواب، تناجي الله بالليل وتتقرب له بالنهار فتنال ما تريد دون حائل، لقد قال لك الله في كتابه «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، تخيل أن تطلب قضاء حاجتك من قاضي الحاجات، راحة وسكينة ما بعدها راحة، لا الأغاني ولا العلاقات ولا المحرمات تغني، ولكن نحن في غفلة ووهم.

*****

لا بأس أن تتألم قليلاً فالألم أحياناً يعيدنا للطريق الصحيح .

(There is nothing wrong with a little pain, pain sometimes takes us to the right way.)

(4)

بدأ موسم الاختبارات النهائية وقد آن أوان دخول مرحلة جديدة وانتهاء فترة من أصعب الفترات في حياة شاب مراهق كلها أيام وستنتهي تلك المرحلة لتبدأ مرحلة جديدة لتبدأ الحياة، كلهم كان على يقين بكرم الله وتوفيقه ليست الدرجات هي ما يحدد المجهود، كلٌ يعلم حجم تعبه وما بذل، والباقي هي أقدار الله واختياراته.

مر الامتحان الأول على خير حال وكانت بداية مبشرة لباقي الامتحانات، لم يشعر أي من أبطالنا بأي شعور سيء عسى أن تستمر تلك الروح للنهاية.

في حديث بين أحمد وصديقه قال أحمد:

- بقولك يا ببلاوي إن شاء الله نخلص امتحانات ونروح نتفسح.
- يا عم طب نخلص بس الأول، وبعدين إن شاء الله تكون بعد النتيجة عشان لو الواحد جاب نتيجة حلوة يكون ليه نفس يتفسح.
- يا سيدي إن شاء الله خير، لا تقلق يا دكتور ببلاوي الطب في انتظارك والبالطو الأبيض يلوح لك من هناك أهو.
- يا مسهل الحال يا رب أنا عارف إن مفيش تعب بيضيع بس الواحد بيكون نفسه في حجات معينة، ربنا يختار لينا الأحسن إن شاء الله.

أمام المدرسة بادرت نور قائلة:

- أنا جعانة، تعالوا نروح ناكل. "نور"
- هو أنت على طول جعانة. "أماني"
- أيوة أنا كمان جعانة، كدا كدا خلصنا الامتحان، تعالوا ناكل كشري ونشرب قصب بعدها. "أميرة"
- لا في فكرة ملوثة شوية ومضمونة، في واحد بيعمل حواوشي بـ3 جنية تعالوا نروح ناكل هناك. "نور"

- مضمونة إيه دا لحمة كلاب دي. "أماني"
- لا لحمة الكلاب أغلى من كدا، بس أيًا كان هتكون حاجة واثقين فيها. "نور"
- إزاي هتكوني واثقة منها؟ "أميرة"
- دلوقت الساندوتش ب 3 جنية، فأكيد أنت من جواكي عارفة ومقتنعة وواثقة إنها مش لحمة أصلية سواء حمير أو كلاب بقا، فأنت رايحة تاكلي ومتطمنة من جواكي... لكن لو مثلًا الساندوتش ب 20 جنيه وأنت عارفة إن الضمير ميت في البلد فهتكوني بتاكلي ومش واثقة هي دي لحمة أصلية ولا لا، لأن ممكن يكون المحل بيغش في اللحمة.. فهمتي. "نور"
- بعيدا عن قد إيه الفكرة مقززة بس منطقية، عموما أتفق يللا. "أماني"

ذهبوا لتناول الطعام وعند وصولهم للمحل نظروا لبعضهم وانتابهم ضحك هستيري على فكرة المكان برمته وعن الأسعار التي كانت بين ال 3 وال 5 جنيهات، قالت أميرة:

- هو ليه كاتب بلدي؟

ردت نور وكأنها الزعيم المدرك:

- هو يعني بيقول إنه بيستخدم لحمة بلدي.
- آه يعني اللي ب 5 دا أكيد بوليسي.

ضحكت نور على تلقائية صديقتها، فالأمر مريب حقا، ولكن الأهم أن تستمتع المعدة في النهاية.

يمر الاختبار تلو الآخر وتمر المواقف بحلوها ومرها حتى كان آخر يوم لهم في الامتحانات، خرج الطلاب وأنفاس الزفير الطويل تعلوا في المكان كما لو أنهم نالوا حريتهم بعد سجن طويل، لم يفكر أحد في ماذا سيأتي لاحقًا المهم أن الأمر انتهى الآن كما يعتقدون، الآن سيرون الحياة بشكل مختلف وفي الواقع أن الأمر السهل قد مر الآن، الجحيم يأتي لاحقًا.

قام أحمد بتذكير صديقه عن اتفاقهم في بداية الاختبارات حول خروجهم بعد انتهائها قال:

- إحنا خلصنا امتحانات هنخرج بقا نتفسح فهنطلع امته بقا؟

- يا عم خلها بعد النتيجة حتى الواحد يتطمن شوية.
- يا عم وهي هتفرق فإيه ما اللي ربنا يختاره هو اللي هيكون تعالى يا عم نروح ندلع نفسنا كله رايح ف الآخر.
- هعمل نفسي مقتنع تعالى نروح يوم الخميس بعد بكره يعني.
- طب هنروح فين؟
- نتقابل ونحدد ساعتها بس نطلع بدري في كل الأحوال، خلي الموضوع يمشي عشوائي أحلى.
- قشدا.

*****

- أخيرا خلصنا، أنا عاوزة أصرخ بجد، باي باي ثانوي. "نور"
- الواحد حاسس براحة نفسية رهيبة مش عاوز يفكر في أي حاجة تانية، الحمد لله السنة خلصت. "أماني"
- أنا جعانة أوي. "أميرة"
- مبسوطة مع يأجوج ومأجوج، بيقبضوكي كويس يعني. "نور"
- سيبي البنت في حالها يا نور، بالهنا والشفا على قلبك يا ميرو. "أماني"
- أنا أصلا لا أهتم لآراء أعداء الأكل زيكم، فهروح آكل حد يجي؟ "أميرة"

وانطلقوا جميعا لتناول الطعام، أتمنى في الحقيقة لو كنت أمتلك مطعمًا لكنت ضمنت مستقبلي ومستقبل أطفالي على حسابهم، فكلما التقوا تناولوا الطعام يا إلهي.
اتفقوا سويا بمناسبة انتهاء الامتحانات أنهم سيخرجون للتنزه قليلًا والاستمتاع بالإجازة القصيرة يوم الخميس، دون تحديد وجهة معينة فقط يلتقون ولتكن القرارات السريعة هي الحكم في الموقف.

من الجيد فعلًا لمرحلة الثانوية بالتحديد أن تكون كأي سنة لا تتوقف الحياة على نتيجتها، الله لا يضيع تعب أحد فمهما كانت النتيجة فأنت قد تعبت، فلتفرح ولتفعل

كل ما تريد، وبعد النتيجة كل ما كتب لك هو خير لك وأنت لا تعلم ما هو المستقبل في كل الأحوال، لا تهتم لنظر الناس للحالة فقط توكل على الله وأكمل طريقك.

في يوم الخميس تقابل عمر وأحمد فسأل أحمد:

- ها قررت هنروح فين؟
- هقولك بس متتعصبش.
- مش واثق فيك بس قول.
- هنروح سينما.. إيه رأيك؟
- وإيه اللي عصب فيها يعني عادي.
- أوك تمام يللا.. هي متعصبش ولا حاجة أنا بهزر.

التقت نور بصديقاتها بدون قرار على الوجهة حتى اقترحت نور أن يذهبوا إلى مكان فيه سينما أو ملاهي أو أماكن للترفيه بشكل عام، وبالتأكيد مطاعم جيدة.

على الجانب الآخر بعدما وصل أحمد وعمر للمكان المحدد نظر أحمد لصديقه نظرات حادة كان يريد أن يقيده في عامود إنارة أو وضعه تحت سيارة، لكنه تمالك أعصابه قليلًا وسأل:

- إيه دا بس عشان أفهم؟
- ما أنا قولتلك هنروح سينما ومتتعصبش، قولتلي إيه اللي يعصب وعادي، وبعدين نزلني على الأرض شكلي وحش وسط الناس، ربنا مديك شوية صحة هتفتري على الضعفاء اللي زيي.
- شوفت... أنت قولت سينما... يعني بتعرض أفلام أكشن، أفلام رعب، أفلام دراما، وهكذا دي تكون سينما ومفيهاش حاجة تعصب، لكن لما يكون واحد في جسمي وسني وواحد في سنك داخلين سينما كارتون دي مفيهاش حاجة تعصب؟
- ياه عليك متكبرش الموضوع ياخي ما هو دا اسمه فيلم برضه.
- يا عم متجننيش عليك، بقولك إيه أنت جبت آخرك معايا، وربنا هضربك ومش هسيبك غير لما تقول أنا تافه عشرين مرة.
- على فكرة بقا أنت مش بتقدر الفن وبتعاملني وحش.

رد أحمد كما لو أنه يتحدث مع طفل:

- يا ابني افهم أنت دلوقت طالب جامعي منظرنا إيه قدام الناس واحنا داخلين فيلم كارتون.
- أهو شوف الجانب المشرق، أنت قولت فيلم يللا بقا زي الشاطر هاتلنا تذكرتين وكدا كدا القاعة بتطفي ومحدش هيشوف حاجة.
- حسبي الله في معرفتك دي يا أخي.
- صديقي الصدوق، لازم تستمتع باللحظة، لا تخجل من هواياتك يبني فالعالم سيقيدك فقط، ودي جملة أنا لسه مألفها دلوقت.

وصل الأصدقاء الثلاثة للسينما أولا وذهبت نور لتشتري التذاكر وبعد دخولهم للفيلم وقبل انطفاء الأنوار شاهد عمر فتاة في الصف السابق له على اليسار من بعيد فتوقف قليلًا ناظرا لها في الظلام حتى أضاءت الشاشة فرآها لم تكن الرؤية واضحة كثيرًا ولكنه توقف للحظات، ثم أبعد عينيه سريعا، فهو ليس من هذا النوع، ولكنه لم يستطع تمالك نفسه ف كل بضع دقائق يلتفت ليخطف بعض النظرات، وفي نفس الوقت يقول في نفسه ماذا بك يا فتى هل ستنحرف في النهاية أم ماذا فلتمسك بنفسك قليلًا.

بعد انتهاء الفيلم خرج أحمد قائلًا لصديقه:

- الخطوبة إمته يا صاحبي إن شاء الله.
- خطوبة مين؟
- اللي كنت بتبصلها، ما هو أنت أكيد معندكش مرض كلابي يخليك تبص ورا كل شوية يعني.
- لا يعم أنا مش بتاع الكلام دا.
- أومال كنت بتبص ورا كل شوية ليه كان فيه شاشة تانية ورا؟
- أنت عاوز مني إيه ياعم حاططني في دماغك ليه.
- ببلاوي العاشق الولهان، أكمل اللي كنت بتقولهولي؟ ياخي لا أحب الشماتة ولكن يعجبني الزمن حين يدور.
- أنت رخم يالا مفيش الهبل اللي في دماغك دا.

- أنا هروح أجيب أيس كريم على ما أنت تهدي من الولع اللي أنت فيه دا شوية... يا ولهان.

وسار أحمد وهو يضحك محاولًا استفزاز صديقه.

على جانب آخر خرج الفتيات مستمتعين بالفيلم، وبالمناسبة كان نفس الفيلم الذي دخله الشابان، اتفقت الفتيات أن يذهب كل من أماني وأميرة لشراء المثلجات، وتذهب نور لشراء بعض غزل البنات ويلتقون مجددا في نفس المكان.

التقى أحمد عند البائع بعيون أماني وثارت موجة من المشاعر المختلفة، شعور بالحرج والصدمة من أماني بسبب الموقف التي كانت فيه في السابق، وغصة في قلب أحمد بسبب فقدان شخص قد أحبه يوما، لكنه تجاوز مشاعره وابتسم وانطلق في طريقه وكما أن شيئًا لم يحدث.

بينما ينتظر عمر على أحد المقاعد وإذ به يرى نور ولكنه لا يعرفها فلم يلتقي بها من قبل أو هو لم يكن مهتمًا بلقاء أحد كان مهتمًا بكتبه فقط، رآها تشتري بعض البالونات وتعطيها لبعض الأطفال وسط ضحك عفوي وكما لو أنها تجسد السعادة النقية في ابتسامتها.

- مركز ف إيه؟ هي برضه ولا عينك زاغت.

كان صوت أحمد الذي قطع الصمت والشرود من الموقف.

- هي اللي ماسكة بلالين هناك دي.
- اللي لابسة بلوزة عليها ورد دي؟
- أه هي مش عارف، حاسس بحاجه غريبة ضحكتها حلوة وبتحب الكارتون، لطيفة بتلعب مع الأطفال، بسيطة بشكل لطيف.

أمسك أحمد صديقه من كتفه وحركه بشده:

- ببلاوي فوق، أنت سكرت ولا إيه، سيبك من لعب العيال ده أنا مش هفكرك بكلامك، ومش هتحكم على شخصيتها من موقف، وبعدين تخيل شوفت مين النهاردة، مش هسيبك لفضولك.. شوفت أماني.
- وعملت إيه كلمتك أو كلمتها؟
- لا بصيتلها وسيبتها ومشيت كانت صفحة واتقفلت خلاص، الواحد اتعلم خلاص.
- إن شاء الله اللي هحبها هروح أخطبها على طول، بقولك إيه تعالى نشوف مين البنت دي عشان أروح أخطبها.
- يا عم الخفيف أنت امسك نفسك شوية أنت بتسيح مني.
- أنا غلطان إني بقولك على حاجة أصلا تعالى نلف شوية.

اجتمع الفتيات الثلاث ولم يخبر أحمد صديقه باسم الفتاة وأن اسمها نور صديقة أماني والتي كان أحمد يعرفها، لقد كان ذكيًا لدرجة لم يعطِ الأمر أكبر من حجمه فلا أحد يعلم ما يخبئه القدر بعد ذلك.

بعد ظهور نتيجة المرحلة الثانوية ولحظات توتر الأعصاب التي تصاحب كل من جد في تلك الفترة ليرى إلى أين سيتجه، كانت نتائج الفتيات مرتفعة فلقد قُبلت أماني في كلية الطب وأميرة في كلية طب الأسنان ولكن أماني قررت التحويل لطب الأسنان لتكون هي وصديقتها مع بعضهم، أما نور فلم يحالفها الحظ في لتكون معهم فقد كانت نتيجتها أقل لتستطيع اللحاق بكلية الصيدلة ولكنها لم تحب ذلك فقامت بالتقديم في كلية العلوم.

أحمد قد حقق ما كان يصبو إليه فالتحق بكلية الهندسة ولكن عمر قد كتب الله له النجاح في مكان آخر والتحق بكلية العلوم كان الحزن يعتريه فلم يتوقع ذلك لقد جد طوال تلك السنة وبذل أقصى ما بوسعه، كان أحمد معه مواسيا يخبره بأن هذا هو اختيار الله له، ولا يضيع الله تعب أحد ولا أحد يعلم أن يقبع الخير له، لا تحزن على مجهودك فالأرقام لا تدل على الجهد بل هي تحصيل حاصل فقط، السعي الحقيقي يبدأ من الآن، كن مستعدا.

لم يكتب على محمد وصديقه أن يفترقا فلقد جمعتهم نفس الكلية ليسيرا في الطريق سويًا مجددا نحو مكان أفضل بتوفيق من الله وكرمه.
الآن فقط تبدأ الحياة، الآن يبدأ السعي في هذه الدنيا فمن سيصل سليم القلب في النهاية؟

*****

أكثر من يظلم نفسه في مرحلة الثانوية هو من كان يجد ويجتهد ولكن لم يرَ نتيجة مجهوده أو مجموعه لم يرقَ لتطلعاته؛ فيصيبه من الهم ما يثبط آماله وهو والله سوء ظن بالله، الأهداف توضع للسعي لها ولا يتحتم الوصول إليها، إنما هي خطوات للسير فقط، فإن وصلت للهدف فهذا اختيار الله لك، وإن كان غير ذلك فهو بسبب أن الطريق للأهداف واحد، ولكن نتيجتك التي اختارها الله لك في مكان آخر، وكل الأهداف تهون إن كان هدفك الجنة.

كل ما في الأمر هي وسائل، تجد وتجتهد وتدعو الله بالتوفيق، لا يلزم لمقدار معين من السعي أن يكون هناك مقدار معين من النجاح، الأمر بيد الله توفيقيّ بحت، والأوهام التي زرعها المجتمع ما هي إلا تثبيط للهمم وأكثرها ضلال ناجم عن جهل وقِصر في حدود تفكير العقل، وهو الغالب على مجتمع مريض بالمظاهر، حتى إن الله قد أكد في كتابه حيث قال: «وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ»، يضلونك عن طريق الجنة ويضعون أمامك طريق دنيوي بقواعد وقيود ما أنزل الله بها من سلطان.

الطب والهندسة هما مجالات والنجارة والحدادة هي مجالات، ولكلٍ دوره، نظرة المجتمع لن ترفع من شأنك أو تقلله، اهتمامك يكون أفضل عندما تهتم بنظرة الله لك وليس نظرة المجتمع، هل تصلي؟ هل تقول الحق؟ هل لسانك طيب؟ هل فعلت ما يدخلك الجنة؟ إن كان كل ذلك لا فكيف لا تحزن على ذلك وتحزن على أمر دنيوي زائل؟!

إن الله لا يضيع سعي أحد، ولكن لكلٍ طريق، وكل الطرق تبدأ معًا، الأهم أن تحافظ على سلامة قلبك في أي طريق اختاره الله لك.

الثقة بالنفس هي أهم ما يعين على التأقلم مع الموقف، لا يهم ماذا يأتي المهم كيف ستتصرف مع ما يأتي، كيف ستبدأ مرحلة جديدة بعد كل طريق فكرت في نهايته ولم تأتِ، الثقة بالنفس تنشط العقل لعيش يوم بيومه، لا تفكر كثيرًا في المستقبل إلا لاتقاء شروره، تفكر في السيء لتتجنبه، فإذا أتى علمت أن في تفاديه خير، الثقة بالنفس تجعل من كل الأمور خيرًا في وجهك فأنت واثق أن الله لم يضع العقبات في طريقك إلا لأنه يعلم أنك ستتجاوز ذلك كله.

أنت الوحيد من تعلم عن معاناتك وتعلم عن حجم الجهد الذي بذلته في خطوات حياتك، فلا تهتم لرأي من حولك في النهاية، الناس ليسوا لجنة تحكيم لتقييم أفعالك ونتائج وصولك ولم يشاركوا معك تعبك طوال مشوارك، فمهما كانت النتيجة لا تجعل أقوالهم أو ردود أفعالك ترفعك للسماء أو تهبط بك للأرض، كن أنت سبيل التقييم الوحيد لنفسك، إن لم يفرح لك أحد فافرح أنت بما بذلته من جهد.
ستنال كل ما جاهدت لأجله، ليس شرطًا أن تحصل عليه كما تريد، ولكن ثق دومًا أنك ستحصل عليه كما تحب.

كل شيء مقدر لوقته، ولن تموت حتى تستوفي رزقك، ما لم تنله الآن هو لك ولكن في وقت آخر، دع عن عقلك هذا التفكير الروتيني؛ فأنت لست آلة، إن لم تكن الحياة عكس التوقعات فعلى أي أساس يكون النجاح؟ وأين متعتك في الحياة وأنت تكرر ما فعله غيرك مرارًا؟ أين سبيلك الخاص؟

لا تظن أن أهلك ينتظرون منك إنجازًا ما، كل ما في الأمر أنهم ينتظرون سعادتك، وللأسف قد حصر المجتمع السعادة والنجاح في أن تصير طبيبًا أو مهندسًا، ربما ستكون فرحتهم لا يسعها فرحة حينها، ولكن ما النتيجة إن صرت طبيبًا فاشلًا أو حتى لم تجد وظيفة أو عملت بلا شغف؟

اكتشف نفسك وابحث عن السعادة بطريقتك الخاصة، اتبع شغفك وانظر إلى النجاح الذي يحققه من يخرج عن الصف ولكن ما زال يعمل، لا تخرج عن الصف وتتخلى عن بذل الجهد، اجعل لك طريقًا خاصًا بطريقتك، اترك أثرًا تُذكر به بعد رحيلك.

لقد خلقنا الله مختلفين في كل شيء حتى يكون التنوع للمساعدة، ما الذي سيحدث لو كان كل العالم أطباء؟ من سيبني لك منزلًا؟ ولو كان الجميع مهندسين من سيصلح سيارتك؟ ولو كان الجميع يعلمون الميكانيكا من سيدير دولتك؟ ومن ومن ومن... كلنا بارعون في شيء قد خلقنا الله له، كلنا لنا رسالتنا، والأسمى في الرسائل أن تكون كل ما عملت من أجله طريقًا وشفيعا لك للجنة، لا تعمل من أجل أحد، كن نفسك وهدفك الجنة.

*****

في أحد الأيام وبينما عمر يقلب بين الصور على برنامج إنستغرام كانت هناك صورة على أحد حسابات النادي الأهلي وهو ذو طابع غريب قليلًا فقد فتح قائمة من أعجبوا بالصورة لم يكن عددهم بالكثير حينها، وظل يقرأ الأسماء بملل دون شغف، حتى جذب انتباهه أحد الحسابات بصورة فتاة جميلة فضغط وظل يتصفح في حسابها الذي كان عبارة عن صور بلغة أجنبية وبعض صور الأطفال والقطط، ولم يكن هناك أي صور لها سوى الدائرة الصغيرة التي في الأعلى لم يستطع تحديد ملامحها فعليًا ولكنها كانت لنور وهو لا يعرف اسمها ضغط إعجابًا لبعض الصور دون أن ينتبه فأرسلت له (شكرا على اللايكات) فلم يدرِ بماذا يرد فقرأ الرسالة وسكت، ثم بعد قليل أرسلت له (دخلت كلية إيه) في الواقع هي قد تعرفت عليه فقد كان محور الحديث يومًا بين أصدقائها ولكن لطبعه الانطوائي كان مهمشًا ولا أحد يتحدث معه أو هو يتحدث مع أحد.

تعجب قليلًا من سؤالها فلابد أنها تعرفه لتعرف مرحلته العمرية وتسأله عنها ولا يتوقع أن تسأل بناء على صورته فهي لا تظهر سنّه الحقيقي، لكنه قرر الرد بتلقائية (كلية علوم إن شاء الله) هو لا يعلم أنها نور التي شغلت باله من أيام، لو كان يدري لكان أخرج لها قلوبًا من عينه.

قامت بالرد عليه سريعًا:

- شكلك بتقولها وانت متضايق.
- مش متضايق بس مش دي اللي كانت نفسي فيها.
- بس أكيد دي خير ليك.
- الحمد لله على كل حال هي الفكرة بس إن الواحد بيحس بالزعل لما يتعب على حاجة وميطولهاش.
- ربنا يوفقك إن شاء الله، أنا كمان هدخل علوم على فكرة، أنا كنت ثانوية برضه.
- بجد! ربنا يوفقك، بس هتدخلي علوم عشان هي اللي جاتلك ولا عشان حباها؟
- أنا جالي صيدلة بس عاوزة أدخل علوم.
- ربنا يوفقك في حياتك يا رب.

ظلا يتحدثان طويلًا في أمور مختلفة لكسر الملل الذي يصاحب الإجازة وطوال الحديث كانت نور تتأكد أنه لا يعرف من هي ولم تتعجب من ذلك فهو لا يخالط أحدًا ولم يكن يهتم بالأشخاص ولم يكن كثير الالتفات فدائما ما تشعر أنه يمشي في اتجاه واحد لا يستكشف ما حوله.

انتهى حديثهم قبل قليل من إرسال أحمد رسالة لصديقه قائلًا:

- إي يا ببلاوي أخبارك إيه يسطا، معدتش بتعبرني ليه؟
- هو أنا مش كنت معاك امبارح يالا؟
- ما أنت مكلمتنيش من امبارح.
- انت تعبان في دماغك يا صاحبي؟
- أنت معدتش بتهتم بيا زي الأول.
- هو أنت خطيبتي؟ وإيه معدتش بتهتم بيا دي؟
- أيوة يا صاحبي أنت معدتش بتحبني زي الأول.
- أستغفر الله العظيم يبني لو حد شاف الكلام هيبقى شكلنا وحش.
- إيه يا قلبي المعاملة دي؟
- نتفليكس مبسوطة منك على الآخر، حل عن دماغي يا عم متلبسناش تهمة.

- المهم هتقدم ورق الكلية امته
- معرفش هو التقديم امته؟
- معرفش أنا بسألك.
- مش عارف أنا كمان لو عرفت هقولك.

أنها عمر حديثه مع أحمد وذهب للحديث مع أخوه والذي هلل وجهه بعودة الكلام بينه وبين أخيه، وعلى الجانب الآخر فقد تحول عبد الرحمن لشخص مختلف كليًا لا يترك صلاة ولا عملًا في الخير إلا كان سباقًا إليه، كما كان صديقه محمد، وحقا إن أفضل ما يحصل عليه أحدنا هو دعوة بظهر الغيب وصديق يسحبنا للجنة.

بعدما انتهت الإجازة واقتربت الدراسة وحان وقت التقديم للجامعات لم يكن عمر على علم بالأمر فأرسلت له نور من باب العلم بالشيء فقط أن الجامعات قد فتحت أبواب التقديم شكرها على هذا الأمر وذهب في اليوم التالي ليستطلع الأمر، كانت نور في نفس اليوم هناك وعندما شاهدها توقف مشدوهًا عن كونها في نفس المكان الذي سيذهب إليه وهو لا يعلم أنه قد حادثها الأمس فهو ما زال لا يعرف أنها هي بشكل شخصي.

*****

أول يوم في الجامعة هو يوم حماسي بالنسبة للكثير تدخل مكانًا واسعا لمرحلة جديدة تظن أنها مثل الأفلام ولكنك ستتفاجأ بالكثير من (الكلاونز) وهم عباره عن فتيات قد تدرب على وجوههم بعض الرسامين لإخراج لوحات مرعبة، لن تستطيع التوقف عن التفكير في كون (النقّاش) قد أخذ منهم أجر العمل باليوم أو بالمتر، ومن لا تضع تلك البويات فهي (كلاون) أيضًا ولكن من الداخل، الجامعة عبارة عن مكان مليء بهذه العينات المجتمعية التي تم خداعها بأن هذه أفضل سنين العمر.

طوال مشيك في الحرم الجامعي ستجد المكان مقسم، حديقة خضراء ملتقى للعشاق الذين سقطت الكتب منهم في أول يوم نتيجة اصطدامهم ببعض، ومكان لاتحاد الطلاب الذين لا يتوقفون عن سرد قصص ترتيبهم لحلقات كوكب زحل، وعن كونهم قد حكموا

كوكب الأرض ولكن لتواضعهم فهم يسيرون وسط الطلاب، كما ستجد المكان المقدس لذوي العقول الراقية والذكاء العالي، أفضل الأماكن التي تم إنشاؤها على الإطلاق، المكان الذي أتعجب كيف لم يصبح مخترعه من حكام العالم ولا يوجد له تمثال على الأقل في كل مدينة، بالطبع إنه كافتيريا الجامعة، لن أتكلم كثيرا فالصمت في حرم الجمال جمال.

بالإضافة للعديد من الأماكن الأخرى الغير هامة مثل قاعات المحاضرات وغيرها، دعنا من الكلام الذي يؤلم المعدة هذا، فلنرجع لقصتنا.

يسير عمر في الجامعة وحيدًا كما أنه انطوائي وأحمد ليس معه لأول مرة وستكون تلك الحياة صعبة فهو لا يميل للتعرف على أحد ولا يتوقع أن يأتي أحد للحديث معه، وعلى الجانب الآخر نور تسير ببسمة أمل للحياة متشوقة لحياة جديدة والتعرف على أشخاص جدد، لكن ابتسامتها زالت حين دخلت الحرم الجامعي وهي لا تعلم أين ستذهب، ولا تدري من تسأل ولكن حين دخولها لمبنى كلية العلوم في الجامعة رأت فتاة شعرت أنها أكبر منها قليلًا فسألتها:

- لو سمحتي ممكن سؤال.

التفتت لها الفتاة وابتسمت لها وقالت:

- تفضلي.
- مكتوب في الجدول إن عندي محاضرة دلوقت ومعرفش مكانها فين.
- أنت فرقة كام وقسم إيه.
- فرقة أولى قسم كيميا مجموعة رقم 3.
- تعالي معايا أنت عندك سيكشن دلوقت مش محاضرة.
- إيه الفرق.
- المحاضرة هتاخدي فيها الجزء النظري مع دكتور المادة، أما السيكشن هتاخدي فيه الجزء العملي مع المعيد.
- آه فهمت، هو أنت معانا في القسم؟

ردت الفتاة بابتسامة لطيفة ولم تشكو من طريقة نور العفوية قائلة:

- أيوة معاكم في القسم.
- أنا اسمي نور، أنت اسمك إيه؟
- أنا أمنية معيدة في قسم الكيميا وأنا اللي هشرحلك السيكشن كمان شوية.
- .....

نظرت أمنية ضاحكة لتعابير وجه نور الجامدة التي لا تبدي أي رد فعل قائلة:

- مالك يا بنتي عملتي كدا ليه؟
- أنا آسفة والله لو كنت قولت حاجة غلط أو ضايقت حضرتك بكلامي، أصل حضرتك باين عليكي إنك صغيرة فكرت إنك معانا.
- ولا يهمك خالص اعتبريني أختك الكبيرة.

كانت تلك أول صداقة لنور في الكلية والتي ساعدتها كثيرا لاحقًا خلال تواجدها هناك.

- بعد انتهاء السيكشن ذهبت نور لأرض المأوى وملاذ الحزين وهي كافتيريا الجامعة لتجد أصدقائها جالسين هناك فتنفرج أساريرها فلم تتوقع رؤيتهم في هذا المكان:
- هو أنتم ورايا ورايا، أنا ما صدقت خلصت منكم شوية. "نور"
- متقلقيش قاعدين على قلبك. "أماني"
- إيه اللي جابكم هنا، وكمان نازلين أول يوم يعني ما شاء الله. "نور"
- طب ما أنت نزلتي أول يوم أهو ومقولتيش، وبعدين إحنا جينا لقيت أميرة سابتني وراحت تسأل ناس أكبر مننا على أحسن كافتيريا في الجامعة فقالولها إن كافتيريا علوم أحسن واحدة فجينا. "أماني"
- شوفتوا بأمن مستقبلنا أهم حاجة. "أميرة"
- مبسوطة في علوم؟ "أماني"
- أول يوم لحد الآن لطيف مخدتش غير محاضرة وسيكشن لنفس المحاضرة، ومفيش حاجة يعني لسه. "نور"
- حد يسيب صيدلة ويدخل علوم.. "أماني"

- أنا حباها وبعدين هو إحنا لازم ندخل اللي المجموع يجيبه، كل واحد يدخل المكان اللي حابه طالما متاح مش متاح يشوف مكان تاني ممكن يحبه، لكن فكرة المشي ورا المجموع ده فكرة حساها مفهاش أي شغف لحاجة. "نور"
- إي الكلام الكبير دا ريكو أنت تعبانه ولا إيه؟ "أميرة"
- انتظروني مع نور زويل قريبًا. "نور"
- كل اللي دخلوا علوم كانوا مفكرين إنهم هيطلعوا زويل، طبعا دا قبل ما يطلعوا على العباسية. "أماني"
- قال يعني هي عاقلة دلوقت، عشان نقول لسه هتتجنن. "أميرة"
- إيه الحفلة عليا ولا إيه، يا أعداء النجاح. "نور"
- لا طبعا ربنا يوفقنا كلنا أنا وأميرة هنروح عشان في معاد محاضرة دلوقت المفروض فبالسلامة بقا نلتقي بعدين. "أماني"

*****

عمر: لو سمحت ممكن أعرف فين مدرج (ب-2).

- هتلاقيه في الدور التاني، آخر الطرقة شمال.

عمر: شكرا.

كان يسير ممتعض الوجه، يزفر بشدة لطالما كره تصميم المستشفيات والجامعات الذي لا تعلم فيه أين تصل تلك الطرق بالضبط، في أثناء سيرة وجد نور لكنه قرر تجاهلها والالتفات حتى لا يثير فيها الشك أنه معجب بها، وهو أيضًا لا يعلم أنها هي من تراسله، تفاجأ حين نادت عليه قائلة:

- عمر.... رايح فين كدا؟
- .....
- أنت يابا بكلمك.... يا حج.
- أيوه.... نعم؟
- هو في إيه أنت تايه كدا ليه، بقولك رايح فين؟

- رايح مدرج (ب-2)
- أنا كمان تقريبًا إحنا نفس القسم.
- ها... آه فعلًا.

طوال سيره يفكر كيف تعرفه، ليس منطقيا أن تعجب بأحد فتجده يعرفك ويحدثك في اليوم التالي، أم هذا ما يحدث هو لا يعلم لم يجرب الأمر من قبل، فظل يسير بملامح جامدة جعل نور تتعجب من هيئته، هي تعلم كونه انطوائي ولكن ليس لتلك الدرجة، كما أنه يتحدث براحة في الرسائل ما باله الآن هل هو مريض أم ماذا.

بعد انتهاء اليوم ذهب كلٌ لمنزله أول شيء فعله عمر هو محادثة أحمد ليخبره بما حدث وعن غرابة اليوم برمته لكن بعد قليل جاءته رسالة على إنستغرام من نور قائلة:

- مالك، شكلك في الكلية النهاردة مكنش طبيعي، أنت تعبان ولا إيه؟
- وأنت شوفتيني إمته في الكلية؟

تعجبت نور من السؤال فلقد كانت تظن أنه غريب الأطوار لكن ليس مصابا بالزهايمر أيضًا.

- هو إيه اللي شوفتيني إمته، يابني منا كنت واقفة معاك إزاي مش فاكر، ولا أنت وقف معاك بنات كتير فمش فاكر مين فيهم أنا.
- لا موقفتش غير مع واحدة بس كانت بتقولي على مكان المدرج.
- عارفها شكلا بس، ومسألتهاش على اسمها، بس شوفتها قبل كدا في سينما قدرًا متخيلتش أشوفها تاني في نفس الكلية بتاعتي.
- وأنت لسه فاكر من يوم ما شوفتها، شكلها عجباك...
- يعني لفتت نظري المهم أنت وقفتي معايا إمته النهاردة؟

قالت نور في نفسها أنه إما غبي أو سكير أو مجنون.

- يعني أنا بقولك أنا وقفت معاك النهاردة، وأنت بتقول موقفتش غير مع واحدة بس... فإيه.
- لحظة هو أنتي؟
- ما شاء الله بتلمحها وهي طايرة ربنا يحميك.

- أنا بجد محرج جدا، ومكونتش مركز، لو كنت أعرف مكونتش هتكلم في موضوع عجباني ده.
- كنت هتعمل إيه يعني؟
- مكونتش هتكلم خالص، وآسف مش هعرف أكلمك تاني... مع السلامة.

وأغلق الهاتف مما جعل نور تتعجب من رد فعله، وشعرت بالضيق لا تعلم هل فعلت شيئا أزعجه أم بسبب طريقته في إنهاء الحديث، أغلقت هي الأخرى وهي تفكر ما الذي حدث.

اتجه عمر ليقص على أحمد كل ما حدث من البداية حتى آخر موقف وكان أحمد كحاله لا يصدق الأحداث المتتابعة تلك فقال:

- طب وهتعمل إيه أنا لحد دلوقت مش مصدق.
- وأنا كمان مش مصدق، بس أنا قولتلها مش هكلمها تاني.
- لا يا غبي؟ ما الفرصة في إيدك أهي.
- يا عم أنا قولتلك معجب بيها، ولو اتكلمت معاها ممكن الإعجاب يبقى حب، ولو أنا حبيتها وهي حبتني كل داه يكون في السر وحرام، ولو قولت هتقدملها الله أعلم ممكن إيه اللي يحصل فنكون اتكسرنا على الفاضي.
- المشكلة إن كلامك صح، أنا مش عارف أفكر بجد في الموقف دا.
- ولا أنا فبصراحة هحاول أطنش الموضوع ولو في الكلية هحاول أتجنبها وخلاص، ولو ربنا سهل هكلم أبويا وأتقدملها.
- ربنا يقدم اللي فيه الخير.

*****

في بداية الأمر كان الحديث عابرًا _وإن كان الأمر خاطئًا من البداية_ ولكن حين ازداد الأمر قليلًا تم تدارك الأمر بالتفكير في العواقب، ليس عيبًا أبدًا أن نتراجع في بعض الأحيان حين نرى أن الأمر يمكن أن يأخذ منحنى غير مباحٍ أو محرم، تدارك الأخطاء والعواقب قبل وقوعها ليس تشاؤمًا ولكنه حسن تدبير، لا يهم أن تخطئ ولكن لا تتمادى

في الخطأ، فإن وقعت فيه فحاول الخروج سريعًا، وأن تحاول السير في الصواب حتى لو كسرت القلوب، فهذا أفضل ألف مرة من التمادي في الضلال، والحب يكمن في السير في الطريق الصحيح، اطلب من تريد في الدعاء في الصلاة وليس في السر، تحرى الطريق الأنسب للوصول، أنت لست غريب الأطوار؛ أنت مجاهد.

*****

بعد عدة أيام يجلس عمر وحيدا في كافتيريا الكلية، هو لم يتعرف على أحد بعد أو لا يريد أن يبدأ حديثه مع أحد فهو ليس من شيمه، وإذ به يرى أحمد قد دخل إلى محيطه فناداه:

- أنت بتعمل إيه هنا.
- ما الكلية بتاعتي قريبة من هنا وبيقولوا إن الأكل في الكافتيريا هنا أحسن من الباقي.
- آه جي تتسول عندنا يعني، ماشي متقلقش كافتيريتنا مفتوحة للفقراء.
- يا عم اقعد بقا، روح هاتلنا فطار وتعالى قولي إيه اللي حصل مع نور.

بعدما جلب الطعام وجلسا سويا بادر عمر بالكلام قائلا:

- والله يا سيدي الحال كما هو عليه، النهارده شوفتها وأنا داخل من البوابة واقفة مع صحباتها، بصتلي بزهق كدا وبعدين بعدت وشها وخلاص.
- المشكلة بالنسبة للمنطق أنت صح، لكن بالنسبة للي معروف دلوقت فأنت عملت حاجة غبية جدا، اللي هو البنت اللي انتب تحبها تجيلك لحد عندك وأنت تصدها، فأنت حقيقي في موقف لا تحسد عليه.
- يا عم هو الواقع اللي إحنا عايشينه دا واقع أصلا، فاضل إيه حرام لسه متعملش، وبعدين عادي خير إن شاء الله أنا سايبها لله، وربنا يوفقني لما فيه الخير، ولو ربنا مسهلش فطريقها أكيد في طريق تاني أحسن وأنا معرفوش.
- طب طالما أنت عارف كدا مزهق نفسك وشايل الهم ليه؟

- والله كل الفكرة إني معرفش حد هنا فبقعد لوحدي فبيبان إني زعلان لكن أنا عادي يعني.
- يا عم فكها أنت بس واتعامل بطبيعتك، بس متثقش في حد بسهولة يعني أوعى حد يديك شوكولاتة ويقولك أوديك لماما وتروح معاه.

رد عمر ضاحكًا كما لو أنه وجد ما ينتزعه من ملل اليوم:

- أنت إيه اللي جابك هنا أصلا، مش دي كافتيريا علوم إيه اللي جايبك فيها.
- يا عم أنا غلطان لقيتك حزين قولت آجي أعطف عليك وأشفق عليك يا بائس.
- ما تضربني بالنار أحسن، وبعدين أنا اللي مشاورلك أنت جي تطفح وتمشي.

أجاب ضاحكًا:

- ما هو لو جالك الغصب خليه بجميله بقا.
- قوم يا عم أنا ماشي ورايا محاضرة.
- يللا وأنا كمان.

بينما كان يتحدث الصديقان، كان هناك على الجانب الآخر نور وصديقتها يتحدثون سويا، كانت الزاوية التي يجلسون فيها تسمح لهم برؤية أحمد وعمر لكن لم ينتبه لهم الآخران، أخبرتهم نور بما حدث لترى ما رأيهم في هذا الأمر.

- أنتم إيه رأيكم في اللي حصل؟ "نور"
- يعني عشان كدا كنتي قالبة وشك الصبح؟ "أميرة"
- ما هو موقف مستفز برضه، يعني على كلامه إنه معجب بيا ولما أكلمه يرفض، مش شايفه إن دا عبط؟ "نور"
- أنا من رأيي إن هو معملش حاجة غلط ممكن طريقته كانت غريبة شوية بس مش غلطان، هو اللي عمله دا يدل على إنه محترم وإنك فعلا عجباه، وعشان كدا هو رفض إن الموضوع يتطور لأكتر من كدا، وأظن إنه مستني الوقت المناسب، دي حاجة تاني حاجة أنتي كنتي مرتبطة وحصل اللي حصل، وأكيد واحدة زيك مش هتفكر في الارتباط تاني، وهو سواء يعرف أو لا مقالش إنه بيحبك أو يعاملك

بالفكرة دي وإنت مشاعرك مش كدا من ناحيته، وبداية الكلام أصلا كانت بالصدفة، فهو اختصر عليكي وعليه تفاصيل كتير. "أماني"

- أنا متفقة مع كلام أماني، بس أنت زعلانة ليه يا نور هو أنت معجبة تاني ولا إيه؟ "أميرة"
- لا مش ناوية بس حسيتها إهانة إني أكلم حد ويقفل بالطريقة دي. "نور"
- لو في وقت تاني وظروف تانية وشخص تاني كانت ممكن تعتبر إهانة، لكن هو حفظ لكل واحد كرامته، وأظن محدش بيعمل كدا دلوقت. "أميرة"
- يعني أنا اللي طلعت غلطانة دلوقت؟ "نور"
- لا محدش غلطان إنا بس بنتكلم إن الموضوع مش مستاهل الزعل يعني، وبعدين أنت اللي فتحتي الموضوع شكلك معجبة "أماني"
- بطلي رخامة أنا مش هفكر في الموضوع دا تاني. "نور"
- أنا سمعت الكلام دا فين قبل كدا يا ترى "أميرة"
- على فكرة أنا مش هتكلم معاكم في حاجة تاني. "نور"
- خلاص بقا يا ريكو بنهزر معاكي، متزعليش هنعزمك على الفطار. "أماني"
- أنا كمان زعلانة. "أميرة"
- هتخبطي دماغك في الحيطة ولا آجي أخبطهالك. "نور"
- شوف بقا الاستفزاز أهو. "أميرة"

تركتهم أماني يضحكون سويا وذهبت لإحضار الطعام.

ذهب كل منهم إلى دروسه لاحقًا وكان عمر ونور في نفس المحاضرة، نظرت له نور نظرات متعددة بين السعادة من طبعه الهادئ وحزنًا على وحدته الملحوظة، لكنها لم تهتم كثيرًا بالأمر ولم تذهب مجددًا للحديث معه تاركة إياه للزمن.

انتهت المحاضرة وبعد خروج الجميع ومغادرتهم قابل عمر الدكتورة أمنية في الخارج تحاول وضع بعض الأشياء في السيارة، فساعدها وبدأت تتحدث معه:

- اسمك عمر صح؟
- أيوة أنا عمر مع حضرتك في السيكشن.

- معلش أنا بفتكر بالعافية أنت عارف العدد والأسماء مش بتمسك في الذاكرة، بس متقلقش مش هنسى تاني إن شاء الله.
- دي حاجة تشرفني جدًا يا دكتور.
- بس قولي ليه ماشي لوحدك، الواحد بقاله كتير في الجامعة وبيلاحظ إن من أول يوم بتلاقي كله بيتعرف على كله وبعد أسبوع بتكون الجامعة كلها أصحاب.
- والله أنا من النوع الانطوائي شوية، ومش بعرف أروح أكلم حد، لو حد كلمني تمام غير كدا متعود أكون مع حالي دايما، مبحبش أحس إني تقيل على حد أو هو مش حابب وجودي حتى لو مفيش الكلام دا بس هي أفكار في دماغي يعني.
- النوع دا بيتعب في الكلية خلي بالك، وعموما أنا كلمتك أهو لو احتاجت حاجة كلمني، اعتبرني أختك الكبيرة.
- حاضر يا أمنية.
- طب كويس، مبروك أنت شيلت أعمال السنة يا قلب أمنية.
- لا لا والله قصدي يا دكتور والله بهزر.

ردت أمنية ضاحكة من تعابير وجهه المرتعبة قائلة:

- متخافش خلاص مش هتشيلها متقلقش، وشكرا على تعبك معايا.
- عنيا الاتنين يا دكتور، أستاذن أنا بقا.
- مع السلامة.

*****

الأيام تمر والمبادئ لا تتغير، فصديقنا عمر كما هو حاله؛ لا يختلط بأي حد إلا في الضرورة وخاصة أي فتيات، لقد تعرف على بعض الشباب، ليست بالصداقة القوية ولكنهم معارف يمضي اليوم معهم، كما أنه يظهر عليه أنه كما هو شخص مرح بين معارفه، فإنه صارم جدًا في أي حديث مع غير الشباب زملائه.

أما صديقتنا نور، فقد كانت مرحة بطبعها، ويظهر ذلك عليها طوال الوقت، ليست منغلقة على نفسها، ولكن لطالما وُصفت بالغرور بسبب إحراجها للكثير ممن حاولوا

الحديث معها، فانتشرت عنها الشائعات المختلفة، وما أسوأ البشر في ذلك، من لم يستطع الوصول لأمر ما شوهه في عين الآخرين، كما لو أن النقص قد استولى على الشخص جعله ينتقص كل شيء بالافتراء.

كان صديقانا يتحاشيان النظر لبعضهم والحديث تمامًا طوال الترم الدراسي، على الرغم من كونهم في نفس القسم إلا أن كلًا منهم قد وضع حدوده الخاصة.
من العيوب والمساوئ الجامعية _والمقصود بالجامعية هي فترة الجامعة_ هي الإباحة التامة، فالشاب يرى أنه قد كبر وبإمكانه انتهاك المحرمات بشكل عادي، فإذا تحدث مع فتاة فهذا أمر عادي فهو شخص ناضج ويعلم حدوده، فإذا سألته ما علاقتك بها يكون الجواب حاضرًا: إنها صديقتي أو زميلتي، إنها مثل أختي، وهكذا من المسميات التي تبيح الأمر وتجمله، وهذا هو الفساد بعينه.

فوالله إن الشباب أعلم بنظرات وحديث الشباب، تجد أحدهم يقول صديقتي فإن كان مع أصدقائه الشباب خاضوا في عرضها وشكلها وهيئتها، ويمكن أن يقول صديقتي وهو يتغزل فيها في محادثات تطول لأوقات متأخرة في الليل، وعلى ذلك أمثلة كثيرة، هنا العلاقات تكون ظاهرة ويُظن أنها لا تشوبها شيء ولا يعترض عليها الأهل والمجتمع.
وإن صلحت النوايا فنوايا الشيطان لا تصلح أبدًا، ومن قال صديقتي اليوم لا تدري أين سيجره الشيطان غدًا، وإن قول هي صديقتي حتى أذهب للزواج منها لهو كذب لإسكات الضمير على الفعل الشنيع هذا، إذا ما الفرق بين هذه العلاقات والعلاقات في سن المراهقة أو السن الأصغر قليلًا من السن الجامعي؟

في الواقع في المرحلة الثانوية يمكن تبرير الأفعال تلك بكون الفاعل ما زال صغيرًا، وتلك أخطاء يمكن إصلاحها بسهولة وسيتعلم من تجارب الحياة، لكن في المرحلة الجامعية يعتبر السن هنا سن نضج، كل خطأ له حسابه؛ فأنت قد كبرت على تعلم مثل تلك الأشياء البسيطة، فقد تمر بظروف وأنت صغير وعقبات ومساوئ تتجاوزها وتحزن قليلًا ثم تتعلم منها وتبدأ من جديد، أما حين تكبر قليلًا فلن يكون هناك وقت للتعلم، لو

تأذيت فأنت مجبر على التجاوز فقط، لقد كبرت فلم تعد تملك رفاهية الانهيار والتعلم وإصلاح ما فاتك، أنت تمر بمرحلة فاصلة في كل شيء تالي.

الظروف تتغير والوعود لا يهتم بها الزمن، قد يصدق وعدك ولكن الحياة لا تُعطى فيها كل ما تريد، أنت تريد ولكن الحياة أصعب من أن تحقق فيها ما تريد، إنها ليست جنة تعلق آمالًا وأنت تظن أنها ستتحقق بتلك السهولة، إن لم تكن تؤمن أن الأمور المستقبلية يكفي أن تضع لها الخطة ولا تنتظر تحقيقها فأنت تضيع وقتك، دائمًا يجب أن يكون في خططك خطة بديلة، وخطة بديلة للخطة البديلة، هذه هي الحياة؛ أيام تمضي في صراعات مع الوقت والظروف والأحداث لتصل لهدف ما، فلا تضل.

ربما تجد من كان ينوي الخير ولكن السيئة قد عمت بالفعل، فمن تقرب لفتاة في خارج الإطارات المعروفة السليمة، فهو يضع نفسه ويضع الفتاة في موقف الشك دائمًا، ولا ينبغي أن تظن الفتاة أبدًا أن الشباب قد قطعوا سجاد أرضيات المسجد من الصلاة، فما يقال في أوقات المزاح بينهم وبين بعضهم يجعل المرء يظن أن هناك صاعقة ستهبط من السماء على رؤوس الجالسين، وطبعًا هناك من رحم ربي، ولكن أين ستتحرى عنهم؟

لا أعترض على حديث الفتاة للشاب في الوقت الحالي، ولكن هل هناك حدود؟ بالطبع لا، ولذلك ابدأ بنفسك، أنا لن أغير العالم في يوم وليلة ولكن أؤمن أنه يمكن لكل شخص أن يبدأ بنفسه، أنت قادر على التغير والوقوف ضد الجميع، أنت على صواب وإن كنت وحدك، ولكن هذا فقط بالاستناد لما علمك دينك، لست على صواب إن اتبعت هواك فقط.

طريق الصواب ليس عيبًا حتى وإن وضع له الفاسدون ما ينفر منه، حتى وإن زخرفوا طريق الضلال وجعلوا له المكانة والقيمة، أن تكون غريب الأطوار وسط مستنقع البشر ولكن على صواب أفضل من أن تغرق معهم في المستنقع وتشتري قيمهم الزائفة ومساوئهم المزخرفة.

نادرًا ما ترى أيضًا اهتمام الأهل برأي ولدهم، وهو أمر لا يمكننا أن نحزن بشأنه، فنحن من فعلنا هذا بأنفسنا، لقد بنينا لأنفسنا _إلا من رحم ربي_ كيانًا تافهًا لا يتحمل

مسؤولية أن يجلب كوب ماء لنفسه، نحن من رسمنا صورة صغيرة الحجم لأنفسنا أننا وقراراتنا لا نساوي شيئًا، فصرنا نحاول إثبات قراراتنا بالعنف على غيرنا، وتتنافس العقول الصغيرة على تجاوز الآخرين سواء في السوء أو الحسن، فالهدف هو سد نقص الضعف ولا يهم أي طريق نسير فيه وقتها.

بناء كياننا الخاص يفتح سبل النقاش قبل التحدي واختيار طريق المنافسة قبل المنافسة، فلا نسير في الطريق عن جهل ولا نقع في السوء دون خطة للخروج، أن تتحمل المسؤولية لهو سبيل لأن تناقش أهلك في خطواتك، لن تكون ذا كيان ناقص لا يعتد به الأهل، سيُسمع رأيك، وتُناقش كلمتك، وتسوى نفسك، وهنا ستكون الحياة أكثر سهولة في وجهك، الأكبر سنًا قد رأى من الحياة ما يمَكّنه من النصح غالبًا، ولهذا يحترِم من رأى من الحياة هو الآخر، أنت قادر على الكلام بأدب وثقة في حالة أنك تعلم كيف تتكلم، أما طيشك وتهورك وجدالك التافه سيجعل صورتك تثبت بتفاهتك، فأخبرني كيف ستجد من يتدنى لهذا المستوى بعد خروجه منه!

من يخبرك أن تلك الفتاة مثل أخته لو رأى من يقول ذلك على أخته لقتله، ما بك يا صديقي؟ أو ليست تلك الفتاة أختًا هي الأخرى أم ماذا؟ ومن يقول أنا معها بنية صادقة وأريد الزواج منها ولكن الأمر لم يتعدل بعد لن يرضى أيضًا أن يرى أحدًا مع أخته حتى لو كان كمثل حاله، لأن الشباب أعلم بحديث الشباب، وكلنا أعلم بالخطأ والصواب، ولكن نتجاهل الأخطاء عن أنفسنا كما لو أننا لا نخطئ، ونثبت خطأ الناس كما لو أننا ملائكة، ولو كان ما نردع الناس عنه نردع أنفسنا عنه لاستقمنا، ومن أراد أن يشتري منزلًا لن يذهب لرؤيته من النافذة وإنما سيتحرى عن الباب ويطرقه، من نوى الخير لن يذهب في الطرق الملتوية؛ فطرق الحق دومًا مستقيمة.

*****

جلس عمر في منزله يريد إخبار والده بكونه يريد التقدم لخطبة نور ولا يدري ماذا يفعل، فأرسل رسالة لأخيه في الغرفة المجاورة لغرفته:

- عبود تعالى عاوزك.

- أنت الفراغ قاتلك لدرجة إنك تبعتلي رسالة على الواتس، وأنا في الأوضة اللي جمبك؟
- يا عم مكسل أنادي المهم انجز تعالى بس.

عندما جلس عبد الرحمن معه فاتحه عمر في الأمر ليبحث معه عن حل.

- بص يا عم أنا معايا بنت في الجامعة عاوز أروح أتقدملها، بس لو كلمت أبوك هيقولي أنت لسه صغير، وهي عجباني وفي مجال أكلمها بس أنا مش عاوز أمشي في الموضوع من الطريق دا.
- طب أنت متأكد من أخلاقها، ولا رايح على عماك؟
- تصرفاتها محترمة وكويسة خالص هي بس لبسها مش شرعي شويتين بس دي حجات ملهاش دعوة بالطبع يعني.
- بس الظاهر بيكون زي الباطن، فطالما الظاهر كدا الله أعلم بالباطن بقا.
- أنا فاهم بس ممكن يكون الباطن كويس والبيئة المحيطة هي اللي مأثرة على الظاهر، فلو اتغيرت البيئة هيكون الظاهر زي الباطن، أنا بقول كدا عشان شايفها كويسة.
- طب تعالى قوم هنروح لأبوك.
- هتعمل إيه مش نفكر هنقوله إيه الأول.
- يا عم تعالى بس، ثق فيا.

خرج الشابان لوالدهما الذي كان يجلس يشاهد التلفاز مسترخيا على الأريكة فوقفا أمامه، فاتسعت حدقتا الوالد وكمش جسده وقال:

- واقفين كدا ليه هتقتلوني ولا إيه.

رد عبد الرحمن محاولا عدم الضحك لجدية النقاش:

- لا بعد الشر إحنا جايين نتناقش بس في موضوع كدا.

رد الأب بعد اعتداله بصوت حازم وهادئ:

- خدتو معاد؟
- معاد لإيه؟

علت نبرت الوالد قليلًا وقال:

- أنت سكران أنت وأخوك ولا حاجة؟ أنت إزاي جي لشخصية مهمة زيي بدون ما تاخد معاد، اتفضل يا أستاذ من هنا، فين الأمن.
- بابا إحنا في الصالة وبعدين أمن أيه اللي بتطلبهولنا، إحنا جايين بس عشان نتكلم في موضوع كدا بخصوص عمر، عاوزين نخطبله.
- يللا يبني من هنا معنديش بنات للجواز.
- على فكرة يا حاج هو بيتكلم عليا أنا عمر ابنك.
- بسم الله الرحمن الرحيم، عمر ابني، الحمد لله يا رب أنا كان نفسي فعلا أخلف ولد وأسميه عمر، أنتم بقا جايين ترمو بلاكم عليا، أنتم مين.
- كل دا عشان قولتلك عاوز أتجوز؟ أومال لو قولتلك أنا خطبت؟
- يا ألف نهار أبيض ابني وأول فرحتي هيتجوز؟ ألف مبروك والله فرحان من قلبي لروح قلبي، ربنا يتمملك بخير، يللا شوف أنت رايح فين.
- منور يا سيد الناس.
- حبيبي والله ابقى عدي يا عم متغيبش علينا كدا إحنا أهل برضه، سلملي على أمك.
- طب بالله عليك بقا خلينا نتكلم جد شوية.
- في إفيه في دماغي بس مش هقوله، عشان أنتم حاليا أخدتو وقت أكتر من وقتكم.
- يا جماعة ياريت تعبروني شوية، ويا بابا بالله عليك عبرني وسيبك من عبد الرحمن وشغل الفيس بوك دا.
- أؤمرني يا حبيبي أنت زي ابني برضه.
- طيب دلوقت في بنت معايا في الجامعة عاوز أتقدملها.
- طب وإيه اللي ماسكك؟
- ما هو المفروض حضرتك أبويا والمفروض تيجي معايا.
- تمام هتدفع كام؟
- أدفع كام في إيه؟
- خدماتي وجمايلي اللي مغرقاكم دي هتدفع فيها كام؟

- يا عمر أبوك وافق، اعزمنا على كانز في الطريق.
- كانز كانز اشطا عليك يا عبود، أنت ابني اللي مجابتهوش أمي والله.
- يا رب الصبر من عندك.
- أنت مش عاجبك بقا.. تمام مش جي، أقولك قوم يللا ارميني فدار مسنين، ما خلاص الأبناء في إجازة، ضاعت أخلاقنا والله.
- خلاص أنا آسف، دا أنا عنيا ليك يا عم الناس والله، المهم تيجي معايا.
- آه يا زمن ميعرفوش الواحد غير لمصلحة كدا، منا قاعد كل يوم محدش بيمسي عليا، لكن وقت المصلحة جايين تقعدوا معايا، عالم مصلحنجية.
- بابا إحنا كنا بنلعب كورة امبارح مع بعض، إيه بوستات الفيس دي؟ وإيه كلمة مصلحنجية دي، نطقتها إزاي أصلا.
- لا صعبة عليك دي، دي للرجال فقط، شوف هنروح للناس دي إمته، مع السلامة وقتك خلص معايا.
- ربنا يخليك ليا يا أحلى أب وصاحب في الدنيا.
- ألف مبروك يا عمور، ربنا يخليك لينا يا حج ويديك الصحة وطول العمر.
- إيه ألف مبروك دي مش ممكن يترفض.
- إن شاء الله خير ومش هيترفض دعواتك بس معانا كدا.
- طب على خيرة الله والله وكبرت يا عمر وعاوز تتجوز.
- الجامعة بتغير بقا هنعمل إيه، عقبال عبد الرحمن.
- بعدك على طول ريحنا أنت بس.
- طب المفروض دلوقت يا بابا تكلم أبو العروسة وتاخد منه ميعاد.
- طيب تمام هات رقمه وهكلمه.
- تمام بكره إن شاء الله هحاول أجيبه.
- ماشي تمام يلا شوفوا أنتم رايحين فين مش عاوز صداع تاني، خلصانة؟
- ولعانة.
- أحلى مسا عليك، بتقول لأبوك ولعانة يا مهزق.

- حبيبي يا حج والله، ربنا يخليك لينا.

خرج عمر من عند والده فرحًا بموافقته، ولم يكن في باله طريقة يمكنه أن يعرف رقم والد نور من خلالها، ولم يكن يريد أن يراسلها فتصده كما فعل هو من قبل، ففكر بأن يطلب من الدكتور أمنية ذلك، فهي شخصية سهل الحديث معها وذات طبع حسن لن تعترض ولن تقف عقبة أمامه كما علم عنها، كما أنها الشخص الوحيد التي لها موقف حيادي مع الجميع ولكنها تعامل الجميع بطبع حسن.

كانت أمنية تجلس مع نور في الجامعة يتبادلان أطراف الحديث قالت نور:

- هو حضرتك متجوزة يا دكتور؟
- لا بعد الشر عليا مش متجوزة.
- ليه بعد الشر وليه مش متجوزة.
- والله يا سكر كنت بحب واحد واحنا هنا في الجامعة طول الأربع سنين بتوع الكلية، وبعد ما خلصنا وكنا متفقين إنه هيتقدملي بعد الكلية فضل يتحجج بالجيش وإن لسه ملقاش شغل، وطبعا موضوع الهروب دا ضايقني، وكنا بنتخانق كتير في الآخر مستحملتش كم الضغط دا وسيبنا بعض، اكتأبت بقا وقعدت أعيط كتير بعدها، بس قولت خلاص كفاية على قلبي كدا ولا جواز ولا بتاع بقا.
- أنا عارفة إن الموضوع ممكن يكون غريب شوية بس أنا كنت بحب واحد وأنا ف الثانوية يعني لسه من قريب، وفي الآخر لقيته كان بيلعب بيا وبيتسلى.
- بس أنت لسه قدامك عمر يا نور، وتجربتك دي كانت في ثانوي يعني لسه لعب عيال، هو أنا معاكي إن في كتير خاينين بس برضه في ناس كويسة ممكن ربنا يكرمك بحد منهم.
- طب ما حضرتك ممكن يجيلك حد كويس.
- حتى لو جه أنا قلبي مقفول من الموضوع وكمان أربع سنين مش شوية.
- بس برضه أنت مش كبيرة.
- مش كبيرة إيه أنا داخله في التلاتين يبنتي.
- ماشي ما هو برضه مش كبيره أهو.

- طب خلينا فيكي أنت بس الأول ونشوف موضوعي دا بعدين.

ذهب عمر لأمنية ليطلب منها الرقم، فتعجبت من طلبه ولكنه أخبرها أنه يريده لغرض ما جيد، فأعطته الرقم كانت نور تتصل بها من رقم والدها وهو ما سهل عليه الأمر.

اتصل والد عمر بوالد نور واتفقوا على ميعاد للمقابلة، وكان من الجيد أنه كان هناك معرفة سابقة للوالدين، عند الميعاد المحدد ذهب كلٌ من عمر ووالده لمقابلة والد نور واستفتح والد نور الحديث:

- نورتنا والله يا أبو عمر.
- البيت منور بأصحابه، إحنا لينا الشرف، المهم نتكلم في الموضوع اللي جايين عشانه وربنا يقدم اللي فيه الخير.
- أنا تحت أمرك.
- دا ابني عمر، بنت حضرتك معاه في الجامعة وهو جه فاتحني في الموضوع، وأنا مقدرتش أتكلم معاه وأرفض طلبه لما لقيته حاول يدخل البيت من بابه، وقلتله هنروح ونشوف، واللي فيه الخير يقدمه ربنا.
- والله وجودك على راسي من فوق، وأنا شيء يشرفني جدًا أناسب ناس محترمة زيكم، لكن مش شايف إن الموضوع لسة بدري عليه شوية يعني دول شباب لسه صغير، وكمان من سن بعض، وأنت عارف مراحل طيش الشباب دي.
- طبعا متفهم الفكرة ولكن أنا شوفتها من زاوية تانية، وهو إن في شاب وهو في مرحلة طيش الشباب مقررش يعمل زي الشباب وحب يبدأها صح من الأول، ولو إحنا مديناش فرصة للشباب إنهم يعتمدوا على نفسهم وعرفناهم إن الحلال سهل بس للي بيسعى، ساعتها كله هيتجه للطيش والغلط، وأنا مش بقول عشان ابني والله بس فكرة إن لسه في شباب بتفكر في الصح دا يخلينا نهتم أكتر إننا نسهل لهم الطريق.
- كلام جميل لكن الجواز تكاليف ومسؤوليات، أنا مش بتكلم على الماديات لكن طبيعي لازم يكون في مكان للسكن ومصدر للمعيشة يعني أبسط الحقوق المطلوبة.

- ودا حقك وأتفق معك كل الاتفاق، لكن حابب أوضح حاجة، لو واحد حب يمشي بالشرع ويدخل البيت من بابه ويتحرى إنه ميعملش حاجة حرام، مش ده دليل على إنه عنده هدف يعني كون إنه يحط نفسه في مسؤولية زي كدا عشان أعجب بواحده أكيد هو فاهم توابع الموضوع وإنه هيكون مطلوب منه حجات كتير لسه، يعني هي مش بالسن ولا بالإمكانيات الحالية، هي فكرة واحد داخل البيت من بابه والباقي إن شاء الله تساهيل ربنا، وكدا كدا في فترة خطوبة.
- تمام لكن دا ميمنعش إن أي أب محتاج يفرح بأولاده، وأنا بحترم الشجاعة وبحترم المسؤولية، لكن برضه مش هينفع أشتري سمك في المية، بمعنى إني ممكن أوافق على الخطوبة لكن منين أضمن إن ابن حضرتك هيسعى لإنه يسعد بنتي، وأضمن منين إنه زي ما بدأ هيكمل ويتحمل المسؤولية، في حين إن ممكن واحد يجيلي جاهز من الأول.
- لو كل الناس هتفكر بالمنطق دا أظن إن عدد قليل اللي هيتجوز، الجواز مش معتمد على الجاهز، الموضوع معتمد على اللي شاري واللي ناوي يسعى، وربنا بييسر لكن إن الرفض يكون عشان مش جاهز، دا هيزرع يأس جوة قلوب الشباب، وهياخد وقت أطول لأن مفيش هدف معين قدامه، وممكن يسلي نفسه بالحرام طول فترة تجهيزه والتفاصيل في الموضوع دا كتير وبتختلف من مكان لمكان ومن شخص لشخص.
- يعني حضرتك جي تصلح مشكلة مجتمع عندي أنا.
- والله أنا مؤمن جدًا بفكرة ابدأ بنفسك، والله أعلم ممكن ناس كتير تعمل زينا ويكون الموضع أسهل على الشباب، وبدل التكاليف الزيادة التعجيزية يكون الأمور على القد بدون مظاهر، يكفي إننا منقفلش طريق حلال ونحاوطه باليأس.
- والله كلام حضرتك يحترم جدا، وأنا من ناحيتي مقدرش أرفض في الأول والآخر أهم ما في الأمر المودة والمعاملة الحسنة، وبرضه لازم رأي بنتي، لكن إن شاء الله في حالة القبول هنعمل خطوبة سنتين ونشوف بطلنا قد المسؤولية ولا لا، لو حتى

ربنا كرمه بشغل في الكلية أنا مش هعترض نعمل فرح وأنا هتحمل تكاليفه كمان، وربنا يكتب الخير إن حضرتك تيجي لحد هنا دا شرف كبير لينا والله.

- والله أنا اللي مبسوط من ذوق حضرتك، وإن شاء الله يتم الموضوع على خير ويتم بالمودة دايما يا رب، نستأذن أحنا بقا عشان الوقت اتأخر وإن شاء الله منتظر رد حضرتك، وإن شاء الله إحنا متقبلين الأمر لو كان بالرفض، رأي العروسة مهم برضه... مع السلامة.
- شرفتونا والله الشوية دول وربنا يقدم اللي فيه الخير.

كانت نور تستمع للمحادثة وبعد انتهائها حادثت أمنية لتخبرها بالأمر، فلم يكن منها إلا أن باركت لها ولكن نور أخبرتها بأنها تريد الرفض تأثرا بما حدث معها قبل ذلك، ولكن أمنية نصحتها بعدم أخذ القرار بهذا الشكل، وربما إن كان شابًا ذو أدب فلا ضير من الرفض، وهنا تضاربت الأفكار والمشاعر في هذا الأمر فلا تعرف ماذا تفعل، فذهبت لتتحدث مع صديقاتها وأخبرتهم أيضًا بالأمر، لم تتوقع أماني هذا فلقد صمتت المرة الأولى نظرًا لأن حديثها مع عمر كان مجرد حديث عابر ولكن هل من المعقول أن نور لم تلاحظ أن عمر يكون أخ لعبد الرحمن ألم تكتشف ذلك بعد، فقررت الصمت مرة أخرى لا تعلم لماذا وكأن شيئا يمنعها عن الحديث في هذا الأمر أو توضيح القرابة وكن إذا استمر الأمر فلابد أن الرابط سينكشف وستكون العواقب عندها وخيمة، كل ذلك في رأس أماني ولا تدري ماذا تفعل، لكنها قررت الصمت وأخبرت نور بالموافقة:

- يعني هو مكانش بيكلمك أهو وبيتجاهلك عشان يدخل البيت من بابه، ودي حاجة بجد يُحترم عليها، فأنا شايفه إنك تديله فرصة. "أماني"
- مش عارفه أعمل إي بس أنا منسيتش اللي حصلي ومش عاوزه أدخل في موضوع زي كدا تاني. "نور"
- بس هو حد كويس وكل مواقفه أثبتت كدا. "أميرة"
- مش دا اللي كنتم بتتريقوا عليه زمان. "نور"

- الزمن بيتغير وإحنا منعرفهوش ولا هو بيتعامل مع حد ومنعرفش أي حاجة عنه، لا بنشوفله صور ولا بيتذكر في مكان لسبب معين فعشان كدا كنا بنتريق إنه حد غريب، لكن قدامنا كلنا هو كان بيعمل حجات صح كتير. "نور"
- صلي يا نور استخارة وشوفي بابا هيقولك إيه وإن شاء الله ربنا يقدم اللي فيه الخير. "أميرة"
- إن شاء الله. "نور"

*****

من أكثر الجمل غدرًا وخداعًا: "إحنا بنشتري راجل" حين تسمع هذه الجملة ترى أن الملايين تطلب أمام عينك، نعم فأهل الزوجة يشترون الرجل، والرجل يشتري الباقي، وبما أن الرجولة لا تقدر بثمن فعليك إذًا أن تشتري كوكبين وستة أطنان من الذهب وحلقة من حلقات كوكب زحل لتضعها في أذنها، وسواري كسرى وخاتم، ستقول ما علاقة الخاتم بكل هذا، أقول كيف يعني أن تتجوز بدون خاتم، هل أنت بخيل أم ماذا؟! الزواج أصبح شيئًا ماديًا بشكل بحت إلا من رحم ربي، وتلك الأمور التعجيزية التي لا تخرج إلا بناء على مظاهر ونظر للناس لا تعطي خيرًا، وإنما تفتح أبوابًا للشيطان، فكيف أكون مقبلًا على الزواج ولكي يتم يجب أن أمتلك الملايين؟!

الحلال بالفعل أجمل ولكن الحرام أسهل، واللوم كل اللوم يقع على الأهل الذين يتعاملون مع بناتهم على أنهن سلع، نحن لم نختر أن نولد في هذا الزمن، ولم نختر ظروف معيشتنا ونحاول جاهدين الكفاف والعفاف، لماذا حين أبحث عن الحلال يُقسم ظهري بالطلبات، إن السعادة لا تشترى بالمال، أو بالأصح لا تشترى بالمظاهر، يمكنني أن أحتفظ بالمال لأهلي وبيتي، أما إنفاقه على أمور فقط لأكون أمام الناس مبهرجًا؟ هذا يخرب لا يعمر.

لكن هناك من رحم ربي لا يهتمون إلا لبناء بيت قائم على الود والتفاهم والرحمة، لا يهتمون للمظاهر ولا يهتمون لكلام الناس عنهم، ولا يطلبون الإنفاق على أمور ليس لها طائل، تلك البيوت التي تعمر، وهذا المال الذي يبارك الله فيه، المجتمع مسرف بشكل بشع وحقود وحاسد وينظر لما في يد غيره وكيف نكون أقل من فلان وفلان، وما ضرك أنت بفلان، هل حققت انتصارك حين أصبحت مسرفًا أكثر منه؟! هل ماتت ابنة خالتك حين اشتريتِ سبعين صابونة وهي اشترت خمس وستين صابونة فقط؟! هل تتنافسون للدخول لموسوعة غينيس أم ماذا؟

"ابنتي لن تعيش في مستوى أقل من التي تعيش فيه"، ولكن أخبرني كم مر من الزمن حتى تصل ابنتك لهذا المستوى، كيف بدأت أنت حياتك، الزمان يختلف والنفوس تتغير.

لا أريد أن أدخل منافسة، أنا فقط أريد ابنتك، لا أهتم لغير ذلك، ولا تتفاخر على رأسي، كن سهلًا لينًا حتى يبارك الله لنا، كل المظاهر زائلة وكل الصراعات ستنسى، ولن يبقى لي سوى ابنتك والدَين وسوء المعيشة، والأمر أسوأ من ذلك، إن الشباب صار أضعف والزمن صار أسوأ؛ فمقابل الحلال الغالي للغاية هناك آلاف الطرق المحرمة، وتوقع عزيزي الأب إنها في غاية الرخص، وأنت الخاسر الوحيد.

من سهّل سهّل الله عليه، لقد أخطأ الأهل حين تجاهلوا الحب ونظروا إلى أن المال هو الأمان، ووالله إن المحب لينحت في الصخر ولا يكِل متنه من أجل من يحب، ولكن من يشتري بماله لن يهتم، فالبضاعة يوجد منها الكثير.

لقد اهتم غالب الآباء بتثمين بناتهم وأولادهم فصار الكلام بالمال لا بالأمان وصارت الفتاة لمن يدفع أكثر، والحجة أن الحب يأتي بعد الزواج، أتمزح معي يا رجل؟ إن كان الهدف من الزواج هو الحب فلماذا لا تهتم لمن يحب قبل الزواج؟
إن عقم أفكار المجتمع خلقت أجيالًا لطالما كان الخوف صديقهم، الخوف من الظروف ومن الحياة ومن البشر الذين سيجبرون على التعامل معهم، آباء كبار بدون خبرة لا يهتمون للخوف الذي زرعوه في أبنائهم.

نحن أعلم بما يحتويه جيلنا من مشاكل وظروف، نحن أعلم بمن نتعامل، دعوا عنكم عناء توجهنا واجتهدوا في تربيتنا على القيم والمبادئ السامية ونحن سنتعامل معها كما نستطيع التعايش، نحن لسنا في الروضة لننتظر التوجيه دون معرفة ما نحن متوجهون نحوه، تجد دومًا السعداء هم أصحاب الرأي والقرارات، ومشاركة الأهل للأولاد في الآراء والنقاشات يخلق أشخاص أسوياء النفس لا يهابون ظلم وسوء المجتمع، لا يسير المركب إلا بالحب، أما المركب الذي يسير على السمع والطاعة نهايته الهلاك، ولن تعلم ماذا حدث إلا بعد فوات الأوان!

العالم مليء بأناس لطفاء، إن لم تستطع أن تجد واحداً فكن أنت واحد منهم

(The world is full of nice people. If you can't find one, be one)

(5)

بعد مغادرة الضيوف توجه الأب ليرى رأي ابنته في هذا الأمر، هو قد وافق مبدئيا ولكن من الواجب أيضًا أن يعلم رأي ابنته في الأمر، حادثها بهدوء ليسمع رأيها فما كان منها إلا أن رفضت بحجة أنها لا تفكر في هذا الأمر حاليا ولا تريد الانشغال عن دراستها وما زال الوقت مبكرًا على التفكير في أمور الزواج وغيرها.

حاول الأب إقناعها أن الأمر سيقتصر على فترة خطوبة كما أن الشاب وأهله على خلق وقد دخلوا إلى البيت من بابه، لكنها أصرت على موقفها أنها لا تريد الانشغال بشيء حاليا، فوافق الأب واحترم قرارها منبهًا إياه أنها لو عدلت عن قرارها أن تخبره حتى يعطي موعدًا لهم للاتفاق على التفاصيل وغيرها، فأشارت بالموافقة.

كانت نور تجلس في اليوم التالي مع أمنية وإذ بصديقاتها يدخلون ويتبادلون السلام والتعارف، ثم تبادلوا أطراف الحديث حول خطبة نور.

- يعني قررتي برضه توافقي ولا لا؟ "أمنية"
- أنا قولت لبابا وهو قالي هسيبك تفكري شوية لكن أنا ماخدتش قرار. "نور"
- والله أنا شايفة إن عمر شخص محترم، وطبعه كويس ليكي. "أميرة"
- أنتم تعرفوه ولا إيه؟ "أمنية"
- آه نعرفه من بعيد كدا واحنا في الثانوي وهو أصلًا دلوقت هنا مع نور في الكلية. "أماني"
- عمر اللي معانا في القسم ولا حد تاني؟ "أمنية"
- هو اللي معانا يا دكتور. "نور"
- طب والله هو حد محترم جدا، وشخصية لطيفة وقلبه أبيض، هو انطوائي شوية بس مش حد سيء يعني بالعكس اتعاملت معاه معاملته حلوة جدا، من رأيي توافقي. "أمنية"
- أهو شوفتي في إجماع على إنك توافقي. "أماني"

- خلاص هكلم بابا إن شاء الله. " نور"

أبلغت نور والدها بالموافقة، فأخبر هو الآخر بدوره أهل عمر واتفقوا أن يكون الحفل على الضيق فليس هناك داعٍ للتكاليف كما أنهم ما زالوا في الجامعة فلا يلزم احتفالات كبيرة ، لقد كان يغمر عمر السعادة لموافقة نور فقد وصل أخيرا لمن كان يريدها، ارتدوا خواتمهم ولكن كانت المفاجأة التالية هي دخول عبد الرحمن متأخرًا، والتي كانت صدمة لها فهي لا تستطيع فهم ما يجري لقد تلاحقت الأحداث ولم تعلم أنهم إخوة، قالت في نفسها ما الذي أتى به أليس الحفل مقتصرًا على العائلتين فقط لماذا هو هنا ، ولكن كانت الصاعقة حين نادى على والد عمر ب بابا، شعرت بالكثير ظنت أنها خدعة أخرى، لكنها قررت أن تتجاهل الأمر حاليا وستخبر والدها بإلغاء الموضوع برمته بعد مغادرة الناس حتى لا تسبب له الإحراج.

بعد انتهاء اليوم حادثت نور صديقاتها بعدما أهلكها البكاء:

نور: صاحيين ولا لا؟

أماني: خير يا عروسة، صاحيين في حاجة ولا إيه؟

نور: أنا هفركش الخطوبة، أنا مش متخيلة إني كنت بالغباء اللي يخليني آخد بالي إن عمر أخو عبد الرحمن.

أماني: استهدي بالله بس، أولا أنت مخطوبة لعمر مش عبد الرحمن، ثانيا إيه المشكلة إنه أخوه.

نور: هو إيه اللي إيه المشكلة، هو شايفني حد سهل هو وأخوه وكل واحد جاي يضحك عليا شوية.

أماني: متخليش عقلك يبقى صغير كدا، لو كان بالشكل دام كنش اتقدملك ولا قطع كلام معاكي ولا حط أهلك وأهله في الموقف دا.

نور: وإيه يضمنلي إنه مش جي يضحك عليا زي أخوه ودي طريقة جديدة يدخل بيها.

أماني: أنا ضد التفكير بالشكل دا تماما، وبعدين دي فترة خطوبة لو ظهر منه حاجة وحشة ساعتها ارفضيه، محدش هيقدر يقولك حاجة، لكن متخليش قراراتك سريعة بالشكل دا وممكن تكون غلط في الآخر.

نور: ماشي أنا مش هقول لبابا حاجة بس بجد أنا مش مرتاحة خالص.
أماني: سيبيها لله والخير ربنا يكتبه.

أغلقت هاتفها وقررت ألا تفتحه حاليا، فلقد تصادم فكرها مع قلبها ولم تدر ماذا تفعل، إلا أنها لن تحادث عمر إلا في الجامعة وفي أضيق الحدود وقد كان.
تغيبت عن الجامعة لعدة أيام ولم تفتح هاتفها، وهو ما أثار قلق عمر فهذه البداية ليست مبشرة، حين التقاها في الجامعة وسأل عن سبب الغياب الغريب فلقد ظن أنها لم توافق على الأمر برمته وأن أحدًا من منزلها أجبرها على هذا الأمر، ولكنها أجابت بالنفي مبتسمة وقالت أنها بخير وما هو إلا بعض الإرهاق وكل شيء سيكون على ما يرام.
لم يعقب كثيرا على الأمر فاحترم صمتها على أمل معرفة ماذا هناك لاحقًا، حتى هي لم تعلم كيف تتحدث معه وهي بالفعل قد تحدثت معه سابقًا إنه بالفعل نفس الشخص ما الذي تغير.

إنها حدود توضع دون أدنى علاقة لمجرد البغض الداخلي لموقف ما، إن الإنسان بطبعه يربط الأحداث ببعضها ويتوصل لأسوأ النتائج دون سبب معلوم، يكن الكره والبغض لشخص ما لمجرد أن له علاقة بشخص آخر سيء، وأصابع اليد الواحدة تختلف ولكن من تخبر.

بين الثقة والشك خيوط رفيعة، الثقة في الآخرين تتقطع حبالها حين تهتز الثقة بالنفس، لو بإمكاني الوثوق بنفسي وفهم مكنوناتي ومعرفة كيف يمكنني تجاوز المواقف بأريحية هنا يمكن أن تزداد الثقة في الآخرين فأنا أعلم كيف سأتجاوز الموقف إن لم يكن مَن أمامي حافظًا لتلك الثقة.
غريبة تلك الكلمة التي تحمل في طياتها الكثير وغريبة تلك الأنفس التي لا تعلم أي شيء عن نفسها.
بينما يجلس أحمد وعمر معًا كان الأخير يخبر أحمد بما حدث:

- والله يا عم مش عارف في أي تصرفاتها غريبة من وقت الخطوبة.
- طب وأنت مسألتهاش يمكن مش موافقة على الخطوبة أصلا.

- قولتلها لو في حاجة قوليلي وأنا همشي من سكات وأقول محصلش نصيب وخلاص، لكن هي قالت لا أنا بس تعبانة شوية
- أنت شكلك كدا محسود، الدنيا مالها بيك يا ببلاوي.
- مش عاوز أصيح، الحمد لله على كل حال أكيد الجي خير أنا مؤمن بكدا رغم كل الهبدلة اللي أنا فيها دي.
- ربنا يسهلها يا صاحبي، وأعيش وأشوف عيالك.
- قول بس يا رب متاكلهمش بالغلط، أنت عارف الدنيا دي ملهاش أمان.
- تصدق إني غلطان إني بقوم بدوري كصديق وقاعد بواسيك، اخبط دماغك في الحيطة.
- يا عم اقعد أنت كمان هتبقى أنت والدنيا عليا.
- طب اظبط نفسك بقا.
- حزين يا عم استحملني.
- هاجي على نفسي ماشي.

حين ذهب عمر لمنزله أتاه عبد الرحمن يريد إخباره أمرا ما:

- أي يا عم هو كل اللي بيخطبوا مش بيعبروا إخواتهم كدا ولا إيه.
- يا عم ما إحنا مع بعض أهو وبعدين اسكت أنا مكلمتهاش من يوم الخطوبة.
- خير يا رب في مشكلة ولا هي بتتقل عليك.
- والله يابني منا عارف الموضوع مش مفهوم.
- طب كنت عاوزك في موضوع كدا مهم شوية رايق ولا مش رايق؟
- قول يا باشا أنا أروقلك مخصوص، عاوز تتجوز أنت كمان ولا إيه.
- لا لسه قدامي أهداف تانية، ألتزم بس الأول وربنا يكرمنا وبعد كدا أدور على اللي تعيني ع الطريق وتسحبني للجنة، الواحد عمل جرايم والله.
- ربنا يعينك يا عمنا ويهدينا يا رب، المهم خير في إيه.

يصل اتصال من محمد ل عبد الرحمن يخبره أنه ينتظره أمام المنزل، فيجيب الأخير أنه سيتحدث مع أخيه في أمر ما وسيوافيه ولكن محمد يخبره بالإسراع فقد اقترض دراجة نارية من أحد أصدقائه ولا يريد أن يتأخر عليه.

- معلش يا عمر محمد مستنيني بره نتكلم أما أرجع بقا، لأنه مستعجل.
- تمام ولا يهمك بالسلامة.

ذهب عبد الرحمن مع محمد وبعد ساعة تقريبًا لم يكن الملل قد طرق باب عمر بعد، فقد أتته رسالة من نور جعلت أساريره تنفرج قليلًا:

- أنا آسفة على طريقتي معاك، أنا عارفة إنها ضايقتك بس بجد مكنش قصدي.
- أنا مش زعلان أنا بس مستغرب إنك كلمتيني عادي قبل ما نتخطب وبعد ما اتخطبنا معاملتك اتغيرت فكرت إنك مجبرة على الموضوع وأنا مكونتش هحب كدا مش أكتر.
- هو فعلا مش مجبرة ولا حاجة، أنا بس في حجات تانية ضايقتني هي مش منك أنت شخصيا هي من أخوك، وكنت فكراك زيه فدا ضايقني.
- أنا مفهمتش قصدك كويس بس حسيت بإهانة شوية، وعموما أنا مش هقبل أي إهانة لأخويا، أنا بعتبره أحسن حد في الدنيا، أنا هعتبر التعبير خانك ومكنش قصدك بس خلي بالك.
- مش قصدي والله أي حاجة أنا بس هقولك على اللي عمله ممكن تفهم قصدي، لكن أنا مش قصدي أي غلط والله أنا آسفة.
- .....
- عمر ليه مش بترد؟
- .....
- أنا آسفة والله لو فهمت حاجة غلط بس بجد مقصدش أزعلك بحاجة.

لم يكن يرد فقد وقع الهاتف من يده وتكسر دون وعي منه فلم يستطع إكمال المحادثة.

*****

- ما تسوق بالراحة يا عم أنت بتسابق في الكاس.
- عشان نخلص بسرعة ونرجع الموتسكل لصاحبه، وبعدين أنت راكب مع شوماخر العرب.
- طب بالراحة عشان شكلك هتموتنا بعد الكلمة دي.
- يا عم لما تموت ابقى اتكلم.
- وأنا لما أموت هتكلم إزاي يا مبرشم انت.
- استغل وقتك وصياحك دا وانطق الشهادة أحسنلك.
- يا عم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

دخلت والدة عمر عليه سريعًا شاحبة الوجه بأنفاس متقطعة ودموع محبوسة تخبره بأن أخاه قد أصيب في حادث وهو الآن في المستشفى مع أحد أصدقائه، لم يتمالك عمر نفسه فقد أسقط الهاتف من يده وتوقف عقله عن التفكير للحظات حتى يتمكن من استيعاب الموقف، ولم يلبث إلا أن قام مهرولًا ليذهب للمستشفى لرؤية أخيه، وحين وصل للمشفى كان الصديقان في غرفة العمليات، فأشار بعض طاقم التمريض للأسرة بالجلوس على كراسي الانتظار حتى يخرج الطبيب وعسى أن يمر كل شيء على ما يرام.

بعد عدة دقائق قد طالت قليلًا، خرج أحد الأطباء فوجد أحدهم قام مسرعًا نحوه يسأل بحماس شديد كيف الحال الآن، فأجاب الطبيب، هل تعلم الشاب الذي كان يرتدي بنطالًا أسود فأجاب عمر نعم إنه أخي.

ربت الطبيب على كتفه قائلًا في هدوء وتماسك، إنها أقدار بيد الله (البقاء لله)
اتسعت حدقتا والدهما وقد علا نحيب الأم لكنه ضمها وقال: "لله ما أعطى ولله ما أخذ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، إنا لله وإنا إليه راجعون".

لم يكن عمر بحال أفضل فقد سقط على ركبتيه متجمد الأوصال لا يتمكن من استيعاب الأمر برمته، لم تسقط منه عَبَرة واحدة حتى، كما لو أنه كان يبكي ولكن للداخل.

لم يكن في واقعه لقد تهاوى عقله فلم يكن يدري ما يحدث حوله من فقدان والدته للوعي ولا من الحركة حوله لقد كان جاثيًا على ركبتيه دون أدنى حراك، كما لو أنه قد فقد حياته هو الآخر، لقد فقد نصف جسده، لقد فقد توأمه.

ذهب له والده ليأخذه بين ذراعيه وكانت تلك اللمسة الخفيفة التي قد اعتصرت قلبه وفجرت مآقيه فقد انهمر شلال من الدموع دون نحيب أو صوت، فقط صمت تسيل فيه أنهار من الحزن، بملامح وجه جامدة وروح محطمة، لم يستطع إخراج صوت سوى "كان حقًا على الدُر أن تحتضنه الجنة، إنا لله وإنا إليه راجعون".

ذهب والدا محمد ليسألوا عن حال ابنهم فأخبرهم الطبيب أنه في غيبوبة لم يستيقظ بعد ولكن مؤشراته الحيوية مستقرة قليلًا وسيبقى في العناية المشددة لبعض الوقت.
خرج سرير من الغرفة عليها شاب في ريعان شبابه ممدد لا يتحرك، ما هو إلا جثة هامدة قد علت وجهها الابتسامة، شحوب الموت لم يزيدها إلا نقاء، اندفع عمر ليحتضن أخاه بقوة الآن يُسمع نحيبه وكلماته التي تهتز لها القلوب، خرج صوته محملًا بكل الألم والحزن:

- مش دا اللي اتفقنا عليه، أنت قولتلي هتروح مشوار وترجع نتكلم في موضوعنا، مقولتليش إنك هتمشي من غيري، إحنا اتفقنا هنفضل في ضهر بعض، مشيت من غيري ليه.

لقد صرخ بأعلى صوته صرخة قد هزت أرجاء المكان، صرخة كانت كفيلة بكسر أقوى القلوب، لقد انهار الجبل الصامت في لحظة، ذهب والده له والذي لم يكن بأفضل حال منه، فسحبه قائلا:

- استهدى بالله، دا قضاء ربنا مينفعش نقول غير إنا لله وإنا إليه راجعون، إنما الصبر عند الصدمة الأولى.

بكى بحرقة لم يستطع إخفاءها، وصوت يظهر عليه تهشيم روحه:

- قالي هروح مشوار وأرجع، مرجعش توأمي مش هيمشي جمبي تاني.

لم يتمالك حزنه حتى سقط على الأرض جالسًا، وأسند رأسه للحائط خلفه جفت دموع عينه واختفت ملامح وجهه، لم يعد في عينيه حياه.
ذهب الوالد مع الطبيب ليستخرج تصريح الدفن وإنهاء الأوراق المطلوبة، وسبحان من زرع القوة في الآباء حتى يفعل كل ذلك وهو أكثر المتألمين بداخله.

دخل أحمد وقد كان يظهر أنه جاء راكضًا فوجد صديقه جالسًا على الأرض دون حراك أو ملامح ظاهرة ولكن هيئته تحكي أكثر مما تريد السؤال عنه، لم يتفوه بكلمه لقد جلس بجانب صديقه دون أي صوت فما كان من عمر إلا أن أسقط رأسه على كتف صاحبه، كما لو أن رأسه كانت أثقل من أن يستطيع جسده أن يحمِلها.
انتهت مراسم الدفن، وكانت الأجواء صامته كما لو أن المشاعر تعجز عن تقدير الموقف ورد الفعل فيه، عاد كلٌ إلى منزله وذهب أحمد مع صديقه للمنزل وظل عنده حتى أنه كان ينام عنده دون أي كلام، احتراما وتقديرا لصمته لكنه موجود في أي وقت أراد أن يتحدث فيه.
أحيانًا لا نحتاج إلا لصمت طويل دون أي أصوات يكفي الأصوات داخلنا، نحتاج أن نتيقن أن هناك أناس بجانبنا، حين نريدهم نجدهم، لا نريد الاستماع للنصائح أو عبارات المواساة المكررة، نحتاج فقط بعض نظرات الأمان، عناق يدفئ قلوبنا، نحتاج لركن نلتجئ إليه فقط.

*****

في منزل نور كان قد أخبرها والدها أن تذهب لتقديم واجب العزاء في شقيق خطيبها الذي وافته المنية الليلة السابقة وقد انتهوا من مراسم الدفن، كان الخبر صادمًا قليلًا لنور من نواحٍ كثيرة، فهي ليست بجانب خطيبها كما أنها فقدت أحدًا كان لطيفًا معها يومًا ما، عادت ذكرياتها سريعا عن يوم إعطائها الخاتم، أو الطعام الذي تناولاه سويًا أو ضحكهم لكنها لم تكن بالمشاعر القوية التي جعلتها تبكي بقدر أنها بكت على شاب قد فارق الدنيا، ظلت تفكر فيما كانت أحلامه التي كان يريد تحقيقها، ذهبت رأسها في دوامة

من الأفكار هذا الشاب الذي مات الآن هل كان مستعدًا أم أنه كان يخطط لما سيفعله في الغد.

الحياة لا تحتمل المخططات فنحن لا نملك أنفاسنا التالية، كن لطيفًا فربما تموت غدًا.

ذهبت نور ووالدتها لمنزل عمر جلست والدة نور تقدم واجب العزاء ورأت نور أحمد وقد كانت تعرفه وسألته عن عمر فأخبرها أنه في غرفته فلتنظر قليلًا حتى يذهب ليراه، حين دخل عنده لم يكن بأفضل حال من السابق قال له:

- نور بره عايزة تشوفك ينفع أخليها تدخل؟
- .....
- خلاص ولا يهمك هقولها إنك نايم.

خرج أحمد وقلبه يعتصر حزنًا فليس في يده ما يفعله، وقال لنور:

- معلش يا نور هو تقريبًا نام من التعب ممكن لما يصحى أخليه يكلمك إن شاء الله.

أومأت موافقة وقد تغرغرت الدموع في عينها من عجزها عن القيام بأي شيء يخفف من حدة الموقف، بعد قليل خرجت والدة نور وغادرا عائدين لمنازلهم.

في الجامعة كانت نور تجلس وحيدة شاردة قليلًا وقد لاحظتها أمنية فذهبت للحديث معها:

- قاعدة لوحدك ليه متخانقة مع عمر ولا إيه.
- لا والله، بس أخوه توفي وهو زعلان جدًا ومش قادرة أعمل حاجة أو أكون جمبه.
- إنا لله وإنا إليه راجعون، عشان كدا غايب، طب ما تيجي نروح نعزيه بعد الجامعة وأنا معايا العربية خلصي وعدي عليا في المكتب ونمشي مع بعض.
- تمام ماشي موافقة.

*****

(الموت) هو الحقيقة الوحيدة التي يعرفها الجميع ويؤمنون بها، الأمر الذي مهما كنت جاهلًا ستعلمه، وعلى الرغم من ذلك هل أنت مستعد له؟

تتمنى الموت كل يوم وما أنت جاهز للقائه أبدًا، أنت أضعف من مواجهة الموت وأجبن من مواجهة الحياة.

أنت لم تُخلق ليسير كل شيء بحسب هواك، ولم تُخلق لتعيش مرتاح البال، أنت في اختبار، ولكنك لا تستطيع فهم ذلك، نهاية الاختبار هي الموت ويليها الحساب، ماذا أعددت لهذا الأمر، ماذا جهزت لما بعد موتك؟

ستموت غدًا؛ هل ما زلت صغيرًا على الموت؟ هل تعلم حتى أنك ستموت غدًا؟

ماذا لو مت بعد أن قررت التوبة، تخيل أن تلتزم اليوم وتموت غدًا، تخيل أن تعود للصلاة بعد انقطاع طويل وتموت وأنت ساجد، تخيل أن تصوم وحين إفطارك تسأل الله الجنة وتموت بعدها، تخيل أن عملك الصالح الذي تفعله الآن هو آخر عملٍ لك في الدنيا.

إن الحياة أقصر من أن تنتهي بذنب، وأطول من أن ينقطع نَفَسُك في الطريق إلى الجنة، لو فعلت الذنب ولم يلحق بك الموت فكن شاكرًا لله على تلك الفرصة وكن عازمًا على عدم تكراره، فربما لن تتاح لك تلك الفرصة في المرة القادمة.

الناس يموتون كل يوم ونحن كذلك نتأثر بموتهم كل يوم، ولكن ماذا بعد؟ ذرف القليل من الدموع ثم العودة للطريق القويم قليلًا ثم نرجع للبداية، الأمر في الأمل؛ الأمل في أن الحياة ما زالت طويلة، وأن العمر ما زال يحوي الكثير، فلمَ السعي والاجتهاد والتعب في حين أنه يمكنني الراحة الآن وسأبدأ غدًا؟ يا ليتنا نملك غدًا، لما كنا خُلقنا في كبَد أبدًا.

حين نقع في بعض المشكلات وتتزاحم الهموم حولنا نجد نوعًا من الناس يواسي بتواجده لا بالكلمات، لا يستطيع قول جمل المواساة المعروفة أو فعل أي شيء، لكن حين تقع ستجد كتفه لتستند عليه هذا النوع يملك مشاعر لا يمكنه أن يعبر عنها، ربما يرى أن هذا الموقف لن يجدي فيه الكلام شيئًا، فيصمت ليس تجاهلًا ولا إهمالًا ولكن عجزًا عن تقديم شيء، ولكن حين تناديه سيلبي، وحين تحتاجه ستجده، لا تلُم أحدًا على

صمته في محنتك، فلربما كان موجودًا دومًا ولكنه انتظرَ أن تناديه فقط، هو لا يعلم إن كنت ستتحمل صوته أو لا ولكن هو دومًا ينتظر، ستجده يخبرك حتمًا أنا موجود دائمًا.
إن رأيت أحدهم حزينًا وكنت تقدر على مواساته فلا تتردد، ربما هو في انتظار أي شيء ينتشله مما هو فيه، إن لم تنَل من الدنيا سوى لين القلب فقد ربحت، حتى وإن ظننت أن كلامك لن يؤثر كن على يقين أنه سيترك أثرًا لطيفًا قد يُرد لك يومًا ما، وفي كل الأحوال افعل الخير ولا تنتظر رده، لا تقل لقد فعلت ولم يُفعل لي، فالأجور عند الله لا تضيع.

بعض الناس يلازمهم الصمت عند همومهم، حتى وإن حاولت الحديث معهم لن تجد منهم إلا بضع كلمات: "الحمد لله خير"، "لم يحدث شيء" وغيرها، يفضلون الصمت والكتمان على أن يرتاحوا لأشخاص قد يرحلون في أي لحظة، ليست انعدام للثقة في الشخص ولكن عدم الثقة في بقاء الشخص، مساحتهم الآمنة ستتزعزع حين يعبرون حواجز خوفهم من رحيل الأحباء، لا يريدون الحديث مع أحد أو الراحة في الحديث مع أحد حتى لا يتألمون إذا رحل، إن وجدت أحدهم فاعلم أنه يحبك ولكن هو فقط يحاول الاطمئنان لا أكثر، لا تجبره على الحديث سيتكلم وحده إن أراد، لكن هو يعلم أنك موجود.

أحيانًا يفضل العقل أن ينعم بالسكينة فضلًا عن الحديث، يختار الصمت عوضًا عن الكلام، يحتاج أن يهدأ الضجيج حوله وداخله، لا يريد سماع أي كلمات سواء جيدة أو سيئة فقط يريد أن يصفو وينعم بالصمت.
إن وجدت من يحاول أن يهدأ فلتتركه يهدأ، سيقدر أنك لم تحاول اختراق هدوئه أكثر من محاولتك لمواساته، لا يريد أن يسأل أحد عن حاله، هو فقط يريد الصمت وسيتعافى ثم سيعود من جديد بنظرات التفاؤل ووجه مبتسم، حالات العقول متفاوتة وراحة القلوب تتباين من شخص لشخص، إذا كنت تسعد بالحديث وقت حزنك فبعضهم يشعر بالضيق إذا تحدث وقت حزنه، كن مراعيًا لكل الطبائع فما خلق البشر متشابهين.

في وسط كل المشكلات والهموم تجد أحدهم يضحك في موقف لسان حاله البكاء، هذا النوع هو من يواري بكاءه بالضحك، يمتلك روحًا نقية لا يريد أن يثقل كاهل أحد بالأعباء، فقط يريد أن يرى من حوله سعيدًا حتى يسعد لسعادتهم، هو يشعر بالألم ولكن يريد أن يتناساه، لا يريد أن يستسلم للحزن، إن أكثرهم ضحكًا أكثرهم ألمًا، وأكثرهم نقاء.

الضاحكون من الحزن لا يختارون أحدًا بعينه لإفراغ همومهم، هم فقط يمكنهم الحديث في أي وقت، ولا يشعرون بالحزن لرفض سماعهم، يعطون بلا مقابل، يسعدون جدًا لسماع الأشخاص وحل مشاكلهم وإسعادهم، يعوضون نقص فرحتهم بفرحة غيرهم، إن قابلت أحدهم فابتسم له؛ فلربما ابتسامتك هي ما ستثلج صدره في يومه العصيب.

حولنا أناس كثيرين قلوبهم صافية وفرحتهم نقية، يحاولون عدم الانغماس في غِمار مساوئ العالم، شارك هؤلاء خيرهم وكن مثلهم، لا تكن ظالمًا أو حاقدًا، لا تكن سام اللسان، كن لطيفًا وانشر لطفك على من حولك، لا تكن سببًا في إظهار أسوأ ما في غيرك، بل كن لطيفًا وتبادل اللطف، الكلمات أثرها يبقى والفعل قد يُنسى، أسعِد الناس بكلام طيب، ولا تطلق سهام السوء فهذا نقص، لا تكن سببًا في حزن أحدهم حتى وإن قابلك العالم كله بالحزن، لا تنجرف مع تيار السوء.

انجُ بنفسك، وافعل الصواب ولو على حساب نفسك، قوّم الشخص السيء وقابل السيئة بالحسنة، اترك أثرًا طيبًا يذكرك الناس به بعد موتك، كن أنت الجنة في وسط الصحراء واجعل من حولك يستقون من ربيع قلبك.

كن قويًا، دافع عن المظلوم إن استطعت، لا تسمع الإهانة لأحدهم وتصمت بل شاركه دفاعه عن نفسه، ولا تنتقص من نفسك بذكر أحدهم بالسوء سواء كان فيه أم لم يكن، إن لم تذكر غيرك بالخير فلا تذكره.

إن لم يكن كلامك مشجعًا فلا تحبط أحدًا، إن لم يقدمك كلامك خطوة للأمام فلا يُرجعك للخلف، إن لم يكن كلامك جابرًا للخواطر فلا يكسرها، كن لطيفًا؛ فالعالم لم يعد يحتمل.

*****

"مأساة الحياة ليس الموت، ولكن ما ندعه يموت بداخلنا ونحن أحياء"

(The tragedy of life is not death but**.** what we let die inside of uswhile we live**.)**

(6)

ذهبت نور وأمنية لمنزل عمر كما اتفقا وطرقت نور الباب ففتح أحمد فهو لا يفارق صديقه، قدمتا واجب العزاء وطلبت أمنية أن تقابل عمر لتعزيه فأخبرها أحمد أنه نائم، ففهمت نور أنه لا يريد مقابلة أحد كما المرة السابقة، ولقد كانت تأمل هذه المرة أن تقابله مع أمنية ولكن لم تلح الأخيرة على الأمر فغادرتا سريعا.

كانت الصديقات تتحدث على الواتساب ولم تكن أميرة أو أماني يعلمون بالحادث حتى أعلمتهم نور كان أكثرهم قلقا وخوفًا أميرة فقد كانت تختزن حبها لحين موعده والقلب يقلق على من أحب، كانت تسأل بشكل هستيري عن حاله ولكن نور كانت تطمئنها أنه بخير على الرغم من أنه في غيبوبة لكن حالته مستقرة.

بكت أميرة وكثفت الدعاء عسى أن يحفظ الله من تحب، وسألت بعدها عن حال عمر فنور تبدو حزينة فكيف به، لكن شعرت نور بالضيق أكثر فهي لا تستطيع أن تراه.
كانت نور تتردد يوميا على منزل عمر وكان أحمد بالمرصاد دومًا كل يوم بعذر جديد لمدة أسبوع، وعمر لا يذهب للجامعة وقد أوشكت الاختبارات على البدء وهو غير مستعد بتاتًا، كما أن هاتفه مغلق، وقد عزمت نور الأمر ستذهب وتراه بأي حال من الأحوال ولن تتردد في رؤيته، مهما كان عذره الجديد، طرقت الباب وفتحت والدته فتعجبت نور قليلًا ثم استأذنت للدخول، وطلبت أن ترى عمر، ولكن والدته كانت صريحة بأنه لا يريد مقابلة أحد، على عكس أحمد الذي كان يخترع أعذارًا، تفهمت نور كلام والدته ولكنها أصرت كذلك على رؤيته وقالت أن الامتحانات على الأبواب، ولن تتركه ليرسب بتلك السهولة، تفهمت الأم الأمر وتركتها تدخل.

أشارت لها ناحية الغرفة فذهبت فوجدته مستلقيا، يحدق بالسقف وخطان من الدموع يسيلان ببطء على وجنتيه دون نحيب، كما لو أن الحزن لم يعد يسعه المكان بداخله فقرر أن يخرج قليلًا منه.

دخلت وفتحت النوافذ وسمحت لأشعة الشمس تخترق ظلام تلك الغرفة التي خيم عليها الظلام والحزن، أشاح عمر بعينه فرآها فاتسعت حدقتاه قليلًا وقال بصوت هادئ:

- حظك إنه مش هنا.

شعرت نور بالإحراج قليلًا للرفض الصريح لوجودها وقالت بحزن واضح:

- أنا آسفة إني دخلت من غير استئذان وأنا عارفة إنك زعلان مني بس دا مش وقته، بس ممكن أعرف اشمعنا كنت بتكلم أحمد وقاعد معاه ومش بتكلمني ولا عاوز تشوفني؟
- ومين قال إن أحمد كان قاعد معايا وبيكلمني، أحمد كتر خيره بقاله أسبوع قاعد مغيرش هدومه ولا بينطق، مروحش غير لما قولتله روح، ولو مكونتش اتكلمت مكنش اتحرك من هنا، وكان مقدر إني مش عاوز أكلم حد وهو اللي كان مبيخليش حد يدخل عندي من غير ما أقوله.

كانت نور تحاول المواساة فقالت:

- طب وانت قافل على نفسك ليه، الحزن بيجيب حزن.
- بحب أقعد لوحدي وأنا زعلان مش بحب حد يكلمني، ومش حابب حد يعزيني.
- طب زي ما أنا شايفه من الصور والمكان دي تقريبًا مش أوضتك، ليه مش قاعد في أوضتك هتتعب نفسك وأنت محاوط نفسك بذكريات كدا.
- الذكريات دي للي ممكن ينسى أنا أخويا في قلبي مش محتاج ذكريات، كمان أنا مرتاح هنا في الأوضة دي.
- طب ممكن تروح أوضتك دلوقت عاوزين نبدء خطوة جديدة.
- مفيش خطوات قديمة عشان يكون في خطوات جديدة كل حاجة كما هي حالها عادي، أنا مش زعلان من الذكريات أو الحجات اللي ممكن تفكرني بيه لأني مش ناسيه، أنا بس مفتقد وجوده، كان مالي عليا حياتي.

لم يتمالك نفسه ثانية وبكى مرة أخرى، مما جعل نور تقف لا تعلم ماذا تفعل، لو كان حلالًا لاحتضنته وتقاسمت أحزان العالم معه، فصمتت وأشاحت وجهها للأرض حفظًا لماء وجهه.

قاطع الصمت المرعب سؤاله الغير متوقع:

- إيه السر اللي انت مخبياه عني؟

تفاجئت نور من السؤال:

- سر إيه؟ مش فاهمة لكن أنا مش مخبية حاجة.
- إنت كنتي اتكلمتي عن أخويا وبعدين لما غلطتي فيه قفلنا الموضوع، فممكن نصلح الخطأ وأفهم إيه السبب، عشان مش عاوز أسيب دي نقطة سودة للمستقبل.
- أنا آسفة إني غلطت مكنش قصدي، ونبقى نتكلم بعدين أظن دا مش وقته خالص دلوقت.
- اتفضلي سامعك.
- أنا مش عاوزاك تفهمني غلط ولا تفهم إني عاوزة أعيب في عبد الرحمن الله يرحمه ويكون من أهل الجنة يا رب، وأتمنى متاخدش عني فكرة وحشة، هي حاجة حصلت زمان وخلاص خلصت، المهم أنا كنت أعرف عبد الرحمن من زمان لما كنا في ثانوي، والمفروض كنا بنحب بعض أو هو كان مفهمني إنه بيحبني...
- وضحك عليكي وبعدين هددك وبعديها محمد هو اللي حل الموضوع وقالي أمسح اللي على تلفون عبد الرحمن، وأنت فكرتي إني أعرف الموضوع وجيت أتقدملك عشان أتسلى أنا كمان بشكل مقنع أكتر، فحسيتي إن بينضحك عليكي بسهوله، وعشان كدا قفلتي تلفونك وكنتي مبتتكلميش معايا في الجامعة.

أنهى عمر عباراته بهدوئه الذي كان يطغى عليه، وحلل المر بدقة شديدة حتى أن نور كانت تستمع بانتباه لكلامه، ولم تعلم بماذا ترد إلا أنها قالت:

- بصراحة آه، وكنت هفركش الخطوبة.

- أتمنى متتسرعيش في أحكامك بعد كدا، مبحبش المتسرعين في أحكامهم، محمد جالي في يوم وقالي على الموضوع بس مقاليش مين البنت دي، وأنا لما مسحت اللي على التلفون مشوفتش إيه اللي عليه عشان أعرف مين البنت، ولما كلمت عبد الرحمن مقاليش مين، لكن من بعدها حاله اتبدل مكنش بيفوت فرض، والتزم في الآخر، وأنا تجاوزت الموقف ومفكرتش أسأله مين البنت دي.

أنا لما جيت أتقدملك شوفتك أول مرة في السينما كنتي في فيلم كارتون وطلعتي تلعبي مع شوية أطفال بره، كنت حبيت الموقف، وعشان كدا كان في بالي أكلمك بس مكونتش هقبل إني أكلمك بعلاقة محرمة فكنت عاوز أمشي رسمي، ولما اتكلمنا انستغرام مكونتش أعرف إنه أنت البنت دي، واستغربت لما لقيتك معايا في الجامعة وإنك كلمتيني، ولما لقيت إني أقدر أكلمك قولت خلاص إن شاء الله هتقدملك.

لما قررت أتقدم عبد الرحمن خلى أبويا يوافق ومكانش يعرف مين ولما عرف حسيت إنه عاوز يقولي حاجة، وفعلا قعد معايا قبل ما يموت وقالي عاوز أقولك حاجة وتقريبًا كانت دي بس محمد كان اتصل بيه قبلها.

أنا مش زعلان من أخويا أبدًا، لأنه الحمد لله تاب واعتذرلي وقدرني لآخر لحظة، ولو كنت شايفك وحشة كان عبد الرحمن حذرني وقتها ومكنش خلاني أكمل، وقبل ما يموت عمره ما ذكرك بكلمة وحشة حتى لو كان غلط في حقك، ويمكن كان مستني يعتذرلك بطريقة ما، أنا متأكد.

أجج عمر نار الحزن في قلبها حتى سرت عبرات منها وقالت:

- أنا آسفة على كل حاجة، وأنا مسامحاه أنا كنت فاهمة كل حاجة غلط، تسرعت أنا آسفة إن شاء الله مش هتتكرر ممكن نبدأ صفحة جديدة.

في وسط حديثهم كان أحمد قد وصل وتوجه للغرفة التي يتواجد بها عمر فوجد الباب مفتوح ونور تجلس أمام عمر فقال محاولًا أن يغير من الجو المحتدم:

- الله يا ببلاوي، بقا أنا أسيبك ساعتين ألاقيك بتجيب نساء في البيت؟

ضحك عمر بثغر كسير كما لو كان يحاول إزاحة أطنان من الحزن عن قلبه:

- ضحكتني وأنا مليش نفس.

غمز أحمد بطرف عينه قائلًا:

- ملكش نفس ازاي وأنت قاعد مع الحب ها؟

ردت نور في خجل:

- أنا جاية عشان أذاكر معاه اللي فات عشان الامتحانات قربت.

قال عمر كمن تملكته الصدمة:

- يعني مش جاية عشان أنا في شدة ولازم تقفي جنبي؟

ردت نور سريعا محاولة تدارك الموقف:

- والله لا أنا كنت باجي كل يوم وأحمد مكنش بيرضى يخليني أكلمك، وجيت النهاردة مصممة إني أشوفك وبالمرة أقولك على اللي فايت عشان لازم نعدي الموقف دا وإن شاء الله الجي يكون أحسن، وبعدين مش هتجوز حد أصغر مني.

كانت نظرات أحمد المبتسمة سببا في احمرار وجهها خجلًا، ولكنه كان يبتسم لصديقه الآن ابتسم وهذا يكفي، يعلم أن الأمر لم ينته بعد ولكن يكفيه ابتسامة اليوم وغدًا ربما يعود كل شيء على ما يرام.

جاءت والدة عمر لتخبرهم بتجهيز الغداء فقامت نور لمساعدتها في التحضير، وجلس عمر وصديقه سويًا فقال أحمد:

- والله يا صاحبي كانت بتجيلك كل يوم وكنت كل يوم بخترع حِجة، كنت تشوفها وهي ماشية راسها في الأرض كانت بتصعب عليا والله.
- أنا عارف إنها طيبة بس أعمل إيه أنت عارف لما بكون زعلان مش بحب أتكلم مع حد، وبعدين أنت غيرت هدومك ونضفت أهو، لا النضافة باينة.
- طول عمري نضيف أنت اللي مبتشوفش.
- معذور يا عم لابس نضارة.

- أنت عارف اللي مزعلني إنك معدتش بتعاملني زي الأول، يعني أنا قاعد معاك بقالي قد إيه مبتعبرنيش ولا بتف في وشي حتى، وهي ساعة ما تيجي تتكلم وتفك معاها، اخص عليك يا صاحبي مكانش العشم.
- عيب عليك يا عم والله هي جت قدرًا.
- لا يسطا إنت معدتش بتحبني زي الأول.
- رجعنا لشغل الألوان تاني أهو.

رد أحمد ضاحكًا:

- قوم يا عم غير هدومك واستحمى ريحتك عفنت، على ما تخلص أكون ظبطتلك الأوضة.

قام كلٌ لما يفعله، الأجواء ما زالت مليئة بالحزن ولكن وطأتها أقل قليلًا سبحان من خلق لنا المشاعر التي لا تظل ثابتة فلا نعيش في حزن دائم أو فرح دائم مبالغ فيه، الحمد لله على نعمة التوازن والقلب النقي الذي يشعر بهذا التوازن بين الشعور، وإنه لمن كفر تلك النعمة أن ينظر الإنسان لسوء الأحوال وفقط وينسى نعم الله عليه، فيفكر في سوداويات الأمور ولا يفكر في إيجابياتها، وما خلقنا إلا بين مِحَن ومِنَح، بين شكر وصبر، فإما نمنح فنشكر فلنا الأجر، أو نمتحن فنصبر فلنا الأجر، ما أعظم كرمك يا الله.

كان عمر يحاول تجاوز الأمور بمساعدة صديقه وخطيبته التي كانت تراجع معه ما فاته حتى موعد الامتحانات والتي مرت بسلام، كانت العلاقات تتقارب بين نور وعمر شيئًا فشيئًا وصارت الثقة أكثر تبادلًا بينهم.

كان محمد ما زال في المستشفى ولكنه أفاق من غيبوبته نسبيًا ولكنه ما زال تحت الملاحظة حتى يسهل الله الأمر ويكتب له الخروج قريبًا.

لم يتوانى عمر وأحمد عن زيارته يوميًا متعمدين عدم ذكر عبد الرحمن أمامه فقط يتحدثون معه قليلًا في أي شيء بسيط حتى لا يُجهد، فإذا ذكر عبد الرحمن أخبروه أن يهتم بنفسه فقط الآن ويخرج بالسلامة أولًا.

الأيام تمر سريعًا ففي يوم ميلاد نور اتصل بها عمر:

- صباح الفل.
- صباحي.
- إيه اللي صباحك؟
- المفروض أقولك صباح النور وبما أن أنا نور فيبقى صباحي أسهل، لا صحصح معايا كدا، المهم صاحي بدري ليه حد هيحصله حاجة النهاردة.
- والله كنت هقول على خبر مهم بس أنت فصلتيني بصراحة.
- لا خلاص حقك عليا قول.
- اتفقت مع أبو خطيبتي إننا نطلع نتمشى شوية بمناسبة عيد ميلاد خطيبتي النهاردة وأبو خطيبتي وافق وقولت لازم أنت أول حد يعرف بالموضوع دا، إيه رأيك تيجي معانا؟
- إيه أنت خطبت؟
- .....
- آه صح دا أنا معلش أنت فاجئتني بس، آه هاجي معاكم إن شاء الله، هو في إيه أنت وترتي بجد.
- أنا اللي أصحصح معاكي فعلًا.
- أنت اللي لغبطتني وأنا من الفرحة مستوعبتش لو سمحت متتريقش، أنا هقوم ألبس وأجي عندكم، حالًا ولا أقولك أنا قدام البيت افتح بسرعة مش قادرة أتنفس.
- لا حول ولا قوة إلا بالله، مكونتش أعرف إنك بتتهبلي من المفاجآت.

*****

خرج محمد من المشفى بعدما استطاع التحرك والتأمت جُل جروحه، فذهب لمنزل صديقه حتى يطمئن عليه فلا أحد يجيبه عن أي شيء بخصوصه وقد نال منه القلق أن

يكون أُصيب إصابة لن يشفى منها ولذلك لا أحد يخبره بما يجري، فتحت أم عمر له الباب وابتسمت قائلة:

- أهلًا وسهلا يا محمد حمد الله على سلامتك يا حبيبي.
- الله يسلمك يا طنط هو عبد الرحمن فين عاوز أشوفه.

ردت الأم بكسرة قليلًا ولكن حاولت تمالك نفسها:

- طب ادخل أنت هتتكلم من على الباب كدا مينفعش.

دخل محمد، ولما سمعه عمر خرج له مهللًا:

- حمد الله على السلامة يا غالي، أنت قاعد هنا ليه تعالى أوضتي ريح شوية.
- الله يسلمك يا غالي متقلقش أنا الحمد لله تمام، فين بس عبد الرحمن ياريت تبطل تتهرب من السؤال، هو حصله حاجة ملهاش علاج لا قدر الله؟
- عبد الرحمن مات يوم الحادثة.
- يا أخي متقولش كدا بس حرام عليك.

رد عمر بكسرة صوت واضحة:

- ياريت أكون بكدب لكن دي الحقيقة عبد الرحمن مات يوم الحادثة لما وصلتوا العمليات هو كان يعتبر ميت أصلًا ودفناه تاني يوم الصبح.

لم ينطق محمد بكلمة للحظات ثم قام من مكانه وقال "البقاء لله" وخرج مسرعًا دون الالتفات لأي كلمة من عمر ولم يستطع الأخير الإمساك به فهو يعلم أنه لن يستطيع التخفيف من وطأة الموقف على قلبه.

ذهب محمد لزيارة المقابر وقد كان يعرف مكان دفن العائلة فظل يسير بين الشواهد حتى وصل لشاهد قبر مكتوب عليه اسم صديقه المغفور له بإذن الله.

الآن تهبط العبرات دون تحكم فيها لقد جثا على ركبتيه أمام القبر وبلل الثرى بدموعه المنهمرة وأخرج ما في قلبه لعل ذلك يخفف من حزنه قليلًا:

- خلاص كدا يا صاحبي؟ وصلت آخر المشوار قبلي، أنا آسف إني مكونتش معاك كنت في غيبوبة، متزعلش مني، على فكرة أنا سألت كتير والله أخوك مكانش بيقولي حاجة، لكن والله أنت واحشني جدًا، دلوقت هحفظ قرآن لوحدي، والعمرة اللي

اتفقنا عليها كدا هعملها لوحدي، خلاص مش هنشجع بعض على قيام الليل تاني، ومش هنضحك على مشاكلنا تاني، أنا بقول كلام ملغبط سامحني أنت مش متخيل أنا لحد دلوقت مش فاهم إنك مش هنا، كل حاجة قدر من ربنا أنا عارف وأنا والله مش معترض أنا حاسس بالذنب شوية، بس قدر الله وما شاء فعل، أنت سبقتني للجنة إن شاء الله يا أجدع أخ وصاحب، إن شاء الله قبرك هيفضل منور طول ما أنا عايش، لو مش هيوصلك صوتي هتوصل دعوتي إن شاء الله، ولو موصلتش فهنكون اتقابلنا في الجنة إن شاء الله.

بكى بحرقة كما لو أن قلبه هو من يبكي وقال "ربنا يجمعنا في الجنة يا صاحبي"
جلس طويلا عند القبر لم يشعر بالوقت ولا بألم جروحه التي يجب أن يستريح حتى لا تتضاعف، لقد كان يريد أن يشعر بقرب صاحبه مجددًا لقد كان يريد أن يودعه ولم تسنح له الفرصة، فجلس يدعو عسى أن يجتمعا في الجنة مرة أخرى.

قبل أن يسدل الظلام أستاره قام من مكانه يتخبط في الطرق ففقدان أخ بمثابة فقدان عضو من جسدك كنت تستند عليه، وكيف لا تحزن على وداع صديق قد قاسم العمر معك.
اللهم لا تحرم صديقًا صالحًا من صديقه في الجنة.

*****

مرت نور على عمر في المنزل وذهبا سويًا إلى أحد الأماكن والذي كان يظهر أنه مظلم ولا أحد فيه فتعجبت وقالت:

- أنت خاطفني ولا أيه مفيش حد هنا هو احتفال حزايني.
- يعني أنت مش فرحانة بيا، بدل ما تقوليلي مش بالشخص لا بالمكان.
- أنت قصدك العكس صح؟ زي القافلة تعوي والكلاب تسير كدا.
- لا أنا معرفش كلاب بتعوي، أنا لو شوفت كلاب بتعوي هركن القافلة وأنزل أدغدغ دماغها.

- سوبر مان الغلابة، ربنا يخليك ليا، وبعدين هي بالشخص فعلا مش بالمكان، أنا بس كنت بتطمن إني مش مخطوفة.
- وأنت اللي هيخطفك هيعمل بيكي إيه؟
- والله! يعني أنا مش وش خطف؟ اتفضل روحني.

ضحك من رد فعلها المفاجئ وملامح وجهها الجادة وقال:

- أول مرة أشوفه على الحقيقة، كنت دايما أسمع عنه من أحمد بس، لكن أول مرة أشوفه...

أثناء حديثه كانا قد دخلا المكان وأضاءت الأنوار فجأة وخرجت صديقاتها مهللين بالبالونات، كان عمر يعلم أنها ستصرخ فوقف مرة واحدة أمامها وقال:

- لو صرختي هدفنك مكانك؟

كانت نور على وشك الصراخ فعليا لكنها تداركت نفسها سريعا ولكن لم تستطع كتم صراخها فأصدرت صوتًا يشبه صرير باب الغرفة، كانت علامات الفرحة العارمة بادية على وجهها، وكانت الأسرتان مجتمعتان في جو يحاولون فيه نبذ القليل من الحزن الذي قد صاحب كل اللحظات.

أعطى عمر هدية لنور وأخبرها أن تفتحها دون صراخ، فهي حماسية للغاية ولا تستطيع تمالك نفسها في مثل هذه اللحظات.

- خدي يا ست البنات هديتك أهي، ومتطلعيش صوت عالي عيب.
- على فكرة أنت ظالمني أنا بصرخ بس لما بكون لوحدي أو مع أصحابي البنات، أنا مش رقاصة.
- آه فعلا أنا اللي ظالمك دا أنا لسه لاحقك من شوية.
- منا اتفاجئت.
- ولسة فيه مفاجآت تانية.
- هموت منك كدا.
- قولي يا رب.
- لو سمحت اتفضل روحني بقولك.

- مش عاوزة تعرفي المفاجأة؟
- مش أنت عاوزني أموت؟ لا مش عاوزة أعرف.
- ماشي مش هقول.
- لا قول.

رفع حاجبه في تعجب وقد ابتسم قليلًا، ونظر لها وهي تحارب كبريائها ويرى كم تقاوم فقال:

- صعبتي عليا هقولك بقا وخلاص، ربنا يخلينا دايما في مساعدة الناس الغلابة اللي زيك.
- على فكرة بقا مش عاوزة أعرف أصلا أصلا مش فارق معايا.
- لا أنا قلبي طيب مش هقدر أفضل مخبي فهقولك، المهم أنا اتفقت مع الحج حمايا إن هنكتب كتابنا كمان شهر، وإن شاء الله نعمل فرح كمان سنة ونتجوز واحنا في الكلية.
- لحظة عشان مش مستوعبة أنت ازاي أقنعت بابا بالكلام دا.
- هو مش أنا اللي أقنعته هو بابا اللي قال إن إحنا مخطوبين وباين إننا كويسين مع بعض ومش هينفع نروح فأي مكان لوحدنا واحنا مخطوبين فهنكتب كتاب عشان نعرف نكون مع بعض يعني وبالنسبة للجواز، فوالدي ووالدك قالوا هيساعدوا وأنا الحمد لله لقيت شغل، فإن شاء الله من غير مقاطعة وربنا يسهل الشقة موجودة وعلى ما تتجهز بس نتجوز بقا، والدك كان معترض على أني مش بشتغل بس حاليا لقيت شغل، وإن شاء الله ربنا هيسهل الباقي.
- قلبي الصغير لا يتحمل كل هذه المفاجآت بجد.

اتسعت عيناه ورد بسرعة:

- يعني خلاص هتموتي؟
- اتفضل روحني أنا جبت آخري كدا.

ضحك هذه المرة بشدة على انفعالاتها:

- أنت بتتلككي خدي بالك، وتقريبًا كدا أنت اللي مش عاوزاني أهو.

- والله! يا عم خد طرابيزة أهي دغدغها على دماغي لأن دا مش قلب طرابيزة عادي.
- لا متهونيش عليا مليش غيرك.
- خد قلب أنا كدا اتثبت خلاص.
- طب بمناسبة الرضا دا في موضوع كدا كنت عاوز أكلمك فيه.
- أنت تؤمر أمر هو أنا أقدر أرفض بعد كل دا.
- لا مش أمر ولا حاجة هو طلب وبالنقاش برضـه هنحله إن شـاء الله، أنت عارفة إنك خطيبتي وإن إن شاء الله قريب هتكوني مراتي.
- أنا عملت حاجة غلط؟
- بصي أنا بغير على اللي يخصني ومتكلمتش في الموضوع دا قبل كدا، بس في حاجة مضايقاني وهي إن لبسك مجسم شوية ودا طبعا حاجة مترضيش ربنا قبل إنها مترضينيش يعني، لو أنت متفهمة كلامي فأنا هسيب القرار ليكي، بس أنا من يوم ما عرفتك معرفتش إنك بتكوني مصرة على الخطأ يعني، وأنا قولت أتكلم دلوقت عشـان متفكريش بعد كدا أني بأمر أو بتحكم أنا بس بتناقش معاكي وبنشـوف الصح والغلط وفي الأول والآخر إحنا عايشين عشان نرضي ربنا وبس.
- بعد كل اللي عملتهولي دا مقدرش أرفضلك طلب.
- لا مش عاوز الموضـوع يكون بالشـكل دا، أنا عاوزك لما تعملي حاجة تبقى عارفة إنك بتعمليها عشان دا اللي دينّا قال عليه، مش عشان أنا طلبت.
- بس أنت هتنصحني المفروض.
- أكيد إن شاء الله.
- خلاص يبقى عنيا، تطلب في أي وقت وإن شاء الله نعمل الصح سوا.
- أنت شايفة إن اللي بيمشي على الدين بالظبط دا متشدد؟
- أكيد لا، إحنا في عرض حسـنة ندخل بيها الجنة، بس الناس مش فاهمة ومش عاوزة تفهم، أنا عارفة إني بغلط والله بس مش عارفة أبدأ منين لكن لما حد بينصحني بسـمع والله، أنا بقول الحمد لله إني مش من النوع اللي بيعترض على حاجة قالها الدين، وعارفة إن إحنا اتخلقنا عشـان نمشـي عليه، بس اليومين

دول صعب لأن مفيش حاجة قدامك بتفهمك الصح، بالعكس الناس بتتنافس في الغلط، واللي بيحاول يعمل الصح منبوذ أو بيتحارب، فالموضوع يشتت.

- طب ليه محاولتيش تبحثي بنفسك.
- حاولت في حجات كتير ولقيت كلام كتير على نفس الموضوع يعني ناس بتقول حلال وناس بتقول حرام وأنا مش أهل لأني أحكم مين صح فيهم، بس لو أنت عندك معلومات ممكن تعلمني.
- طيب وريني إيدك كدا.
- إيه هتقطعهالي ولا إيه.
- مش دلوقت، وريني بس.
- أشعر بالتهديد وهبدأ أخاف منك.
- لا كنت عاوز أقولك إن الكم مينفعش يتشمر كدا بس، مش شرعي يعني الشكل دا.
- حاضر عنيا، بس معلش هتعبك شوية تقولي إزاي اللبس الشرعي.
- بكل بساطة هو لبس لا يصف ولا يشف، يعني ميوصفش حاجة من جسمك وميكونش بيشف، والمباح عند بعض العلماء إن اللي يظهر هو الوجه والكفين بس، غير كدا الباقي يتغطى، وعلماء تانيين قالوا لا لازم كله يتغطى.
- طب كويس لما أنا أشوف بقا حاجة فيه اختلاف زي دي أعمل إيه.
- سهلة بصي، العلماء لما بيختلفوا بينقسموا لقسمين في منهم بيختلفوا في فهم النص الشرعي، يعني النص قدام الاتنين بس كل واحد فهمه بطريقة، وشرح عليه بالنسبة لحالة معينة، فكدا سواء سمعت كلام دا أو كلام دا فالاتنين صح، وأنا بقا من وجهة نظري أشوف أختار إيه ممكن يجيبلي حسنات أكتر، القسم التاني بقا اللي بيختلفوا بدون دليل يعني مثلًا، في علماء بتقول الموسيقى حلال، وعلماء تاني بيقولوا لا حرام، ساعتها هشوف مين فهم هيجيب دليل واللي يجيب دليل من الدين هو اللي أسمع كلامه، طبعا الموضوع أوسع من كدا شوية لأن في حجات مستحدثة فمفيش فيها نص ديني فاحنا بنبحث بقا ونشوف

مين من العلماء بيشوف الأصلح للمجتمع وبيعمله، وطبعا مينفعش نمشي برأينا أو نسمع كلام حد مش دارس، لأن من نعمة ربنا علينا إنه جعل العلماء لنقل الدين والعلم وشرحه، مش بيألفوا فيه، يعني العالم دا مش بيقول رأيه هو بيقول اللي الدين قاله واللي ربنا أمر بيه أو نهى عنه، بس عشان إحنا مش علماء باللغة والأصول وغيره مش هنعرف نفهم كل حاجة لوحدنا، فلازم حد موثوق فيه يشرحلنا، ولما يستشهد بالدين بكلام صحيح فواجب أقول سمعنا وأطعنا.

- الموضوع طلع كبير فعلًا، بس إحنا هناخد ذنب على إننا منعرفش أو مبنتعلمش؟
- على إننا مبنعرفش لا، لكن على إننا مبنتعلمش آه، لأن أنا لازم عليا كمسلم إني أعرف المطلوب مني ما هو كلمة مسلم دي مش اسم بس، مسلم يعني مستسلم لأوامر الله ونواهيه، والتزامي هو اللي يخليني أطمع إني أقول عاوز أدخل الجنة لما أموت.
- إن شاء الله أعمل حاجة تستاهل تدخلني الجنة، لو لقيتني بقع قومني بقا ممكن؟
- إن شاء الله أكيد.

*****

إن كان بإمكانك وضع ذرة من السرور في قلب أحدهم فلا تتردد، فقد نالت منا الحياة ما يكفي لتحطيم ما بقي منا، أصبحنا نتمسك بأي لحظة سعيدة حتى وإن كان وهمًا زائلًا لقد صار الشيطان يتربص بنا أكثر من أي وقت مضى، فزين لنا جميع سبل السعادة الوهمية، لا نريد ذلك فقط نريد أن يتراقص قلبنا فرحًا أن هناك من يهتم لأمره، الأمر أبسط من التفكير في اتخاذ أي خطوات.

الثقة صارت في القلوب كما الأشواك لا تدري كيف تثق في أحد ما وقد سرقت منا الحياة أجمل اللحظات غدرًا، كيف نحب وكيف نَألف ونُؤلف ونحن في أبسط الأمور نبتعد، شعور الثقل على الأقرباء منا الذي يلازمنا جعل الخوف صديقنا، نصمت حتى لا يساء فهمنا، نتحدث حتى يُعلم أننا ما زلنا هنا، ولكن لا شيء يثبت أننا على قيد الحياة.

نحن نجازف كل مرة حين نجد من يقدم لنا اللطف، من يمسح على ندبات قلوبنا ويعانق ما بقي من أرواحنا، نتمسك بالأمل كل مرة لعل هذه المرة تكون الأفضل، فما بال قلوبنا لا يحسن لها ساكنوها حتى أضحت خرابًا، أما آن أن تزهر تلك الشقوق فتواري ما قد هشمه الزمان، أما آن أن نقترب دون خوف، ونبتعد دون قلق، ألن تجد قلوبنا مروجًا خضراء بعد؟

لقد حاربتنا الحياة بكل ما أوتيت من قوة، حتى الزواج الذي قد أوجده الله سكنًا لقلوبنا صار سلعة، وإن كانت النوايا لا تريد ذلك، ولكن من يستمع.

في الواقع أن تتزوج في سن صغير لهو أدفأ ما تفعله في حياتك، أعلم حجم الغلاء والطلبات التي تقسم الظهر، ولكن هناك من يعلم عظم الميثاق ولا يلتفت لما يباع ويشترى، دع فتن الدنيا عن رأسك واسع أن تبحث عن العفاف بما تستطيع، فمن رضي فاستعن بالله على إتمام عقده، ومن رفض فقد حفظ الله لك سعيك لأجَله.

كن صريحًا مع نفسك فلا أحد غيرك يعلم ما أنت قادر عليه، أنت فقط من يستطيع رسم حدود طاقاتك، لا تُغالي ولا تتكلف وكن بشوش الوجه، حسن اللسان، تأخذ ما تريد بطيب الكلام وبديع الأخلاق، الحياة لا تعاش من أجل الأموال أو البيوت أو الذهب، الحياة أبسط من ذلك ابحث عمن سيقدر تلك البساطة.

لا سن للزواج ولا قواعد تحكمه إلا دين الله وحسن المعشر، وجنس الإناث يأتين باللين وطيب الخلق وسماحة الوجه، لا السن ولا المال يكسبون القلوب، وما الانجذاب لهم إلا روابط هشة واهية كخيوط العنكبوت.

أسلوب الأمر في العلاقات غير ناجح أبدا، أنا أحبك لنتقاسم الآراء لسنا حاكم ومحكوم، شركاء الحياة هم شركاء في كل شيء بما يحفظ القوامة حين الحاجة، إذا وجدت الثقة قويت الرابطة وصارت الأخطاء تُنبذ بالنصائح.
رقة الفتيات تظهر بكلمة، تحزن بكلمة وترضى بكلمة، تنقلب سماؤها أرضا بكلمة وترتفع صوب السحاب بكلمة، وأنت من تحدد الكلمة، فحدد كيف ستنتقي كلماتك، كيف ستأسر قلبًا لم يقع فيك بعد.

إن السعادة الروتينية مملة حاول أن تسعد بدون نمط، كن عشوائيا، جرب أن تسعد بطريقتك، لا كما اعتاد الناس، قدم هدايا مميزة غير مألوفة، فالأمور خارج روتين الحياة هي ما تلتصق بقوة في خلايا الذاكرة.

كن معطاء بطبعك ولا تنتظر المقابل، قدم السعادة دون أن تقول لا أحد يهتم بي، أسعد غيرك دون أن تقول لماذا لا يسعدني أحد، ابدأ بنفسك وامنح دون مقابل من الناس وانتظر المقابل من الله، فمن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على قلب أخيك، تذكر أشياء مميزة في حياة أحدهم وشاركها معه واستشعر فرحته، كن نسمة الهواء التي تداعب حنايا القلب، يسعد الناس بوجودك، وتسعد أنت بنفسك، لا تجعل مساوئ العالم تلطخ قلبك النقي، لا تكن بائعا للسعادة بل كان ناشرًا لها، انتظار المقابل أمام العطاء هو ما يُحزن القلب إن لم يأتِ، أن تحب أحدهم وتنتظر منه نفس الكم من الحب الذي تعطيه إياه لهو إهلاك لروحك، أن تعطي أحدهم قيمة لن يقدرها لهو إهدار للطاقة، كن معطاءً بدون إسراف، أهدِ ابتسامتك للجميع، دون تكلف وعناء، لا تفرغ طاقتك في شخص واحد حتى لا يخيب أملك.

اعتزل ما يؤذيك حتى وإن كنت تحبه، ابتعد عمّن لا يقدر قيمتك وإن كنت ستعاني ألم غيابه، كما تعودت على وجود أحدهم ستتعود على غيابه، لا تجلس في النار بحجة أن السماء تمطر، الماء يجف لكن النار تحرق وندوبها لا تختفي.

أن تحب أحدهم هو علاقة طريفة في تبادل الآراء للتوصل إلى ما يهون الحياة عليكما، فلا تسير الحياة بالتعنت ولا بالتناطح، بل تسير باللين والود، والفعل بطيب نفس ورِضا، لا تختبر حبك بأسلوب الأمر فمن سيسمع كلامك اليوم بِرًا به؛ سيتضجر غدًا من سلطتك، الود بالود والطلب باللين.

الحب دومًا في الخير، لا حب مع شر، إن أحببت فلا تكن عونًا للشيطان على من تحب، لا تطلب سوءًا أو تساعد فيه، فإن فعلت فما كان حبًا.

العادات السيئة لا تنتهي في يوم وليلة، فإن قَصر نفَسك فما أنت بواصل لمبتغاك، جادل بالتي هي أحسن وحث على الخير بدافع الحب والدين، فإن كان البالون مثقوبًا فدعه وحافظ على سلامة رئتيك، الترك بعد المحاولة ليس غدرا وإنما اختلاف في الأفكار وتوازي في الطرق فربما لم يحن الوقت ليتقاطع أحدهم مع طريقك، فلا تبخل على نفسك بحفظ طاقتها قليلًا.

*****

"كن فاعلاً للخير، عندما تجد شخصًا بلا ابتسامة امنحه ابتسامتك."

(Be helpful. When you see a person without a smile, give him yours.)

(7)

في وسط الأجواء المرحة للاحتفال كانت العائلتان قد جهزوا لتناول الطعام سويا استكمالا للحفل وقد كان عمر ونور يجلسون في طاولة مجاورة وأميرة وأماني يجلسون في طاولة أخرى سويا، لقد كان كلٌ يتبادل الحديث منفردًا حتى لا يضيعا لحظات لنور وعمر معا فنادرًا ما يجلسان سويا، فلقد أشار الدين بعدم الخلوة بين شاب وفتاة وقد كانا يحاولان الالتزام بذلك الأمر سويا.

- فاكرة أول مرة اتكلمنا فيها؟
- آه على إنستغرام، كنت دخلت قولتلك شكرا.
- يعني مطلعتش لوحدي اللي بفتكر أهو.
- أنا برضه في مناسبات بفتكرها بس ذاكرتي ضعيفة والله يبني.
- آه عجزتي يا بيضة خلاص.
- فاكر لما كلمتك وانت مكونتش عارفني؟
- هي ذاكرتك مبتفتكرش غير الحجات اللي فيها نكد؟
- يعني أنا نكدية؟ روحني انا عاوزة أروح انا اتهانت..
- أنت بتتلككي، دا انا عملتلك مفاجأة تخليكي متزعليش شهرين قدام..
- تمام نلتقي بعد شهرين انتظرني.
- هي حرب يا بنتي، هو اي اللي هتستني شهرين عشان تتخانقي.
- بقولك إيه أنا جعانة.
- تسمعي عن المواضيع اللي بتخلص لآخرها؟
- أنت بتتوه أهو عشان متأكلنيش.
- لا على إيه قومي يا أختي حتى نقعد مع الجماعة شوية وكدا كدا هناكل كلنا.
- أختك!؟ بعد اتنين وعشرين سنة جواز تقولي أختك، جرا إيه يا دونيا موركيش غيري ولا إيه.

- بقولك إيه أنا هرجعك لأبوكي عشان مش هقدر أعيش بالشكل دا.
- يلهووي عليك ده أنا بهزر، المهم تعال أكلني.
- ليه هو أنت معاقة؟

نظرت نور وحدقتا عينيها متسعة تحاول كتم الضحكة من صدمة الرد:

- يبني مبتتقالش كدا، إيه الرد دا، المفروض تعمل كدا من باب الرومانسية.

ابتسم وهو لا يفهم ماذا هناك ولكن قال مازحًا بوجهه الجامد الذي لا تستطيع تحديد هل هو يمزح أم لا:

- مبتكلمش في السياسة.

كانت نور تفهم تعابيره وتعلم أنه يمزح فقالت باصطناع كأنها تمثل:

- أنا كنت دخلت ف المود فصلتني بجد، وتقولي أنا اللي تعباك.

ذهبا للجلوس مع العائلة وأثناء تناول الطعام أشار والد نور على الاتفاق الذي دار بينه وبين والد عمر بخصوص عقد القران وميعاد العرس، كانت الأجواء جميلة ودافئة قالت أميره وأماني لنور:

- ألف ألف مبروك يا ريكو، ألف مبروك يا عمر.

رد عمر بمزاح:

- واشمعنا نور ألف ألف مبروك وأنا ألف مبروك بس.

احتدت ملامح نور ونظرت لعمر في شر:

- متهزرش مع أصحابي.
- بتغيري عليا ولا إيه.

ردت بنفس الحدة:

- أيوة بغير ما أصحابي مش محرم يعني متهزرش معاهم.

رد عمر مقلدًا طريقتها في الكلام:

- متبقيش قفوشة كدا دا أنا بهزر.
- متقلدش كلامي.

- حاضر مش هقلده.
- لا خلاص قلده.
- بصي إحنا نروح نعالجك من الحالة النفسية اللي عندك دي الأول ونبقى نشوف باقي التفاصيل دي بعدين.
- يعني أنا مريضة وعاوزة أتعالج؟
- أنت بتتلككي عشان تتخانقي؟
- يعني أنا نكدية وبحب الخناق؟
- كلامك دا فراغ ولا هرمونات؟
- فراغ.
- تمام كملي.
- نبدأ من الأول عشان قاطعتني.. أنت إزاي بتقاطعني ومش بتحترم كلامي...
- بقولك أي خدي دبلتك أهي أنا مروح.
- خد بالك أنت بتبوظ الخناقة كل شوية.
- بقولك إيه تاكلي ولا نروح؟
- خلاص هاكل...
- الحمد لله عرفنا بنسكتك إزاي..
- يعني أنا رغاية؟
- يهيييييي بدأنا تاني.

ضحكت نور على الرغم من بساطة الموقف، لكن هناك أوقات تلامس القلب بأقل تفاصيلها، أوقات تلقائية لا تصنع فيها، سعادة خالصة يتناسى فيها القلب ما قد يخالجه من حزن.

نحن نقع في الأخطاء حتى نتعلم منها لا لتكون عواقب في حياتنا، بناء الحصون أمامنا لتحمينا لن يجعل للحياة معنى، ربما يُضيع علينا الخوف ما قد يكون النجاة لنا، ولذلك الأخطاء هي ما ترشدنا للطريق وتخبرنا مَن تمسك بنا ومَن تركنا ومن سيضع كتفه إذا

وقعنا ومن خذلنا، نحن نبحث عن السعادة ولن نجدها بالخوف؛ بل بالمجازفة، نجدها بالبحث عنها رغم العواقب سنحاول مرة أخرى فما زال في العمر باقي.

*****

استيقظت نور واتصلت بعمر للذهاب للجامعة وبعد عدة محاولات أجاب.

- إيه كل دا نايم.
- أنت متصلتيش غير ٢٦ مرة بس.
- كل دا وبس؟
- أنا عندي أرقام أعلى من كدا على فكرة، واهدي بقا.
- أنت بتزعقلي..
- أنت متصلة تتخانقي ولا إيه؟
- لا بتصل عشان الكلية.
- مش هنزل النهاردة، مليش نِفس.
- لا هتروح قوم البس يللا هستناك.
- مش حابب أنزل النهارده فسيبيني أنام عشان طريتي النوم من عيني منك لله.
- يا حبيبي مش باخد رأيك، أنا بقولك اللي هيحصل، أنت هتقوم تلبس وتجهز وأنا هستناك عند الكلية وهتحضر وهتبقى زي الفل.
- لسه متخلقش اللي يمشي كلمته عليا.
- ببلاوي...
- حاضر بلبس أهو.
- طب ما كان من الأول ولا هو لازم أحرق سعرات حرارية على الصبح يعني.
- متعيشيش الدور.
- سيبني أخد فرصتي.

كانت نور تعلم أنه يستيقظ متعكر المزاج، وعلى الرغم من ذلك كانت تتصل صباحًا لتخبره صباح الخير ثم تغلق الهاتف وتتركه ينام، تحب أن تفعل ذلك ورغم ممانعته لم يكن يتضجر بل كان يستسلم بكل بساطة.

ذهبا سويا للجامعة وبعد انتهاء اليوم تقريبا وقفا سويا فقالت نور بهدوء:

- عمر ممكن أطلب طلب.

فأجاب دون تغير ملامح وجهه:

- لا
- اوك هطلب... أنا هروح مع أصحابي عند أميرة هنقعد هناك وهروح بالليل.
- لا برضه.

نظرت له ببراءة وأحنت رأسها لليمين قليلا ووسعت عينها وقالت:

- مش هتأخر والله إن شاء الله، يلا بقا.
- يعني أنت مفكرة لما تعمليلي كدا أنا هضعف بقا وهوافق وكدا.

هزت رأسها بالإيجاب وبعيون متسعة.

- أنت عندك حق أنا ضعفت فعلا، تمام روحي ولو لقيتي نفسك اتأخرتي اتصلي عليا عشان أجيلك، متروحيش لوحدك بالليل.
- حبيبي والله، لو اتأخرت هقولك حاضر.

ودعته وذهبت وذهب هو إلى الكافتيريا لمقابلة أحمد، وبعد الانتظار قليلا دخل الأخير وذهب للجلوس مع صديقه وقال:

- اطلبلنا أكل بسرعة.
- يا أخي طب خد نفسك الأول، وسلم عليا وبعد كدا فكر في الأكل.
- يا عم ما أنت صاحبي وعارفين بعض فالمقدمات مش مهمة هات لينا بقا أكل.
- اعتبره جي.
- المهم إيه الأخبار مع نور.
- الحمد لله تمام عملنا عيد ميلادها زي ما قولتلك وجمعنا العيلتين وقضينا اليوم، وكان يوم لطيف يعني، والحمد لله تعاملنا مع بعض كويس.

- عاوز أسألك سؤال بقالي كتير، من معرفتنا ببعض وكلامنا قبل كدا إن نور مش من النوع اللي أنت عاوز، يعني أنت قولتلي إنك عاوز واحده منتقبه وزي شرعي وعارفة ربنا وهادية وكدا، ونور مش الشكل دا.
- عندك حق، بس نور لقيتها في الطبع حد كويس وروحها حلوة، وكمان هي عارفة ربنا مش شرط حد مظهره مش مظبوط يبقى ميعرفش ربنا، هو بس ممكن لسه مش عارف الطريق الصح لربنا، أنا مكونتش فاهم دا قبل كدا، وهي كانت بتضيع صلوات بس أنا كلمتها في الموضوع دا وهي استجابت الحمد لله وعشان كدا حسيتها حد كويس أقدر أتكلم معاه يعني.
- فهمتك، ربنا يهدينا كلنا إن شاء الله.
- وبرضه كنت اتكلمت معاها فموضوع اللبس وقالتلي هتظبطه، هي آه جت النهارده الكلية بنفس طريقة لبسها بس هي إن شاء الله مطنشتش كلامي، فمتكلمتش تاني، الدين مش بالعافية.
- ربنا يتمملك بخير يا رب.
- المهم أنت عامل إيه مفيش عروسة كدا ولا كدا.
- لا مفيش بس تقريبا قربت أنحرف وأكلم بنات.
- هو في بنات في هندسة؟
- يا عم والله في حلوين كتير، معرفش ليه السمعة دي طالعة عليهم.
- مش دي الحقيقة.
- لا هما حلوين وبعدين الحلاوة حلاوة الروح.

رد عمر ضاحكًا:

- طالما الحلاوة حلاوة الروح يبقى الإشاعات صح أهو.
- يا عم سيبني في حالي ملكش دعوة ببنات كليتنا.
- أنت محسسني إنهم بنات خالتك، وبعدين امسك نفسك مينفعش تنحرف، أنت بس شاور واحنا نجوزك.
- لسه ملقيتش اللي تستاهلني.

- من امته التواضع دا يا جدع، وبعدين يبني محدش طايقك غيري أصلا.
- أنت مش عارف بتكلم مين أنا مهندس.
- آه صح ربنا خلق الناس ناس ومهندسين.
- إيه المعاملة دي يسطا أنت معدتش بتحبني زي الأول.
- هو أنت جملة وحافظها كل ما أكلمك تقولي معدتش بتحبني، دا أنا خطيبتي مش بتقولهالي.
- أيوة أنت من ساعة ما خطبت ومعدتش بتحبني زي الأول.
- الأكل جه.
- طب تمام ناكل دلوقت وبعدين نشوف موضوع الاهتمام دا بعدين.

هناك لغة خاصة بالأصدقاء لا يفهمها غيرهم، وتزداد تعقيدا كلما زادت الصداقة، تستخدم للتورية وللحديث في التجمعات بحيث لا يستطيع فهمها أحد وللأسف لا أستطيع توضيحها حتى لا يفسد محتوى القصة فهي لن تكون سوى شفرات.

*****

ذهبت نور لمنزل صديقتها، والذي جمعهم بعد مدة كانوا لا يتلقون فيها كثيرًا.

نور: بقالنا كتير مقعدناش القعدة دي والله كنتم وحشتوني.

أماني: ملعون الكليات اللي مفرقانا عن بعض.

أميرة: هناكل هنا ولا نطلب أكل من برة؟

نظرت كل من نور وأماني لأميرة بنظرات حادة متعجبة حتى ازدردت أميرة ريقها وقالت سريعا:

- يااه يا بنات أخيرا قعدنا مع بعض والله وحشتوني.

ضحكت الصديقتان من هيئتها البلهاء وردها التلقائي، ثم أردفت أماني قائلة:

- أخبارك إيه يا نور مع عمر.

قالت أميرة بهدوء:

- مش احنا جايين نقعد مع بعض ولا إيه.

- ما احنا قاعدين مع بعض أهو والموضوع اللي يخص واحدة فينا يبقى يخصنا كلنا.

أجابت نور ردًا على أماني:

- الحمد لله كويسين مع بعض بس في حاجة عاوزه أكلمكم فيها.

قالت أميرة بعدما اعتدلت في جلستها:

- لو عايزة نصيحة خدي مني أنا خبيرة.
- طيب يا ست الخبيرة أنا عاوز ألبس لبس شرعي.
- يعني إيه لبس شرعي ما انت محجبة أهو ولبسك مش مبين حاجة.
- معرفش عمر قالي إنه مش شرعي هو متكلمش كتير عشان تقريبا ميبينش الموضوع بصيغة الأمر بس هو فتحه يعني، وأنا قولتله حاضر بس معرفش هعمل إيه.

قالت أماني بعدما اتسعت عيناها:

- إذن هنروح نعمل شوبينج.

قالت أميرة بنظرات شريرة:

- انتظرونا يا أصحاب المحلات المستغلين فنحن لكم بالمرصاد.

قاموا بتصفح الانترنت لمعرفة ما سوف يقومون بشرائه، كانت نور تفعل ذلك بشغف، فكم من الجميل أن تجد من يكترث لكلامك، وأن يفعل ما تريده بدافع الحب، لا يتضجر ولا يتأفف وإنما يسعى ليكون الأفضل، وإن كان السعي للحب في طريق الله فهنيئا فوزنا بالحب والصراط القويم، لا قواعد ولا قوانين لالتزام بها في علاقات الحب، فقط قلبان تقاسما أعباء الحياة وأصرّا على بذل ما يمكن لإسعاد أحدها الآخر.

*****

تطرق الحديث تجاه أميرة حين سألتها أماني عن رفضها للزواج رغم تقدم الخُطاب، فما كان منها إلا أن قالت بحفظ وعدها الذي وعدته سابقًا لمحمد على أن تنتظره كما اتفقا. ولكن قد لاقت استهجان صديقاتها فكيف تثق في وعد قد قُطع بعد معرفة دامت لأشهر قليلة ولم يتأكد حتى الوعد قبلها، ولكن يقينًا في قلبها جعلها تجيب عن كونها لا

تكترث للمدة بقدر إيمانها بالمواقف، وهو لم يكن شخصًا يظهر عليه نكث العهد، وإنما كان صادقًا.

- هو قالي هيتقدملي وبطل يتكلم معايا وقتها ودا أثبتلي إنه شخص كويس فأنا مستنية وكدا كدا لسه صغيرة يعني العمر قدامي موريش حاجة يعني.

أجابت الفتيات بالموافقة والدعاء فقالت أميرة وهي تبتسم:

- طيب بما إننا اتكلمنا والدنيا فله...

فقاطعتها أماني:

- هنطلب أكل أهو اهدي بقا..

ضحكت الفتيات معًا وإنه لمن الرائع أن تجد البساطة في الحديث حتى إن لم تجدها فتصنعها أنت، ليس عليك انتظار أفعال غيرك دائمًا يمكنك دومًا المبادرة، لعلك تترك أثرا لطيفًا في قلب أحدهم يومًا.

غادرت نور منزل صديقتها ولم يكن الوقت متأخرًا فلم تتصل بأحد لإيصالها، وذهبا على أمل اللقاء غدًا لشراء بعض الملابس كما اتفقوا، فلقد كانت تريد اختزان المفاجأة لحبيبها.

حين ذهبت للجامعة لاحقًا وقد رآها عمر واتسعت حدقتا عينه فرحًا من المظهر الذي أشاد به، عن كونه شكلًا جديدا قد اقتطع جزءا من جمالها الفتان.

- ما شاء الله تبارك الله، ربنا يثبتك يا رب، وإن شاء الله تكوني أحسن من كدا كمان بكتير.
- يعني كدا مش حلو؟
- لا والله أنا قولت حلو، وبقول يا رب تكوني أحسن كمان، الواحد دايما لازم يطور من نفسه أكيد، ألف مبروووك على الخطوة دي.

لم تكن نور ترتدي أي بنطال هذه المرة وإنما رداء واسع قد أخفى جل مظهرها.

بعد انتهاء اليوم الدراسي ذهبت نور مع صديقاتها لحفل ميلاد أحدهم وقد أرسل عمر لها رسالة سابقًا ولكن لم ترد عليها سوى في وقت متأخر من الليل...

- اومال فينك من بدري.

أجابت نور:

- معلش والله لسة داخلة من بره، مشوفتش الرسالة.
- داخلة من بره في الوقت دا؟ مش شايفة إنه متأخر حبتين؟
- أنا آسفة مكونتش عاملة حسابي أتأخر.
- طب ليه مقولتليش أجيلك.
- مجاش ف بالي الصراحة ومكونتش هحب أزعجك يعني.
- يعني عشان متزعجينيش تدخلي البيت الساعة ١١ بالليل؟
- ما خلاص بقا يا عمر متكبرش الموضوع.
- أنا مش بكبره هو كبير لوحده.
- أنا آسفة.....
- ماشي يا نور كويس إني اتطمنت عليكي... سلام.
- سلام...

شعرت نور للحظات بالذنب على هذا الأمر، ثم تدخل شيطانها ليخبرها كيف يتحدث معها بهذا الشكل وهي ليست على ذمته بعد، وتضارب أفكارها بين الذنب والتمرد، وكِلاهما صواب، فاللوم على من عودنا الصراحة ثم نزعها، واللوم على من اعترض بشكل فج على نزع ما ليس من حقه، فإن اخترت دربًا للتعامل مع أحدهم فلا تغيره بهواك إما أن تكمله كما اعتاد أو تتركه إن لم ترضَ بعواقبه.

غلبها الشعور بالذنب على شعور التمرد فقررت الاعتذار ولكن قبل أن تراسله كان هو أرسل بالفعل رسالة:

- أنا آسف لو فهمتي إني اتعصبت، أنا عارف إنه مش من حقي أتدخل في حاجة زي دي حاليا، لكن أنت المفروض عارفة إن مينفعش تفضلي بره لوحدك في وقت زي دا ودا قلقني بس.

أجابت سريعا تقديرا لأدبه:

- أنا اللي آسـفة أنا فعلا مكنش قصـدي وأنا فعلا غلطت حقك عليا، إن شـاء الله مش هتتكرر.
- حصل خير هتنامي ولا لا؟
- لا مش جايلي نوم، لو ينفع نتكلم لحد الفجر وهصـلي وأنام، أنا عارفة إنك متحفظ من ناحية الكلام بس تقريبا فترة الخطوبة اتعملت عشان نتعرف.
- طيب ما احنا بنتقابل في الجامعة وسـعات بتيجي عندنا البيت أو باجي عندكم، احتياطًا عشان موضوع الخلوة بس.
- هتكلم في حجات مهمة ممكن حجات توضـحهالي والمحادثة موجودة مش هيكون فيها حاجة إن شاء الله، وأنا عاوزة أكون بشكل كويس ومش هعرف أكون كدا من غير ما أعرف أنت بتحب إيه ومبتحبش إيه، وأنت بتعرفني الصـح فأكيد اللي هتحبه يبقى دا الصح ودا اللي عاوزة أعمله.
- أنا مش عاوز أكتر من بنت كويسة تساعدني أوصل للجنة، وتصوني وبس.
- يعني أنت هتقفل دلوقت؟
- لا ممكن نتكلم شوية.
- طب عاوزة احكيلك عن اللي حصل النهارده.
- ارغي وصدعيني يللا.
- خلاص مش هتكلم طالما بصدعك.
- أحسن برضه.
- لا بقا هحكي وهتسمعني هه.
- طب ما تتكلمي يبنتي.
- منت اللي بتسـتفزني، المهم بعد ما طلعنا من الجامعة روحت قعدت مع دكتور أمنية قعدنا نتكلم شـوية ف أماني اتصـلت عليا قالتلي هنروح أنا وهي وأميرة عيد ميلاد واحدة صـاحبتنا، المهم روحنا وقعدنا نهزر ونغير هدومنا ونحط ميكب ونتصور صور عبيطة...

قاطعها قائلًا:

- كان بنات بس ولا كان مفتوح.
- لا كان بنات بس.
- وأنت من أمته بتحطي ميك أب.
- مش بحط في الطبيعي، بس كله كان بيحط فحطيت معاهم عادي يعني.
- ورقصتي؟
- مبعرفش أرقص بس كنا بنعمل أي هبل وخلاص.
- ومش عيب إنك ترقصي أساسا.
- والله كنا بنات بس ومحدش شـــايفنا كدا كدا، وكله كان بيتنطط فكان هيبقى شكلها وحش لو فضلت أنا بس اللي قاعدة.
- طب يا ريت متعمليش كدا تاني عشان مينفعش.
- أنا آسفة.
- مش قصدي أضايقك، أنا بس بتكلم إن الموضوع دا غلط.
- هو حرام يعني؟ أصل كنا لوحدنا مش قدام حد فدا المفروض عادي.
- مش الرقص كان فيه أغاني وفيها موســيقى؟ والموســيقى حرام، يبقى الموضــوع دخل في الحرام أهو.
- فهمت، بس عادي ممكن أرقص من غير أغاني.
- يعني أنت لازم ترقصي وخلاص؟
- مش قصدي والله... بص اعتبرني مقولتش حاجة.
- مبحبش الطريقة دي إحنا المفروض بنتكلم سوا.
- ما هو كل حاجة هتطلعهالي غلط كدا.
- هو أنا بعاندك يعني ما احنا بنشوف اللي بنعمله.
- طيب ما أنا كنت مع أصحابي وكله كان بيعمل كدا، وبعدين لو فضلنا نبص على كل حاجة هنلاقي كل حاجة بنعملها حرام.

- طب وليه نرضى بكده ما نخلينا إحنا الحلوين، ما لو كل واحد فكر زي ما بتفكري كدا الحرام هيزيد مش هيقل، وبعدين هو أنت ملكيش رأي وسط أصحابك يعني لو بقيتي مختلفة عنهم هتكوني منبوذة؟
- لا عادي، بس مش كل الناس بتفهم كدا، وأنا مش ملاك أكيد كلنا بنغلط.
- اللي مش بيفهم نفهمه، إن تمسكنا بالصح مش عيب ودا اللي المفروض يحصل، وعادي نغلط بس المهم منكررش الغلط، هي دي الطريق الصح اللي ينفع يتمشى عليها.
- حاضر إن شاء الله هعمل كدا، وهكون عند حسن ظنك فيا، خليك بس معايا وزعقلي لو مسمعتش الكلام.
- الصح مش بالعافية يا سكر، هنتناقش ونفهم مع بعض وإن شاء الله نوصل صح.
- بقولك صحيح عندي سؤال مهم جدا.. هو ليه لما واحد بيقعد مع مراته أو خطيبته في كافيه بيطلبوا لمون أي الرومانسية فكدا يعني؟
- لا ملهاش علاقة بالرومانسية، الفكرة إن البنات مستفزين وبتخلي الرجالة يتعصبوا زيك كدا، فالراجل بيطلب لمون عشان لما البنت تستفزه يروق أعصابه.
- والله... طب ما البنت كمان بتجيب لمون دا معناه إن الراجل مستفز هو كمان.
- لا مش شرط، هو بيطلب لمون فهي بتطلب زيه عشان يبقى مخلوقين لبعض بقا وشغل المحن دا.
- على فكرة دا مش رد منطقي.
- ليه أنا ولد وعارف الموضوع دا.
- وعارفه منين كنت بتكلم بنات قبل كدا؟
- لا بس الحجات اللي زي دي كل الرجالة عارفينها حاجة زي قواعد كدا، ألف باء ارتباط.
- هعمل نفسي مقتنعة.

ظلا يتحدثان ســـويا حتى الفجر في عدة مواضـــيع، كانت تفتح آفاقا أكثر لمعرفة كيف يفكر كل منهما.

- أنا هقوم أصلي الفجر، هخلص وأكلمك وبعديها ابقى روح نام.
- ماشي أنا هقوم أنا كمان تقبل الله.

ذهب كل منهم للصـــلاة وبعد ربع ســـاعة تقريبا أو يزيد قليلاً أرســـل عمر لنور رســـالة يخبرها أنه سيذهب للنوم، لكن نور تأخرت فظن أنها نامت.

- شكلك نمتي فأنا هنام انا كمان تصبحي على خير.

قامت بالرد سريعا بعد تلك الرسالة:

- لا استنى منمتش لسة كنت بصلي الفجر.
- بتصلي الفجر في ربع ساعة؟ فجر الإسلام دا ولا إيه.
- لا يبني مش في سنة للفجر والفجر وكدا.
- أيوة يعني سنة الفجر والفجر في ربع ساعة ازاي انت ماسكة جامع يعني بتصلي فيه فبتتأخري ولا الفجر عندكم كام ركعة.
- هما ركعتين بس أنا بخشع في الصلاة وكدا.
- ربنا يقوي إيمانك يا أختاه، هو أنا هزعل يعني.
- أمين يا رب .. يللا تصبح على خير.
- وأنت من أهل الخير.
- خد تعالى هنا، إيه من أهل الخير دي، هو أنا شغالة ف بنك الطعام.
- اومال أقول إيه؟
- قول وانت من أهلي إن شاء الله.
- دا على أساس إنك مش من أهلي دا أنت بتيجي البيت عندنا وتعزميني على الأكل، أنا اللي عاوز أبقى من أهلي.
- برضه قولها وخلاص، مليش دعوة.
- حاضر يا ستي وأنت من أهلي.
- ولا من زمالك...؟

- دي غلطتي إني نزلت لعقل أشكالك بجد، أنا هعملك بلوك.
- بهزر معاك يا عموري في أي خلاص هنام أهو.
- أيوة يللا نامي.
- ماشي هنا، خليك منشفها عليا كدا، مفيش ولا كلمة حلوة.
- متستعجليش كل حاجة ليها وقتها.
- ماشي، خلي بالك من نفسك.
- أنا هنام على السرير مش على الدائري.
- نام يا عمر عشان أنا ضغطي عالي.
- سبحان الله من أعمالكم سلط عليكم.
- ماشي.. مع السلامة.

كم هي ممتعة تلك اللحظات التي تنهي فيها يومك مع أحد تحبه، صـــديق أو حبيب، تغلق هاتفك والابتســـامة تملأ ثغرك، لا يبقى لعقلك مجال ليســـرح في هموم تزاحم فرحتك في لحظتها، فقد ختمت اليوم بابتسامة، حاول أن تتركها حتى يوم الجديد.

*****

من الغباء أن تطلب من أحدهم تغيير طبعه لأجلك ولكن من الذكاء أن تطلب منه تغيير عادة سيئة فيه، ومن الغباء أن تعتقد أن من يحبك ويطلب منك التغيير في أمر ما، أنه يريد تغيير طبعك، هو يحبك ويريدك أن تكون أفضل.
عليك أن تنظر لنفسك وتفهم ما أنت عليه، فمن أراد تغيير شيء في طباعك، التي لا تضر أحدا فاردعه وأوقفه عند حده، ومن أراد أن يغير فيك عادة سيئة فساعده وتمسك به فإنه يحبك ويريدك أفضل.

حكمك على المواقف سيتحدد بعد فهمك لطبيعة نفسك وعن مكنونات روحك، إن لم تفهم نفسك فكيف تظن أن تفهم أسباب غيرك في تقديم طلبهم، إن لم تفهم نفسك وما بها من مميزات وعيوب كيف ستحكم على أفعال الناس، كن مرآة لنفسك أولا ثم انظر في أحوال الناس وكيف تتعامل معها، كيف تكتسب المرونة اللازمة لاستقبال وتحليل المواقف والتعامل معها.
((الجميع يخطئ ولا أحد ملك الكمال، ولكن من يسعى لتصحيح الخطأ لن يتساوى مع من يتقبله))

الإلحاح من المحب لا يكون بغرض جعلك ملاكًا لا تخطئ، وإنما قد رأى أن كلامه قد تم تجاهله، وأخطاؤك تتكرر، فمن حرصه يلح ويكرر، حتى يفقد الأمل، فإن فعل فاعلم أنك قد خسرت مصباحًا كان يضيء لك طريقك.
إن لم تكن نفسُك قوية فكن صريحًا مع نفسك ومع غيرك، واعلم أن من يريد يستطيع، لكن نفسك الضعيفة لا تريد، لقد جُبل الإنسان على طلب الحرية والتخلي عن القيود، وطريق الحق كله قيود حتى تُحجم فرط تهورك واندفاعاتك اللامبالية.

لقد كان في حياتنا الكثير ممن كانوا يريدوننا الأفضل ولكن قد انجذبنا لقطيع البشر حتى كان كلام الفرد كذبابة الصيف التي لا تهتم لها، والفرق أن الفرد كان محبًا، وباقي القطيع قد وقع في غِمار الحياة عن جهل، واستمعنا لترهات القول وشعارات كاذبة، من أراد تغييرك فلا تهتم لقوله، من يحبك سيحبك كما أنت، وغيرها من الأمور الناقصة

التي لا يصح التعامل معها بتلك السطحية، فمن قبل بك بأخطائك وتركك عليها فوالله ما وقع في قلبه ذرة حب لك، إن المحب لمن أحب لمصلِح.

لقد بلغ عناء الدنيا السماء، وصارت مصابيح الأرض تنطفئ فتمسك بمصباحك قبل أن ينطفئ منك ولن تفهم ما آلت إليه الأمور إلا بعد فوات الأوان، بعد أن تكون قد آذيت من أحبك وطبعت في قلبه علامة سوداء، واستنفذت طاقته وأوهمته بحبك، فمن يحب يقدر ويجتهد ويناقش ويتحدث، ليست أوامر ونواهي وإنما تقدير وتوسط بقواعد إلهية.

اعتذر لنفسك إن أخطأت في حقها بإصلاح ما أخطأت، واعتذر لغيرك فما فيها منقصة لك، لا تبخس جهد أحد وكن مقدرا له، فما خسرنا إلا بضرب كلام محبينا عرض الحائط.

*****

تتوالى الأيام سريعًا ليأتي يوم من الأيام الموعودة اليوم سيعقد قِران عمر ونور، استيقظ عمر مبكرًا وظل يرسل رسائل متتالية لنور.

- نور... نور... نور... اصحي.

كانت تلك رسائل متتالية حتى استيقظت وأجابت:

- صباح الخير في إيه، إيه اللي حصل مصحيني بدري كدا ليه.
- النهارده هنكتب كتابنا ف مبسوط وصحيتك.
- هي الساعة كام دلوقت... إيه دا يا عمر هو احنا هنكتب كتابنا عند بتاع اللبن؟ الساعة ٦ الصبح.
- أنا كنت مبسوط فقولت أكلمك بس انت كائن مستفز...
- أنا كمان مبسوطة والله بس اتخضيت، وآه صح كان ماما وبابا بيتكلموا على الدهب وكنت عاوزة أقولك حاجة.
- خير يا رب هتغرموني كام.

- لا منا هجيلك في الكلام، بص أنا مبحبش اللون الدهبي ومبحبش الدهب فنجيب فضة.
- إيه دا الفضة أرخص من الدهب.
- أنا مبحبش الدهب طيب، مش فارق معايا السعر، المهم واحنا في المحل هختار فضة عشان مندخلش في جدال هناك.
- مينفعش يبنتي محدش بيجيب فضة، الناس تقول علينا إيه.
- أنا اللي هلبس، وبعدين أنت اتغيرت على فكره وبتفكر في الناس واحنا متفقين ملناش دعوة بيهم، نعمل اللي عاوزينه طالما مش غلط ولا حرام مش دا اللي اتفقنا عليه.
- اللي انت عاوزاه بس أنا مشوفتش بنت طلبت فضة قبل كدا وسابت الدهب، حتى كنتي قولي الماظ.
- نحن نختلف عن الآخرون، وبعدين أنا وانت عارفين اللي فيها مش وقت الماظ خالص.
- اسمها نحن نختلف عن الآخرين، عن حرف جر.
- ما احنا نختلف عنهم في دي كمان.
- لا أقنعتيني، وبعدين أنت تشاوري بس وأنا عنيا.
- اوع عمور بقى يعرف يقول كلام حلو أهو.
- يبنتي في دلع متشال لحبيبي بس يجي وقته بس.
- يللا كلها النهارده أما أشوف.
- المهم قبل الموضوع ما يبقى توريطة، تعرفي بي شيرمان ٤٢؟
- الاسم مش غريب عليا، دا شارع ف الهند ولا ف تركيا؟
- الهند وتركيا!؟ بجد شكلك هتوحشيني يا نور.
- أنت بتتلكك ولا إيه وبعدين أنت مصحيني من النوم فزعتني مش عارفة أركز.
- يعني مش عارفة الجملة دي؟ متعرفيش نيمو؟
- عوم واتمختر عوم واتمختر، عارفاه طبعا.

- تمام فلتي أنت كدا.
- عرفتي المرتبطين بيجيبوا لمون ليه؟
- متكسفنيش بقا يا عمر.
- انت اللي متشلينيش.
- يا سيدي مش انا مضايقاك اوك اشطا نفركش.
- إيه السهولة دي هو أنت منزلاني من ع النت.
- أنت مش بتبطل تريقة عليا.
- هو فين دا منا مدلعك أهو.
- دلع!! هو فين دا، دا انا جالي جفاف.
- انت بتاكلي وتنكري زي القطط، هو مش أنا لسه قايلك حبيبتي فوق.
- ياه يا أســتاذ ممتاز بجد أنت أغرقتني بفيض عطفك، مش عارفه أودي جمايلك فين.
- بالله عليكي أنت شايفة إن ينفعك معاكي رومانسية؟
- لا بس برضه حسسني إننا مرتبطين.
- بصي نكتب كتابنا بس وهقولك كلام حلو، هقولك "بحبك" مثلا.
- .....
- نور، أنت موتي ولا إيه أنا لسه مقولتهاش.
- اتصدمت بس إني شوفتها منك أخيرا.
- منا مبرضاش أقولها عشان خايف على صدمتك.
- يا أبو قلب كبير وصغير.
- ترجميها كدا معلش، يعني إيه أبو قلب وكبير وصغير.
- لا فوق معايا بالله عليك الأغنية بتاعت بكار مش حافظها؟
- أنت مش حافظاها هتلومي عليا أنا، واهدي شــوية أنت عروســة والمفروض هتفتحي بيت وكدا.

- حافظاها على فكرة، ولا تقلق أنا هادية جدا عمرك ما هتلاقيني فاتحة البيت سايبر متقلقش.
- آه مصدقك جدا..
- عيب عليك إحنا نسد في أي مكان.
- هو أنت ليه متقمصة دور رئيس عصابة أو حد مش عارفين نلمه من على القهاوي.
- ما هو من عمايلك فيا، مبتقوليش كلام حلو مش عارفة أحس بأنوثتي، وهبور ومش هلاقي عرسان وحالي هيقف.
- هو أنا ماشي أطفي سجاير في قفاكي؟ وإيه هبور دي وأنا نجفة يعني ولا إيه مش فاهم.
- لا هي جملة أنا حافظاها كدا على بعضها.
- أنا هروح أكلم أحمد عشان أقوله على المعاد.
- ستذهب وتتركني وحيدة في ظلام غرفتي الحزين بدون شخص يؤنس وحدتي الأليمة تلك.
- كاااات هايل يا فنانة المخرج مبسوط منك وبيقولك متجيش تاني.
- شوف بقا أعداء النجاح أهم، أنا رايحة أكلم أميرة وأماني.

ذهب كل منهم ليفعل ما يريد فعله وليتجهزوا لليوم الطويل اتصل عمر بصديقيه أحمد ومحمد، حتى يؤكد لهم على الاجتماع ظهرًا.

كانت نور تحدث صديقاتها حتى جاءت أمها للتحدث معها قليلًا:

- عروستنا القمر عاوزة أتكلم معاكي في شوية حجات كدا.
- طبعا يا ماما عيوني.
- ربنا يحميكي يا عيون ماما، بصي إحنا هننزل مع عريسك نجيب شبكتك وقبل أي حاجة لازم أفهمك إن الجواز مش مظاهر ولا شقة بملايين ولا دهب ولا أي حاجة من دي، الجواز سكن وراحة بين البنت وجوزها، الأهل مش بيعيشوا طول

العمر فاللي بيتجوز بيتجوز عشـــان يلاقي حد تاني يســـنده بعد أهله، هل أنت شايفة إننا قصرنا معاكي في حاجة؟

- لا خالص يا ماما ربنا يخليكم ليا.
- طيب يا حبيبتي خطيبك شـاب زي الورد قرر يشـيل مسـؤولية وسـنه مش كبير، وطلبك مننا ودخل بيتنا واحترمنا، وإحنا برضـــه هنتعامل معاه بالخير والود زي ما هو عمل، إحنا ربيناكي على القناعة، فلما نروح محل الدهب حاولي متختاريش حاجة غالية ممكن تكون فوق طاقة خطيبك، افرحي باللحظة معاه وافرحي بنفســـك، الباقي دا كله مظاهر بتروح، لكن فرحتك باللي بتحبيه مبتروحش، لو حاجة عجباكي وكانت غالية قوليلنا وإحنا نجيبهالك، أنا عارفة إني مش محتاجة أقولك كدا لأنك طيبة وبتقدري غيرك، ويا رب ربنا يكملها على خير ويتمم فرحتك إن شاء الله.
- إن شاء الله يا ماما ربنا يخليكي ليا.

ابتسـمت نور من كلام والدتها وأسـرت في نفسـها ما اتفقت عليه مع عمر، وقد شـعرت بانتصار أنها قد فعلت أمرًا جيدا في نهاية المطاف.

في مصـر عادة ما تتدرج ترتيبات الأعراس من خطبة ثم شـبكة ثم عقد قران ثم ليلة ما قبل العرس ثم ليلة العرس، ولك هنا كان الأمر مختصـرا قليلًا فلقد كانت خطبة لعقد الكلام ثم عقد قران وشـبكة معا حتى يتسـنى لعمر إمسـاك يد نور حين يلبسـها خاتم الزفاف فلا يصح له أن يمسك يدها قبل عقد القران.

*****

كلٌ في العالم قد تربى بطريقة مختلفة عن الآخر، وقد ترسخت في الأذهان مبادئ وقيم مختلفة لكن التربية لها ثوابت إن لم يفعلها المربي فكأنه لم يربي.
بعضهم قد ربى أولاده على القناعة وعدم النظر فيما في يد الغير، ومن رأى أحدًا في نعمة فليدعُ الله أن يديمها عليه، وبعضهم أن يسعدوا برزق الله قل أو كثر، أناس ربوا أولادهم على أن أي شيء يمكن فعله طالما أنه ليس خاطئ أو مُحرم حتى وإن كان لا يوافق هوى الناس، أناس قد ربوا أولادهم على أن الاختلاف في الأمور الصحيحة ليس عيبا والانفراد بأمر حسن بين مجتمع سيئ هو تميز بالحق، هؤلاء هم الأهل الذين ربوا على الدين والشرع والقيم.

وبعضهم أخطأ في تعليم أولاده فعلموهم الكِبر "نحن لسنا أقل من فلان حتى لا نفعل مثله" علموهم أنه يجب النظر دوما لما في يد الغير حتى نفعل أفضل منهم، علموهم أن من هو أقل منهم هو حقير وعيب أن نفعل مثله، لا يعرف الرضا طريقا إليهم، لا يهتمون بحسن الخلق بقدر الاهتمام بالظهور أفضل من غيرهم، منافسة عقيمة لا يسفر عنها سوى أشخاص مزعزعون قلوبهم مريضة، خائفون دوما من نظرة الناس لهم.
تلك النظرات الطبقية لا تنفع ولا تضر، والزيادة على فلان لا تزرع في القلب إلا المنافسات الدنيوية، أما لو تنافسوا للوصول للجنة لاختلف الأمر حتما.
نحن لم نخلق في الجنة ولكن خلقنا للسعي نحوها، وأمور الدنيا هي وسائل للإعانة على الطريق فقط، الانصراف عن الطريق والسعي في الدنيا فقط يزرع الحسد والغيرة، ويورث البغض ويهدم القيم والمبادئ.

نحن نعيش بين الناس لنترك أثرا طيبًا في النفوس، لنجد من يدعو لنا بعد الموت مما رآه من حسن أخلاقنا، علاقات البشر تكون أفضل حين تكون عونًا للوصول للجنة، والصبر على شدائد الحياة.
املأ ديدنك بالخير، وقلبك بالرضا وتنافس في الخير وليس في الإسراف، وإياك والتبذير وهو الإنفاق فيما هو محرم، فمنافسة الناس في الأمور الدنيوية حتما ما يسفر عنها الرَكن للحرام.. عافانا الله.

*****

سيتَحدّثون سواء فعلتَ أم لَـم ، فتعلّـم التجاهُل .

(People gonna talk whether you did something or not. So, learn ignore.)

(8)

اجتمعت نور بصـــديقتها وتناولوا الإفطار ســـويا، ثم بدأوا يتجهزون كان الظهر قد اقترب وهو موعد النزول فارتد نور الفســـتان وعليه حجاب بلفة مختلفة عن عادتها كانت تحاول بقدر الإمكان أن يكون لباسـها شـرعيا بقدر اسـتطاعتها، لا تريد أن تفسـد فرحة اليوم بأي خطأ.

بعد انتهاء نور من ارتداء الملابس صاحت أماني:

- أنا اللي هحطلك ميك اب.

ردت أميرة في تحدي:

- أنا اللي هحطلها، أنا الخبيرة هنا.

فقالت نور وهي تضحك:

- مش عارفة أجيبهالكم إزاي أنا مش هحط أصلا.

أجابت أماني:

- هو إيه العبط دا، إزاي يعني كتب كتابك ومتحطيش، مفيش حد مبيحطش.
- لا حول ولا قوة إلا بالله هو يا جدعان لازم نبقى زي الناس في كل حاجة إيه ملناش إرادة خالص.
- مش الفكرة بس أي بنت بتحب تكون حلوة في يوم زي دا.

رفعت نور رأسها في تعالي وقالت متصنعة الغرور:

- أنا أصـــلا حلوة في كل حالاتي، مش محتاجة، وبعدين تقريبا الميك أب بره البيت حرام، وبما أني معرفش هو حرام ولا لا فمش هحط لحد ما أتأكد.
- طب ما يمكن مش حرام، حطي بقا.
- هنفترض إنـه مش حرام بس إحنـا منعرفش لكن هنفترض، الميـك أب بيلفـت النظر وأنا مش عاوزة ألفت نظر حد غير عمر.

ردت أميرة وهي تنظر لأماني:

- الصـــراحة أقنعتني ولعبت في دماغي، أنا كمان مش هحط في فرحي ميك أب إن شاء الله.

أجابت نور بانتصار:

- أيوة كدا لازم نتميز بحاجة، والأفكار المجنونة صحابي لازم يشاركوني فيها.

أجابت أماني فاقدة الأمل:

- هنعمل إيه لازم نستحمل.

*****

تجهز عمر وصديقاه وعائلته وذهبوا لمقابلة عائلة نور، وبعد شراء الهدايا والحلُي ذهبوا وتجمعوا في منزل نور، فلقد اتفقت العائلتان على كون المناســبات الصــغيرة تلك في البيوت أفضل حتى لا يكون هناك تكلف في المال، ويكون اليوم المنتظر في قاعة يتم فيها دعوة الجميع أفضل.

بينما كان الجميع جلوس يتبادلون المزاح والضحك قال محمد لصديقه:

- سبحان مغير الأحوال، اللي كانت زعلانة من عبد الرحمن دلوقت اتجوزت أخوه، الله يرحم صاحبي كان هيفرح معانا في اليوم دا.
- الله يرحمه، على فكرة نور حكتلي كل حاجة وعبد الرحمن برضــه كان ناوي يحكيلي قبل ما يموت، تقريبا شافني حد مناسب ليها وكان عاوزني أصلح غلطته عشان كدا مرفضش لما خطبتها.
- هي تستاهل حد زيك يا عمر، ربنا يتمملك بخير.
- ربنا يخليك ليا يا صاحبي ويجمعنا مع عبد الرحمن في الجنة إن شاء الله.

بعد انتهاء اليوم والفرحة التي غمرت الجميع كانت نور لها ســعادة مختلفة الآن بإمكانها الحديث مع حبيبها في أي وقت تريد فقد صارت زوجته.

بعدما وصل الجميع لمنزله، فتح عمر هاتفه ليجد رسالة من نور تخبره فيها:

- قولي بحبِك بسرعة مفيش وقت للتفسير.

ابتسم ابتسامة واسعة وأجاب:

- تدفعي كام؟

ردت كما لو أنها ستخرج من الهاتف:

- لا ما أنا مش هســتحمل الجفاف دا كله عشــان في الآخر تقولي بحبك بفلوس، أنجز بقولك.

ضحك من ردة فعلها وقال:

- وهو أنت فاكرة عشان بقيتي مراتي دا مبرر يخليني أقولك بحبك، لا سوري أنا لو أقول مثل هذا الكلام للفتيات.
- يبني أنا بقيت مراتك.
- مفيش أعذار.
- هو إيه اللي مفيش أعذار والله أجيلك البيت..
- خلاص خلاص وعلى إيه، بحبك يا ستي.
- لحظة واحدة هو إيه اللي خلاص، أنت مش عاوز تشوفني؟ لو سمحت روحني.
- اندمجتي في الموقف تاني، أنت في البيت على فكرة.
- آه صح إيه اللي انا بقوله دا، على فكرة بقا براحتك.
- دا كله إلا أنت طبعا، مهونش عليا زعلك والله.
- كل بعقلي حلاوة آه.
- ظلم دا خدي بالك، بس انا بحبك وهسامحك.
- هيييييح أخيرا سمعت كلمة حلوة قبل ما أموت.
- ولسه اتقلي أنت بس هتاخدي حاجة نضيفة.
- حبيبي وروحي ومبحبش إلا هو، بقولك أي أنا هنام عشــان خلاص بســقط اليوم كان طويل ومعدتش شايفة.
- تمام ولا يهمك تصبحي على خير.
- خد تعالى هو اي اللي تصبحي على خير، بقولك هنام تقولي لا خليكي معايا شوية.
- يبنتي ما أنت قولتي أنت تعبانه ومحتاجة تنامي.

- برضه قول حتى لو مش هتعمل.
- حاضر.
- أنا هنام، عشان فصلت بجد.
- لا متناميش خليكي معايا شوية.
- يعني أنت مش فارق معاك إني تعبانة، وكل اللي فارق معاك إننا نفضل نتكلم.
- أنا جي آخد حاجتي وخليكي عند أبوكي يعالجك الأول وبعد كدا هبقى أتقدملك عشان أنا ممكن يحصلي حاجة بالحول دا.
- بيااااع.
- مقدرش أنت حبيبتي، ولا كنوز الدنيا كلها.
- .....

لم يتلقى رد لفترة فعلم أنها نامت، فأغلق هاتفه وأغمض عينه، وفرد أجنحته في الغرفة فلم يكن يتمالك نفسه من السعادة.

*****

في أحد الأيام وبينما نور وعمر يجلسون في الجامعة سويًا قالت نور:

- عمر يا جميل عاوزة أطلب منك طلب.
- آه أنت متدلعيش كدا غير لو فيه حاجة.
- عيب عليك أنا أصلا طول عمري عسل.
- طب قولي يا عسل خير.
- فريدة اللي في مجموعتنا عزمتني على عيد ميلادها، وأنا قولتلها هجيلك بس قولت لازم أقولك الأول.
- أنت بتديني خبر ولا بتستأذنيني.
- بستأذن إني أروح.
- لا متروحيش.
- ليه طيب؟ مش هتأخر والله زي قبل كدا..

- يا حبيبتي مش عشـــان التأخير والله، بس فريدة أنا مبرتحلهاش وكمان هي مش حاطة حدود في حاجة فهيكون عيد الميلاد مختلط، ومش هحب تكوني في المكان دا.
- هي حرة في اللي بتعمله إحنا ملناش حكم عليه، انا بتكلم عليها هي طبعها حلو وطيبة ومفيش بينا علاقة وحشة.
- أنا معترضـــتش عليها أنا قولتلك ســـبب الرفض، إن المكان هيكون مختلط ومش مناسب.
- بس أنا قولتلها هجيلك.
- طالما قررتي مسبقًا مكونتيش تستأذنيني بقا.
- هو أنا لو استأذنت تزعل ولو مستأذنتش تزعل.
- متدخليش المواضيع في بعضها دي حاجة ودي حاجة.
- خلاص ماشي يا عمر مش هروح.

أقفلت الموضوع على مضض وقد تجهم وجهها ولم تحادثه ثانية حتى انتهى اليوم وغادر كل منهم لمنزله.

شـــعر عمر أنه تمادى في حديثه فقرر أن يذهب لمنزلها ليصـــلح الأمر قليلًا فاشـــترى لها حلوى تحبها وذهب، فتحت له أمها الباب:

- تعال يا حبيبي اتفضل.
- شكرا يا أمي أنا بس جي أشوف نور.
- نور لسه نازلة من شوية قالت هتروح عيد ميلاد واحدة صاحبتها، مش أنتم كنتم في الجامعة مع بعض هي مقالتلكش؟
- لا قالتلي بس مكونتش أعرف إنها هتروح دلوقت.
- طيب ما تدخل يبني اقعد شوية مينفعش الكلام على الباب كدا.
- البيت بيتي يا أمي والله لا تقلقي، أنا همشـــي أنا لأني راجع من الكلية تعبان فهنام شوية وأروح الشغل.
- ربنا يديك الصحة يا حبيبي سلملي على ماما هبقى آجي أقعد معاها شوية.

- تنورينا والله، مع السلامة أنا بقا.

ذهب لمنزله غاضبًا وأغلق هاتفه وقد حزن جدًا مما فعلته نور فقد كذبت عليه.

عندما وصلت نور لحفل صديقتها وجدته كما قال عمر، مختلط وبه موسيقى صاخبة كان الجميع يرقص عليها، فلما سلمت على فريدة حاولت جذبها للرقص ولكن نور أبت فهي لا تفعل ذلك، فلامتها فريدة على فعلها إنها حفلة فلا داعي للاكتئاب، ابتسمت نور ابتسامة باردة وأومأت برأسها، وبينما كانت تقف بجانب فريدة، أتى أحد أصدقائهم وسلم على فريدة ومد يده للسلام على نور، فسحبت يدها تجاه صدرها وقالت آسفة لا أسلم على الشباب، فسحب الشاب يده ومشى، قالت فريدة في تعجب:

- إيه دا يا بنتي أنت أحرجتيه.
- هو المفروض يتعلم ميمدش إيده لبنت أصلا.
- مهما كان يعني هو مد مكنش ينفع تكسفيه.
- أنا متجوزة دلوقت، وحتى لو لا فبرضه مينفعش يلمس أيدي، أنا جيت أسلم عليكي زي ما وعدتك، وهستأذن عشان متأخرش بقا.
- ما لسه بدري يا بنتي.
- معلش بقا يا حبيبتي متعوضة إن شاء الله.
- نورتينا الشوية دول.

غادرت نور وفي طريقها اتصلت بها صديقتها، ليخبروها أنهم في منزلها ينتظرونها، حين وصلت قالت أماني:

- كنت فين كدا؟
- كنت ف عيد ميلاد واحدة معانا في الكلية، بس مشيت على طول عشان كان في شباب، فمكنش ينفع أقف لوحدي هناك.

فقالت أميرة مستغربة:

- هو مش أنت وعمر في نفس القسم طالما في شباب مراحش معاكي ليه.

قالت نور:

- ماهي فريدة صاحبتي معزمتش الكل، وأنا مش هقول لعمر إني روحت أصلا.

- طب ما كدا هيزعل منك.
- أنا كلمته قبل ما أروح وقالي لا وأنا كنت قولت لفريدة إني هاجي، فحسيتها عيبة يعني إني أرجع في كلمتي معاها، فقولت هروحلها بسرعة وآجي، وكدا كدا عمر مش هيعرف يعني.
- ممكن حد يجيب سيرة في الكلية يا ماما ويعرف.
- لا منا مشيت على طول محدش خد باله، ومحصل مواقف فمحدش خد باله مني يعني.

قالت أماني بهدوء:

- أنا من رأيي تقوليله عشان ميزعلش.
- يبنتي لو قولتله هيزعل لأني قولتله مش هروح واتفقت معاه، بس روحت على السريع سلمت وجيت.

في وسط الحديث طرقت والدة نور الباب وأخبرتها أن عمر قد جاء يسأل عنها، وقد أخبرتُه أنك عند صديقتك فكلميه.

- حاضر يا ماما هكلمه.

خرجت والدة نور من الغرفة وظب الثلاثة ينظرون لبعضهم حتى قطعت الصمت أميرة وقالت:

- تقريبا إحنا في مشكلة دلوقت.

قالت نور وقد شحب وجهها:

- دي مصيبة أنا هعمل إيه دلوقت؟

قالت أماني بقلة حيلة:

- مكنش ينفع تقوليله مش هروح وتروحي يا نور.
- ما أنا مكونتش عاوزة أبان عيلة قدام فريدة.
- فتقومي تزعلي جوزك عشان صحبتك هو اي المواقف المنيلة دي.
- أنا مش ناقصة والله، دلوقت عايزة أفكر في حل لأن هو أكيد مش طايق يبص في وشي.

- طب اتصـــلي عليه دلوقت حاولي تراضـــيه بكلمتين، ولما يهدى اعتذريله وفهميه موقفك.

حاولت نور الاتصـال ولكن هاتفه مغلق، فقالت لها أميرة أنها سـتقابله غدا في الجامعة وسيُحل الأمر إن شاء الله.

- يا رب يجي بس بكره ويكلمني.

في اليوم التالي في الجامعة رأت نور عمر في المحاضـــرة فســـعِدت قليلًا، بعدما انتهت المحاضـــرة خرج عمر وذهب للكافتيريا فلحقته نور وجلســـت معه، فنظر لها دون أن يتحدث، فقالت له وهي ترى علامات الضيق على وجهة.

- أنا آسفة.
- على إيه هو أنت عملتي حاجة غلط ولا إيه.
- آه أنا وأنت عارفين أنا عملت إيه.
- أنا آسفة والله مش هتتكرر إن شاء الله.
- ما أنت قولتي مش هتروحي وروحتي... إيه ضمني إنها مش هتتكرر.
- أنا عارفة والله إني غلطت، وعارفة إنك مش مصـــدقني، بس أنا مكونتش عاوزة أظهر بصورة وحشة قدامها، بعد ما قولت إني هروحلها.
- آه فعلا ســـبب مقنع، تكذبي عليا وتروحي وتيجي من وريا بعد ما نتفق، وتروحي لواحدة صاحبتك من بعيد، أنا فعلا زعلان منك جدا كمان.

بكت نور بعدما سمعت جملته الأخيرة فقالت وهي تبكي:

- والله آســـفة وعارفة إني خلفت اتفاقي والله مش هكررها إن شـــاء الله، بس بالله عليك ما تزعل، وأوعدك إني مش هخلف اتفاقي، بس وغلاوتي عندك ما تزعل.

بعدما رأى دموعها أخرج منديلا ومسحها بيده وقال بصوت هادئ بعدما تغيرت ملامح وجهه من التجهم إلى الحزن قليلا:

- متزعليش ومتعيطيش تاني، أنا مش بعاتبك عشـــان تعيطي، أنا بعاتبك عشـــان بحبك، وأنت روحتي وشـــوفتي اللي عند فريدة وأنا متأكد إن اللي شـــوفتيه

معجبكيش، أنا قولتلك متروحيش مش من باب التحكم، لكن من باب الخوف، عموما متزعليش خلاص مسامحك.

- بجد مسامحني من قلبك؟
- لا من مناخيري.

ضحكت نور وسط بكائها، فقال لها:

- والله ضحكتك حلوة وأنت بتعيطي كدا، اضحكي بقا وامسحي دموعك دي.
- امسحهالي أنت.
- هو أنت معوقة ولا حاجة؟
- بعد الشر عليا، بس برضه امسحها أنت.
- وماله كله إلا ست الحسن ميهونش عليا زعلها.

وأخرج الحلوى من حقيبته التي كان أحضرها سابقا وأعطاها لها.

- انا جيت امبارح عندك عشان اديكي دي لما حسيت إني زعلتك، بس ملقيتكيش.
- أنا عاوزة أحضنك، يعني أنا اللي زعلتك وأنت اللي بتصالحني.
- شوفتي خدمة خمس نجوم أهو.
- بجد مش بهزر.
- يا نور أنا لما بكلمك في حاجة دا عشـــانك لأني عارف الناس عاملة إزاي وخايف عليكي، مش عشـان أزعلك أو أضـيقها عليكي، ومش بطلب منك حاجة وحشـة، يعني المفروض تثقي فيا وتعرفي إن دا عشانك.
- حقك عليا والله أنا آســفة ودي كانت لحظة هبل مني ومش هكررها تاني إن شــاء الله.

انتهى اليوم وغادر كل منهم لمنزله وقد أخبرت نور صديقاتها بما جرى.

*****

"لن أخبره ولن يدري" ما أشـنعها من عبارة تودي بالشـخص للمصـائب، وينتج عنها انعدام الثقة وتنشـأ عن غدر وكذب، وإن حبال الكذب قصـيرة ولا شـيء يظل مخفيًا للأبد، ما الفائدة التي تعود علينا حين نفعل الخطأ ويُكشف بعدها، ما العائد حين ترى من تحب يفقد ثقته فيك لخطأ تافه، الأمان لا يُشترى ولكن يُبنى بالمواقف.
إخفاء الأمور عمن تحب لتجنب إغضابه ليس أولى من عدم فعلها، مهما كان الأمر مهما سيُعوض ولكن لن تُعوض من تحب إذا فقد الثقة فيك.

إذا أبرمت اتفاقا مع أحدهم فأمامك خياران، إما أن تلتزم به فنفرح كلنا أو تخلف اتفاقك، فإن أخلفت فأمامك خياران إما أن تخبره أنك أخلفت الاتفاق فيحزن أو لا أخبره، فإن قررت الصـمت أمامك خيار واحد للأسـف وهو أنه سـيعرف مع الوقت وسيشعر بحزن أكبر، فلا شيء يختبئ للأبد.
إن أردت أن تخلف اتفاقك مع أحد أخبره فسـيكون هناك خيارين، إما أن يشـرح وجهة نظره ويقنعك، أو يتركك تفعل ما تريد وفي تلك الحالة سـيحزن قليلًا لكن اشـرح لها وجهة نظرك أيضـا وتوصـلا لاتفاق، لأنك لو أخلف دون أن تخبره وعلِم لاحقا فقد دمرت ثقته وهدمت سورًا من الأمان حوله، وهو أسوأ ما يصيب المتحابين.

أن تقنع فتاة أنها مخطئة هو أمر صـعب، ولا يفضـل ذلك، يمكنك توضـيح الخطأ لكن لا تخبرها بذلك مباشـرة، وعلى الرغم من ذلك فقلوبهم طيبة وحين يثقون في أحدهم يمكنهم حينها الاعتراف بالخطأ حتى لا يكون كِبرهم سببا في خسـارة من يحبون، أي أنهم يعلمون متى يخطؤون، ينقصـهم فقط من يحتضـن خطأهم، يهربن من القسـوة ويزدن في العناد، ويبتعدن عن الخطأ باللين والرحمة.
البنت كائن عنيد بطبعها، لكن بالكلمة الطيبة تأخذ عينها، هي كائن معطاء في العادة ولكن للشـخص المختار، البنت السـوية تقابل المعروف بأضـعاف المعروف، وما تقدمه لها من حسـن لهوَ ما سـيعود عليك من سـعادة لاحقًا، أنت من سـتحدد ما سـتؤول إليه الأمور.

*****

تجري الأيام في الحياة أسرع من القطارات، حتى إن نور وعمر يضيعان في غمار الحياة، وتأخذهم الحياة الجامعية في رحلات قاسية بين الدراسة والاختبارات، ولكن بمرور الوقت كان هناك الدافع أنه سينتهي الأمر قريبا ويجتمعان في منزل واحد قريبًا.
اتفق عمر مع والد نور أن حفل الزفاف سيكون بعد انتهاء الامتحانات، فقد جهز مسكنه وما زال في عمله وسيستطيع فتح بيت في هذا الوقت وقد وافق الأخير على طلبه واتفقا على الميعاد.

في آخر يوم في الامتحانات خرج عمر ونور سويا يستندان على بعضهم فقد بلغ بهما الجهد مبلغه، قالت نور وهي تربت على كتف عمر:

- كفارة يا معلم.

فنظر لها عمر نظرة وعيد:

- فين الأنوثة؟
- نسيت.
- بطلي تعملي الحركات دي.
- حركات إيه.
- إنك ترمشيلي بعينك كدا.
- ليه شكلي وحش؟
- لا بيكون حلو ودا مينفعش حد، مش عاوز حد يُعجب بيكي.
- بتغير عليا يا بيبي.
- طبعا، مش انت مراتي حبيبتي.
- ياه على رومانسيتك مجنني.
- تمام نرجع بقا للشغل القديم عشان تتريقي حلو.
- خلاااص أنت بتتلككلي.
- تعالي أعزمك على الفطار بمناسبة الامتحانات اللي خلصت، شوفي أنت عاوزة إيه هريحك من الفول والطعمية النهاردة.
- أيوة كدا دلعني، هاتلي شاورما.

- الفول زيت حار ولا عادي؟

قالها محاولا المزاح معها لتخفيف ضغط اليوم، وقد كانت تلك الامتحانات الفاصلة على زواجهم، فقد اتفقوا على ميعاد العرس مسبقا والذي سيكون بعد أسبوع، ويا لتلك الأيام السريعة التي لا تستطيع تحديد أولها من آخرها وتلك الخطط التي تُرسم فيحين موعد تحقيقها سريعًا.

*****

بينما يتحدث عمر ونور سويا وإذ بنور تقول:

- أخيرا فاضل شهر بس ونبقى في بيتنا وأقدر أتخانق معاك براحتي.
- دي طموحاتك يعني؟
- لا في حجات كتير عاوزة أعملها، المهم قولي أي أحلى حاجة في الجواز.
- أحلى حاجة إن الواحد يلاقي الأمان مع اللي بيحبه، ويعيش معاه في البيت فرحانين.
- لا مش دي أحلى حاجة على فكرة.
- اومال ايه يا ترى.
- أحلى حاجة إنك تكون في الشتا ومتغطي بالبطانية ومتدفي، وتقوم اللي جمبك يطفي النور أو يجيبلك تشرب، وموضوع الأمان دا حلو برضه.
- أكيد مش هينفع أقتلك قبل فرحنا بأسبوع.
- بالله عليك مش حاجة حلوة.
- حاضر هبقى أقومك تطفي النور عنيا عشان تستهبلي حلو.
- لا طبعا أنا صاحبة الفكرة حط السرير جمب جمب مفتاح النور، واحذر مني أنا طيبة آه بس شريرة جدا.
- والله الحاجة اللي أنا واثق منها إنك متخلفة جدا.
- حبيبي حبيبي بجد ولو ألف الدنيا كلها برضه مبحبش إلا هو.
- روحي شوفي اللي وراكي عشان متجننش عليكي.

- هروح كدا كدا نازلة مع أماني وأميرة وماما عشـان نختار الفسـتان، وعرفني قبل ما تروح تجيب بدلتك عشان أختارها معاك.
- واشمعنا يعني تختاري بدلتي معايا وأنا لا.
- هي دي القواعد، متبوظهاش.
- أي هبل وخلاص ماشي ماشي.

ذهبت نور مع صـديقاتها ووالدتها لشـراء فسـتان، كانت نور منبهرة بأشـكالهم وتتخيل هيئتها بهم في يوم زفافها، حتى قاطعت أماني شرود نور قائلة:

- الفستان دا حلو أوي.
- آه جميل ما شاء الله.
- طب أي؟
- إيه؟
- منا بقولك حلو وأنت قولتي حلو إيه بقا.
- أكيد مش هناخده دا من غير طرحة.
- وإيه المشكلة.
- لا صحصحي معايا شوفيلي قسم منتقبات، مش هلبس أنا الهبل دا.
- دا هي ليلة.
- ولما ربنا ياخدني يعني في الليلة دي أقوله إيه، ركزي معايا يا أماني بالله عليكي، عاوزة حاجة مقفولة من كل حتة.
- بس....

قاطعتها نور سريعا:

- من غير بس، أنـا هفرح عشـــان دا فرحي مع اللي بحبـه والنـاس اللي حوليـا وأصحابي، مش هفرح خالص وأنا عارفة إني بعمل حاجة غلط ومترضـيش ربنا، هي ليلة في العمر بالنســبالنا لكن بيتكتب فيها حســنات وســيئات زي أي ليلة، وممكن نموت فيها زي أي ليلة، أنا مش عاوزة اليوم دا يبوظ.

- عنيا يا حبيبتي في قسم هنا للمحجبات تعالي نروح.
- أهو كدا حبيبتي.

قاطعت أميرة حديثهم وقالت لنور:

- اتغيرتي جدا يا نور، مش انت اللي كنتي بتقولي هسيب شعري وفستان من غير كم وكوتشي وبتاع.
- الكوتشي ملوش دعوة لسه ثابتة عليه لكن الباقي لا خلاص طالما طلع مينفعش وقتها مكونتش أعرف.
- الحمد لله هو تغير للأحسن بس دا كدا تحبيك أوي مش لازم التقفيل دا.
- مش تحبيك بس لو ركزتي شوية هتلاقي إن إحنا الحسنة الواحدة هتفرق معانا في يوم من الأيام فلو الهدف إننا نفرح، نفرح وإحنا بناخد حسنات.

قالت أماني بمظهر حكيم:

- نور كلامها صح إحنا اللي بنعمل الغلط، إن شاء الله مش هنعمله تاني، هروح أرجع بقا الفستان اللي كنت هلبسه عشان كنت خارباها خالص.

انتهوا من مهمة البحث عن لباس الزفاف وعادوا للمنزل لم تستطع نور مواصلة السهر فنامت، كان في المقابل عمر وعائلته يقومون بالأعمال النهائية في المنزل حتى يكون مناسبا لاستقبال العروسين، بقي ثلاثة أيام على موعد الزفاف وقد كانت نور تبحث مع عمر عن لباس زفافه، وقد كان متعِبا في اختياراته فهو لا يحب هذه الهيئة ولكنه مجبر، فاضطر لاختيار واحدة سوداء عليها ريشة فضية بالقرب من فتحة العنق، وافق عليها على مضض.

كان يوم ما قبل الزفاف والمعروف أنه خاص باحتفالات العروس مع أهلها، كانت الأفراح في كلا المنزلين، كلٌ يحتفل مع أصدقائه بطريقته الخاصة، فقد كانت جلسات الشباب تحتوي على بعض المأكولات والمشروبات وتبادل النكات والمزاح، كما أنها فرصة لجمع شمل الغائبين الذين لا يظهرون إلا في المناسبات الخاصة.

أما على الجانب الآخر فقد كانت جلسات الفتيات بين وضع الحِناء على الأيدي ورسم بعض الأشكال حول المعصم، وبعض الوجبات وغيرها من مظاهر الاحتفالات الخاصة بهم.

ينتهي اليوم حين يتعب أحدهم وينام بلا قدرة على تحريك جسده، وقد أتى يوم الزفاف، وهو المنتظر، اليوم سيُكتب قصة جديدة، وتزيد البيوت بيتًا.

استيقظت الفتيات مبكرًا لتجهيز أنفسهم وظلوا طوال اليوم يُجهزون الملابس ومستحضرات التجميل، كل تلك الأمور تأخذ الكثير من الوقت في الحقيقة لا أعلم لماذا. في الجانب المقابل، يستيقظ عمر متأخرا كالعادة فيجد أحمد ما زال نائما فيكمل نومه حتى يقوم أحمد بإيقاظه كان الوقت يقترب من العصر، فيجلس الصديقان سويا ليقول أحمد:

- وبعدين إحنا هنفضل قاعدين كدا والفرح لسه بالليل ما تشوفلنا أكل ولا تعالى نسمع فيلم ولا أي حاجة بدل الملل دا.
- آه والله عندك حق تعالى نجيب بيبسي وأكل هما أكيد جايبين بره.
- هتروح للحلاق امته؟
- لسه بدري يا عم هروحله على بعد المغرب ولا حاجة، أصلا الحوارات دي كلها نص ساعة بالكتير يكون الواحد خد دش وحلق ولبس وظبط نفسه، يا ترى هما بيعملوا أي هناك دلوقت عند نور يعني.
- هتلاقيهم قاعدين من الصبح شغالين تشطيب ودهان أو ممكن من امبارح كمان، بيباتوا في التتبيلة دي قبلها بيوم.
- الحمد لله على نعمة إننا رجاله، أقصى طموحنا حلقة نضيفة وشوية برفان وكدا مية فل.

في منزل نور دار الشجار مرة أخرى على من سيضع لنور مساحيق التجميل، فقالت نور وهي تضحك:

- مش هحط يا أماني برضه.

قامت أماني منفعلة فتتمسك بها أميرة حتى تصيح أماني:

- سيبيني عليها هجيبها من شعرها أنا استحملت كتير وكدا جبت أخري بجد.

كل هذا ونور تضحك من ردود فعلها وترد وهي لا تستطيع تمالك نفسها:

- يبنتي هو أنت شايفاني وحشة مش عاوزة أحط طيب.
- لا هتحطي ذوق أو عافية بقا، أي مفيش إلا أنت اللي هتبقي دونًا عن الناس كلهم يعني.
- تاني هنعيد نفس الكلام؟ يبنتي لازم أبقى مختلفة.
- أيوة مش متخلفة.
- وهو فين التخلف منا عاوزة أبقى بطبيعتي.
- معلش حتى لو أنا اقتنعت هتحطي برضه.
- طيب خلاص بس على خفيف خالص أي شغل تشطيب همسحه.

وافقت أماني وهي تستشيط غضبا فقد رفضت نور من البداية الذهاب لصالون التجميل، وقالت ستفعل ذلك في المنزل، والآن ترفض ذلك في المنزل، إنه لصراع متعب بالنسبة لها.

*****

بعد المغرب وبعد ما انتهى عمر من ارتداء ملابسه وتصفيف شعره، جاء أحمد بسيارة ليُقل بها عمر:

- أنا اللي هزفك يا عريسنا.
- إيه دا يا صاحبي، عاوز تموتني يوم فرحي.
- مش أحسن من الغريب، على الأقل إحنا أصحاب وزيتنا في دقيقنا.
- أصيل يا صاحبي والله.

ذهب الاثنان لمنزل نور ليأخذ عمر نور ويذهبا إلى القاعة الخاصة بالزفاف، حين وصل إلى منزل نور وطرق الباب فتحت له أميرة:

- يادي النور ادخل برجلك اليمين يا عريس.

بينما يهم عمر بالدخول استوقفته أميرة سريعا:

- استنى عندك إيه دا.

أجاب بصدمة:

- إيه في إيه رجليا الاتنين طلعوا شمال ولا إيه.
- أنت لابس كوتشي على البدلة، هو أنا كنت ناقصة الشلل دا منك أنت كمان.
- يا شيخة خضيتيني، جيت ألبس جزمة مرتاحتش فيها ارتحت في الكوتشي أكتر.
- ما جمع إلا أما وفق بجد ادخل تعال.
- هي فين بقا اللي مخلياني لابس بدلة بالعافية دي.
- أنت كمان زعلان، أدخل هي جوة غمض عينك وأنت داخل.
- وأشوف إزاي يعني.
- اتصرف، المهم قول ما شاء الله.

دخل عمر وأول ما رآها هبطت منه دموع الفرح، لقد انتصر على الظروف والأيام والآن يحقق حلمه، ها هي فتاته بين ذراعيه قد اجتمعا أخيرا سويا، ولم يعد هناك إلا القليل ليكونا في منزلهما سويا.

- معقول تكوني قمر كدا وأنا مش واخد بالي.

احمرت خجلا ولم تستطع الرد، فضحك وأخبرها بأن عليهم الذهاب الآن فأحمد هو من سيقود السيارة وهو يكره الانتظار.

في أثناء الطريق قالت نور لعمر:

- بقولك إيه في حاجة بسيطة كدا عاوزة أقولك عليها.
- خير يا رب.
- أنا من الصبح مكلتش، جعانة.

نظر لها رافعًا حاجبيه، يحاول فهم الجملة برمتها:

- دا اللي هو ازاي يعني؟
- بقولك جعانة هو إيه اللي ازاي.

- أنت مستوعبة إن إحنا في فرح ورايحين قاعة وكدا ولا إيه.
- يعني دا مبرر إنك تجوعني؟ أقول إيه للناس جوزي مجوعني يوم فرحي اومال بعد كدا هيعمل فيا إيه.
- اقف يا أحمد عند أي مطعم بالله عليك عشان متفضحناش.
- ربنا يخليك ليا يا رب.
- أحببت متخلفة.
- عمر أنت لابس كوتشي على البدلة وأنا ساكته أصلا.
- يبنتي إيه فهمك أنت في الشياكة أصلا.
- شياكه آه قولتلي.

ذهبوا لمطعم وطلبوا الطعام لتناوله في السيارة وهو ما جعلهم يتأخرون قليلا في الوصول لمكان الزفاف دخلوا إلى أماكنهم فقد كانت القاعة مقسمة لنصفين، للرجال والسيدات، كان أصدقاء عمر بجانبه طول الوقت للقيام بالواجب على أكمل وجه.

كانت تدور المشروبات والحلوى على الناس وكانت تصدع في القاعة أصوات الضحكات، أفضل مئات المرات من معازف الشيطان.

انتهت الليلة وفي أثناء مغادرتهم قالت نور ل عمر:

- كنت عاوزة أرقص سلو، عشان أعرف هما بيقولوا أي وهما بيرقصوا.
- بيبقوا بيقولوا لبعض هو العريس والعروسة بيقولوا لبعض إيه وهما بيرقصوا، محدش عارف إيه اللي بيتقال يعني.
- نبقى نرقص في بيتنا بقا.

عندما وصلا للمنزل وقفت نور وقالت:

- ولما أشيلك أفتح الباب ازاي.
- مليش دعوة شيلني.
- طالما ليكي رجلين استخدميهم.
- مش هتحرك غير لما تشيلني.
- تعالي.

حملها حتى الباب ودخلا سويا، تكاد نور تبكي من فرحتها ليقاطع لحظات سعادتها الصامتة:

- نورتي بيتك يا عروسة.
- أنا عارفة.
- أبوكي تحت على فكرة والله أخليكي تروحي معاه.
- متقدرش على فكرة تستغنى عني.
- طب تعالي عاملك مفاجأة.

حين دخلا لغرفتهم كانت أميرة وأماني قد جهزاها مسبقا كما طلب منهم، فقد وضعوا الورود في كل مكان وقطع الشوكولاتة بمختلف الأنواع في أماكن متفرقة.

فينظر عمر لعيونها وسعادتها ويضمها لذراعيه قائلًا:

- أنت متعرفيش أنا بحبك إزاي وحقيقي فرحتي معاكي مقدرش أوصفها أبدا ويا رب أكون حد بيفرحك دايما.

بكت نور من سعادتها وضمته بشدة دون أن تتكلم.

في الصباح استيقظت نور مبكرا وحضرت الفطور لهم وحاولت إيقاظ عمر، لم تكن تعلم أنه يريد زلزالا ليوقظه.

- عمر اصحى، يبني، يا عم الحج، طيب يا صباح الرعب الساعة ٦ وعلى المقيمين خارج مدينة الرعب المحافظة على فروق التوقيت، درجة الحرارة في الضل ٢٥ ودا كويس للزواحف، واحتمال يبقى جو هايل للكسل في السرير أو النوم أو اقولك الأحسن عمل تمرينات للمخوفاتية اصحى يا عمر.

ولكن لا حياة لمن تنادي، وبعد محاولات مريرة وطويلة فتح عينيه بصعوبة ليجد نور أمامه مستشيطة غضبا فقال:

- في حد يصحي حد على الجمال دا مرة واحدة، قلوبنا مش لعبة فإيدكم يا عالم.

ابتسمت نور بعدما كانت غاضبة ولكنها لم تتوقع رد الفعل ذلك، فأخبرته بالاستيقاظ لتناول الإفطار.

بعد الإفطار كان عمر قد جهز لها مفاجأة أخرى عن أنهم سيغادرون الآن في رحلة لقضاء عطلة الزواج، مما جعل أساريرها تنفرج وقالت:

- هو في حد بيطلع تاني يوم فرحه.
- مش إحنا هنعمل كدا؟ يبقى فيه.
- آه فعلا نظرية منطقية برضه.
- وبعدين أنا عندي كام نور يعني، دا أنا أديكي عنيا.
- كتير عليا الدلع دا كله قلبي الصغير لن يتحمل.
- مش حارمك من حاجة عشان لو سمعتك بتقولي منشفها عليا هنشف دمك فعليا.
- لا أنت حبيبي ربنا يخليك ليا.

*****

أحيانا تصرفات المجتمع حولنا تجعل من شخصياتنا ضعيفة، بسبب الانسياق وراء القطيع لمجرد ألا يكون اختلافك سببا لنبذك، على الرغم من أن الاختلاف لم يكن ابدًا عيبا طالما لم يخالف نصًا، ولكن المجتمع محدود التفكير يعيب في المختلف حتى وإن كان على صواب، ولذلك ترى الكثير من الناس قبل فعله لأي شيء ينظر ماذا فعل غيره، كما لو أن الناس هم المرجِع، ورأيهم هو القانون.

أحب الناس الذين لهم طابع خاص بأنفسهم لا يهتمون لكلام أحد أو لنظرته، لأن مقياسهم هو الدين والراحة، هل ما سأفعله ليس حرام إن كان نعم فإذن هل ما أفعله سأرتاح في فعله، إن كان نعم فسأفعل.

الشخص الواثق من نفسه هو ما يفعل ما يريد بحرية ويستطيع أيضا رؤية حدود حريته، فالحرية مقيدة بما أمر به الله ونهى عنه، ولذلك يمكنك التميز دوما بطباعك الحسنة، وحسن تعاملك مع غيرك، يمكنك التميز بفعل الخير والسعي فيه، لكن المحرمات ليس بها تميز بل التميز بها واهن وضعيف ولذلك تميز بعيدًا عن الحرام والعيب.

كثير من الفتيات يتنازلن عن مبادئ كثيرة جدا في أيام مثل يوم زفافهم فتجد المحجبة تخلع الحجاب والمنتقبة تخلع النقاب وأمور كثيرة شنيعة أكثر من ذلك والسبب جملة عقيمة غبية "إنها ليلة في العمر" هل يُرفع عنك القلم في هذه الليلة أم ماذا، لماذا حُصرت السعادة في مُحرم، أليست السعادة في القلب، وكيف تسعد وأنت تكتب في صحيفتك سيئات جمّا.

إن حصر السعادة في مظهر معين لا يحققها إذا اختلف المظهر، وليلة الزفاف هي يوم فيه اختبار أيضا، يحب الإنسان العجب بنفسه، ويحب أن يكون محط الأنظار، وهذا هو اليوم الأهم الذي تكون العين فيه على الشخص فيتفنن في كيف سيلفت النظر، والواثق من نفسه لن يهتم إلا بفرحه وإرضاء الله، وما غير ذلك يُباع بثمن بخس.
اكتب مبادئك من الآن وانظر ماذا تريد وجاهد نفسك، ولا تقلد فليس في التقليد تميز.

*****

لقَد ولُدتَ أصلِيا فلا تَمُت وأنتَ نُسخَة.

(You were born an original. Don't die a copy.)

(9)

بعد انتهاء الإجازة وحان وقت العودة للحياة والعمل، استيقظ عمر ليجد أن الإفطار جاهز وملابسه قد تم كيّها، وأمامه وجه ملائكي ينتظره أن يستيقظ.

- والله الواحد حاسس إنه سلطان في زمانه.
- مش قولتلك هدلعك لما نتجوز، شوف عملالك فطار أهو محدش بيعملها دي.

ابتسم وقام ليغسل وجهه ويتجهز للذهاب لعمله وقال:

- معلش بقا هتستحملي غيابي اللي متقدريش تستغني عنه دا فترة لحد ما أرجع من الشغل.
- أنا آه مقدرش أستغنى بس بس متتغرش.
- طول ما انت معايا طبيعي أتغر.
- تثبيت ليفل الوحش.

انتهى من تجهيز نفسه وهم بالخروج فأوقفته وقالت:

- مش ناسي حاجة.

فذهب وطبع قبلة على جبينها فقالت:

- دي متجيش حق كوية القميص، وبعدين مش دا قصدي أنا كان قصدي كيس الزبالة يا قلبي نسيته خده معاك وأنت نازل.
- وأنا اللي كنت فاكر إننا هنعمل زي الأفلام تقوليلي مش ناسي حاجة فأديكي بوسة فتقومي واخداني بالحضن، فعلا هتدلعيني بعد الجواز، هاخد الزبالة حاضر.
- مين قال الدلع هو اللي في الأفلام يعني دا تمثيل يبني خلينا في الواقع.
- آه فعلا عندك حق.

ذهب عمر للعمل وبعد انتهاء الفترة طلبه المدير، فقد ابتسمت الحياة قليلا لعمر فقد تمت ترقيته في الشركة التي يعمل بها منذ أكثر من عامين، وهو ما جعل قلبه يطير من الفرح، لا يستطيع الانتظار حتى يخبر نور بالخبر السعيد فيعود لمنزله سريعا، ويطرق الباب فتفتح نور، وتستقبله بعناق:

- وحشتني.
- هو أنا لحقت..
- ملكش دعوة وحشتني وخلاص.
- النهارده صحيت على وش ملاك وربنا كرمني واترقيت، المدير كان مستنيني أخلص الإجازة عشان أخد الترقية.
- ألف مبروك يا حبيبي تستاهلها، يللا أنا جهزت الغدا هنتغدى ونلعب بلايستيشن على اللي هيغسل المواعين.
- بس أنا مش بعرف ألعب بلايستيشن.
- ما دي حاجة تزود فرصي وتخليني مغسلش المواعين.
- واضح فعلا إنك بتحبيني.

بعد الغداء خسر عمر خسارة نكراء فوقع عليه العقاب ولكن نور لم تستطع تركه يفعل ذلك وحده فقامت بمساعدته، ربما كانت العلاقة بينهم مرحة نظرا لكونهم في شهور حياتهم الأولى معًا.

يستيقظ عمر فزعا في منتصف الليل فلا يجد نور بجانبه فيقوم ليبحث عنها ليجدها تستند على الحائط بجوار الثلاجة وقد ظهر عليها أنها قد قامت بزيارتها.

- إيه الخيانة دي يا نور، مكنش العشم لا.
- كنت جعانة أعمل إيه يعني.
- قوليلي أهو حتى نفسي تتفتح معاكي.
- خلاص المرة الجاية بقا هبقى أصحيك تعال ربي كرش معايا.

جلس بجانبها وأسند ظهره على الحائط، وما أجمل أن تتشارك لحظات زيارة الثلاجة ليلا، لم تستطع نور أن تظل مستيقظة فأسندت رأسها على كتفه ونامت، فحملها للسرير ونام بجانبها.

*****

زواجك في سن صغير هو أمر جيد إذا كنت على درجة من الوعي، فالزواج يعلم حمل المسؤولية، ويصون من الوقوع في الخطأ، سيجعلك تحاول أن تنشئ بيتًا صالح.

الزواج صغيرا سيجعل أمامك فرصة أكبر للعيش سعيدا مع زوجتك التي ستكون زوجة وأخت وصديقة وحبيبة وأمامكم عمرٌ طويل لتقضياه سويا مستمتعين بشبابكم، كما أن أطفالكم سيكبرون وأنتم ما زلتم في ريعان الشباب ولم يبلغ العمر أرذله، فتسعد بأطفالك.

إذا أحببت أحدهم فأخبره، وشاركه لحظات فرحه وحزنه، حاول إسعاده، وإن كان من تحب هي زوجتك فحاول أكثر فهي من ستبقى لك عونًا وسندًا وأمانا، عاملها كطفلة وقت الرخاء واعتمد عليها وقت الشدة، أحضر لها ما تحب وأنت قادم للمنزل، شاركها لحظات الجنون، شاركها لحظات زيارة الثلاجة أو مشاهدة الأفلام في الخامسة فجرا، ساعدها في أعمال المنزل، ولا تبخس عملها أبدًا فربما هي لا تنتظر في هذا اليوم الطويل سوى كلمة طيبة.

شارك معها قرارتك، عاتبها باللين حين تخطئ، وخذها بين ذراعك حين تبكي، دعها تشعر أنك فخور بكونها معك، وكن حسن الكلام عنها، يمكنك الجلوس ومشاركتها طلاء أظافرها أو تمشيط شعرها، شاركها لحظات أنت تظن أنها تافهة ولكن هي عظيمة عندها.

ربما تظن أنك فقط من تعطي ولكن بقدر ما تعطيها ستعطيك وأكثر وستشعر أنت بالسعادة حين تفرح هي، لو أعطيتها قطرة من البحر ستعطيك البحر بأكمله، إن أسعدت غيرك ستجد السعادة تطرق بابك دون أن تسأل.

أخي السنجل، تعال اشرب بيبس.

*****

الأوقات تمر سريعًا في كنف من نُحب.

كانت نور تختزن مفاجأة لعمر فلطالما فاجأها، وطلبت منه أن يذهبا لتناول الطعام في الخارج، حين جلسا سويا كانت نور تحاول إخفاء ملامح وجهها حتى لا تفسد الخبر وسألت:

- عمر هو انت هتفضل تحبني لإمته.
- أكيد طبعا لحد ما أموت بس ليه السؤال الغريب دا.
- طب سؤال تاني، هو أنت حبيتني ليه.
- معرفش حبيتك ليه، بس أنا من يوم ما شوفتك في السينما وبعدها خرجتي ولعبتي مع الأطفال حسيت بحاجة غريبة كانت إعجاب لحد ما عرفتك حبيتك، إنك طيبة وجدعة، ببص في عينك بتطمن.
- يعني مش ممكن تسيبني في يوم أو تزهق مني؟
- دا أنت روحي مقدرش أفرط أبدا في روحي، عاوز أسألك انا بقا.
- أنت مبسوطة معايا؟
- طبعا مبسوطة أنا مكونتش كدا خالص، أنا اتغيرت كتير لما حبيتك، وحسيتك بتحبني عشان بتحبني مش عشان حاجة تانية، كان لبسي مش حلو لكن أنت صبرت عليا لحد ما ظبطته، كنت بعمل حجات كتير غلط، وأنت كنت معايا دايما، إزاي مكونش مبسوطة.
- ربنا يخليكي ليا يا رب.
- طب أنت مودك حلو دلوقت؟ عاوزة أقول حاجة.
- خير يا رب أنت قلقتيني من سعته.
- أنا...
- يبنتي هو أنت بتشحتيني الكلام.

لم تستطع إخفاء ملامحها مرة أخرى وقالت وهي تحاول كتم صراخها:

- أنا حامل.

فغر فاه محاولا استيعاب وقع الجملة على أذنه، ولم يستطع تمالك نفسه إلا وهو يقوم من كرسيه ليذهب لها ويعانقها بشدة.

- يعني أنا هبقى أب.
- لا هتبقى أم.
- متفصلينيش من اللحظة يا مستفزة.

كانت دموع السعادة هي عنوان اللحظة، وكم تمر اللحظات الروتينية فتأتي اللحظة السعيدة التي تجعلك تقاوم التعاسة لتبدأ من جديد.

*****

"تغيرت حين أحببتك"، حين تتغير بعد حبك لأحدهم فاعلم أن التغير يكون للأفضل، فما مغزى وهدف الحب إن لم يكن وصولًا لغاية سامية، وما هو الحب إن لم يحدث فيه تغيير ما الفرق بينه وبين باقي المشاعر، الحب لا يهتم بمظاهر ولا بشكل ولا بمال، إنما هي أرواح تلتقي فتتآلف فتسحب بعضها للخير.

انتشار الارتباط والفراق والزواج والطلاق ما هو إلا بسبب النظر لمظهر أو مستوى معين فإذا تغير شيء تغير كل شيء، يطلق الحب على اللاشيء، أنا أحب فلانة لأنها جميلة، فإذا ذهب الجمال ذهب الحب، وإذا رأيت الأجمل انصرفت عمن معك، والمظاهر خداعة وتتكرر، من يحب المظاهر ستغريه مختلف المظاهر، لكن الأرواح لا تتشابه أبدا. لو مررت بحديقة من الورود مختلفة الألوان وتحتوي على الكثير من الورود الحمراء والصفراء وقطفت إحداها وأخذتها للمنزل، ستفرح بها قليلًا فإذا ذبلت رميتها وجئت بأخرى فهناك الكثير.

فماذا إذا وجدت وردة سوداء وحيدة في تلك الحديقة وقطفتها، لن تدعها تذبل أبدًا فأنت تعلم أنها لن تتكرر ثانية، ستغير كثيرا من أفعالك حتى تحافظ عليها، ستستيقظ مبكرا لترويها، وتنظف حولها حتى لا يقترب منها الحشرات، ستضعها في وعاء حتى لا يلمسها أحد، ستكون حريصًا على جعلها نضرة طوال الوقت.
إنها وردة كباقي الورود، ولكنها تميزت بانفرادها.

فأين التميز اليوم وقد تشابهت الورود وصارت كلها بالأحمر والأصفر، من الطبيعي انتشار التخلي والإهمال، فنحن نهمل ما يمكن تعويضه.
العين تلتقط المظهر، ومظهر الفتى يعطي انطباعا عنه، ليس دائما ولكن الغالب فليست كل النفوس سوية لتلتمس الأعذار، ولكن مظهر الشيخ يعطي الوقار ويكسبه الاحترام وتثبت ذلك أفعاله، ومظهر البلطجي يوحي بالخوف وعدم الاحترام وتثبت أفعاله ذلك، فإن ثبت العكس فهو الشاذ في القاعدة، الفتاة الملتزمة بالدين توحي بالاحترام والوقار فإن ثبت العكس فهو الشاذ.

فخطف الشاب للنظرة على متبرجة سيثير شهوته قبل أن يفكر في طبيعتها، ولن يهتم إلا بمظهرها، فستكون بالنسبة له وردة صفراء يوجد منها الكثير، ربما يستمتع بها قليلا حتى يجد غيرها.

المظاهر مهمة في تحديد من نحن قبل التعامل، وأرواحنا مهمة في تحديد من نحن بعد التعامل، فإن فسد المجتمع نصلُح نحن، وإن صلح المجتمع نكون الأفضل فيه، هذا هو التميز الحق.

كل ما هو نادر يُحافظ عليه ويتم تقديره، فانظر حولك وتميز بنفسك.

راقب نفسك واجعلها الأفضل.

*****

كان عمر يستيقظ مبكرا يجهز الإفطار ويعود من العمل سريعا ليساعد نور في الأعمال المنزلية، يحاول بكل الأحوال التهوين عليها في فترات الحمل، لم يكن يمل من مشاركتها في كل لحظات يومها، يشاهدون الأفلام الكرتونية سويا حتى تغط في النوم، يشاركها سهرها في الليل، يتدارسون بعض العلوم الشرعية سويا ويراجعون وِردهم يوميا.

كان يأتي بأشياء تحبها يوميا بعد العمل، غزل البنات والحلوى وغيرها حتى في يوم أخبرها أنه يحمل لها مفاجأة، وحين عاد للمنزل:

- ها إيه رأيك في المفاجأة دي.
- إيه دي هعرف ازاي وهي ف كارتونه.
- طب ما تفتحيها.
- دي مكنة غزل بنات.
- آه إيه رأيك بدل ما كل شوية أروح أشتري وتبقى شوية صغيرين جايبلك مكنة بحالها تعملي براحتك.
- يا لو تجيبلي مصنع شيبسي بالمرة تبقى عملت الواجب وزيادة.
- طب اوعي كدا بقا عشان هاخد البتاعة دي أرجعها أنا أصلا غلطان.

ضحكت نور على رد فعله، فابتسم لابتسامتها.

بدلا ملابسهما وذهبا لمنزل أهل عمر كعادة زياراتهم يوم هنا ويوم هنا لصلة الرحم بينهم وبين آبائهم.

أيقظت نور زوجها في منتصف الليل قائلة:

- عمر اصحى... انت يا بني.
- خير يا نور الساعة كام دلوقت.
- الساعة ٢ قوم بس.
- الفجر لسه مأذنش أصحى أعمل إيه.
- أنا جعانة.
- يعني أنت مصحياني من عز نومي تقوليلي أنا جعانة، هشتمك شتيمة مش حلوة.

تظاهرت بالبكاء كالأطفال وظلت تُلح عليه حتى يأتي لها بطعام.

- صحيت يا نور عاوزة إيه اتفضلي.
- عاوزة فسيخ.
- نور أنت مش بتحبيه أصلا أنت عاوزة تموتيني.
- معرفش أنا نفسي فيه دلوقت هاتلي بقا.
- نامي يا نور الصبح إن شاء الله هجيبلك.
- على فكرة أنا شكلي بتوحم يرضيك الواد يطلعله سردينة في وشه.
- خلاص قايم أنت هتشيليني هم الواد ليه.

خرج من منزله يبحث في كل الأماكن التي يعرفها وكما هو الطبيعي كل المحلات مغلقة حتى وجد أحد المحلات مفتوح لكن صاحبه ينظف المحل لأنه سيغلق فذهب جريًا إليه قبل إغلاقه، واشتري منه آخر ما تبقى عنده وعاد للمنزل، فوجد نور جالسة في منتصف المنزل تنتظره:

- أخيرا دا أنا كنت هموت من الجوع.
- أنت شكلك عامل كدا ليه، أنت بقيتي زومبي ولا إيه.
- معرفش شكل اللي ف بطني متوحش.
- ما تيجي نسميه بدل ما كل شوية تقولي البيبي واللي في بطني.

- طب إحنا هنفكر في التفاصيل دي وتسيبني جعانة.
- لا إزاي اتفضلي طبعا يا ماما.

كما توقع عمر لم يعجبها لا رائحته ولا طعمه، وظل يضحك على تعابير وجهها.

- قولتلك أنت مش بتحبيه قالبالي وشك ليه بقا، بس هو مفيش فايدة لازم بس بهدلة.
- منا مكونتش أعرف، وكان نفسي فيه أعمل إيه، وبعدين أنت حبيبي لو مكونتش تتعبلي هتتعب لمين.
- أنت بتستغليني بقا عشان بحبك.
- طبعا، حد يلاقي دلع وميتدلعش، خد بوسة.
- لا ابعدي عني بالعك دا.
- أنت قرفان مني، لا مكنش العشم لا.
- انا رايح شغل الصبح مش عاوز أروح وريحة الجثث دي عليا.

لم يستطع إكمال السهر معها فانصرف للنوم، ولم تلبث هي قليلا حتى لحقت به.

بعد أيام استيقظت نور تصرخ وتوقظ عمر فقد كانت على وشك الولادة، قان من نومه فزعا لكنه اعتاد تلك المواقف منها، وأخذها سريعة للمستشفى، دخلت نور للعمليات ولحقتها الطبيبة، قضت الليل بطوله في العمليات، حتى سمعت صوت بكاء طفلة جميلة تشبه والدتها، أخذها التمريض لإزالة ما يلتصق بها من دماء ثم دخل عمر بجانبها ممسكا بيدها، مطمئنا لها.

كانت أفراد العائلة في الانتظار خارجا ونور وزوجها في داخل الغرفة يحملون طفلتهم بين أيديهم.

- ما شاء الله زي القمر بس مظنش أنها هتكون حلوة زي مامتها كدا.
- لا هتكون أحلى بكتير، المهم هنسميها إيه.
- أنت عاوزة تسميها إيه.
- اختار ولو عجبني هقولك.

- إيه رأيك في اسم رؤى.
- جميل يبقى خلاص دلوقت معانا رؤى.

بعد ما دخلت نور غرفة الرعاية مع عمر دخل الأهل يباركون ويهنئون، فقال أحمد الذي جاء هو ومحمد لصديقهم في المستشفى.

- البنت دي تتحجزلي.
- لا مش هديها لمفترسين أخاف عليها يا عم.
- تصدق أنت عيل واطي، سميتها أي، حظك أنها بنت لو ولد ومكنش اتسمى على اسمي كنت زعلتك.
- اسمها رؤى.
- مش شايف إن اسم رؤى دا نضيف شوية على واحد زيك.
- شوف أنت اللي بتبدأ أهو.

ظلت نور في المستشفى طول اليوم للاطمئنان على صحتها وصحة المولود ثم ذهبوا للمنزل والذي لم يُغلق بابه لأيام من الزيارات حتى إن صديقات نور كانوا يبيتون معها وقد حبسوا عمر في غرفة وحده لا يستطيع الجلوس مع نور إلا قليلًا بسبب وجود أصدقائها.

بينما تتبادل نور مع أميرة وأماني الحديث تطرق الحديث في أمر أميرة حيث قالت نور:

- إيه يا ميرو مش عاوزاني أبقى خالتو أنا كمان ولا إيه، طب أماني ومعقدة أنت بقا إيه.

قالت أميرة بقلة حيلة:

- أهو يا مسهل الحال هعمل إيه يعني.

ردت أماني مقاطعة:

- ما أنت اللي بترفضي ومحمد موضوعه طول شوية، يعني حتى شافك واحنا في المستشفى ومكلمكيش، فشوفي حالك حتى.
- خير إن شاء الله كل تأخيرة وفيها خيرة.

في نفس الوقت كان قد جاء اتصال لأميرة من والدها يريدها في المنزل، فاستأذنت لتذهب لمنزلها، وحين دخلت وجدت ما جعلها ترفع حاجبها اندهاشا، فقد كان محمد يجلس مع والدها الذي قال:

- محمد قالي على كل حاجة وعن الوعد اللي كان وعدهولك، وجي طالب إيدك دلوقت، وأظن على كلامه إنك موافقة.

أطرقت رأسها في الأرض خجلا وأومأت بالموافقة، واستأذنت ودخل غرفتها لتتصل سريعا بنور:

- نور محمد قاعد مع بابا بره.
- أنت بتتكلمي جد؟

قالت أماني مقاطعة:

- البنت دي مكشوف عنها الحجاب ولا إيه.

قالت أميرة وهي تصرخ صرخات مكتومة:

- أصورهولكم لو مش مصدقين.
- خلاص مصدقين والله فرحانين بجد عشانك، طب لما هو يمشي تعالي تاني.
- آه هاجي أكيد إن شاء الله، عشان أنا أصلا لحد دلوقت مصدومة.

أغلقت الهاتف وأمسكت وسادتها وضعتها على وجهها وصرخت بكل طاقتها، فلا تستطيع التعبير عن حالها في هذا الموقف.

*****

تنفيذ الوعود أمر مقدس، فالوفاء بالوعد لأحدهم دليل على حبي له، وثقة أحدهم في وعدي دليل على حبه لي، وأينما توجد الثقة يوجد الأمان، وأينما وُجد الأمان وُجد الحب. العلاقات الروتينية يصيبها الجمود بعد مدة، ولكن يمكن تجديدها بتفاصيل صغيرة باهتمام في يوم صعب، أو بهدية بسيطة في أوقات حزينة.

فعل الأمور المختلفة عن العادي هي وسيلة للتخلص من ملل الحياة، وزيادة المسؤوليات لا تمنع إضفاء المرح، فلتنهل تلك المسؤوليات من نقاء القلوب، وليكن التعاون هو ما يخفف وطأ المصاعب.

وجود أطفال في حياة الآباء ليس للظهور بوجه حازم وتغيير الحال عما كان قبل وجودهم، بل تستمر الحياة بالحب ليتعلم الطفل معنى الحب، ليتعلم المشاركة والطريقة التي يسعد بها.

الحب يَسع الجميع، فلا تقف به عند نهاية ما.

العلاقات التي تبدأ بالحب يجب أن نحرص على أن تنتهي بالحب، حتى وإن تجاوزت أعمارنا المائة عام، يحيا الحب داخلنا طالما أرواحنا ما زلت فينا، فإن رحلنا ظل حبنا يُدفئ أماكننا بعد الموت.

*****

تكبر رؤى في ظل آباء متحابين، يعلمون حقوقهم وواجباتهم وهو ما يجب على كل بيت حاول إنشاء زرع مصلِح في الأرض، كانت الفتاة الصغيرة تتعلم المشي وتحاول نطق بعض الكلمات، تترك كل الأماكن وتنام في حضن والدها، حصنها أبد الدهر وركنها الآمن، وحبيبها الأول.

كانت نور تغار من ابنتها وتذهب مستشيطة لزوجها:

- على فكرة دي كوسة بقا.
- يا بنتي دي بنتي ونايمة في حضني هو أنا بخونك معاها.
- مليش دعوة أنا اللي كنت حامل فيها ٩شهور وفضلت شايلاها بعد ما اتولدت وأرضعها وألعب معاها وأنت في الشغل يعني المفروض تحبني أكتر منك.
- ما هو طول ما أنت بتذلي فيها كدا هتحبك ازاي يعني.

وقام بشدها تجاهه وضمها بجانب ابنتها ليخبرها بأنها ما زالت طفلته أيضا حتى وإن امتلك مائة طفل، ستظل زوجته هي حبيبته الأولى وابنته الأولى.

كانت رؤى قطعة من البهجة (قصيرة قليلًا) تتحرك في المنزل لتنشر ضحكها فيه، وكما لو أن نور وجدت أحدا يشاركها الطفولة فلقد كانت تقضي اليوم تلعب مع ابنتها لا تكل إلا بنوم ابنتها ولا تتضجر من حركتها الكثيرة، كان هذا البيت الصغير هو العالم بالنسبة لأب محب لزوجته وابنته، عالم كقطعة من الجنة لا يريد أن ينتزعه منه أحد، لقد كانت نظراته في منزله دافئة، وقلوب من حوله نقية، عالمه الصغير ذو القلب الكبير، الذي يختلف تماما عن سواد العالم في الخارج.

في ليلة يقوم عمر في منتصف الليل وحده نظر بجانبه فوجد ملاكه الصغير نائم ولكن نور لم تكن بجانبه فقام ليراها، فوجدها في غرفة أخرى تصلي قيام الليل كعادتها وتدعو بصوت عالٍ لزوجها وابنتها فتوضأ وذهب ليصلي معها.

- أنا لسه مصليتش الوتر تعال صلِ بيا سمعني صوتك.

بدأ الصلاة وقد كان يطيل في السجود قليلا حتى أنهى ركعتين وفي الركعة الثالثة أطال في السجود قليلًا ثم رفع رأسه وأنهى صلاته ولا تزال نور ساجدة، فتعجب أنها لم تلحق به.

- نور أنت نمتي ولا إيه كنتي قوليلي مكونتش هطول.

ولكن لم تكن ترد وظلت ساجدة.

- أنت نمتي بجد بقا.

قام ليحملها إلى السرير بما أنها نامت ولكن حين أمسك يدها كانت متجمدة ووجها مبتسم، وروحها عند خالقها.

- نور اصحي متهزريش، إيه الهزار الرخم دا.

لقد كان يأبى أن تدخل فكرة موتها لعقله وظل يصرخ محاولا إيقاظها كما لو أن عقله قد رفض ما هو فيه.

لقد ماتت نور ساجدة وهي تسأل الله أن يحفظ زوجها ويبارك في ابنتها، ماتت وآخر عهدها بمن تحب دعوة وآخر عهدها بربها سجدة.

حملها على ذراعه يبكي دموعًا باردة توحي بما حل بقلبه الذي فقد دفئه للتو.

اتصل بصديقه وهو قام بالاتصال بباقي الأهل وجاء الصبح لتجهيز مراسم الدفن وما أشبه اليوم بالبارحة نفس الأشخاص في نفس المشهد، كما لو أن الذكريات تريد تحطيم ما بقي في قلبه، كان يمشي يحمل نعش زوجته على كتفه ودموعه تأبى عيونه أن تحملها، أدخلها القبر وظل جانبها لحظات ليحتضنها للمرة الأخيرة.

- بعد موت أخويا كنت أنت اللي بقيالي، أكتر حد حبيته في حياتي، دلوقت أنت كمان مش موجودة، أنا وعدتك إني هفضل أحبك لحد ما أموت، وهنفذ وعدي إن شاء الله.

واحتضنها بشدة وبكى حتى أنه نطق الشهادة ولحق بها، لقد فاضت روحه لتصاحب روح حبيبته في الجنة إن شاء الله، الآن نفذ آخر وعدٍ له.

ظل أحمد ينتظر خروج صديقه ولكنه تأخر فحاول إخراج صديقه ليجده قد فارق الحياة بجانب زوجته.

غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفن مع حب حياته في نفس اليوم.

لقد كانت الصدمات قوية على أصدقائهم وأهلهم، لكنها طبعت في قلوبهم قصة يتعلمون منها لنهاية حياته، عن طريق شارك فيه اثنان محبان ليزرع الله الحب في قلوبهم، ليجعل ذلك الحب سبيلًا لحياة أفضل.

لقد غادر اثنان من الحياة وسيظلان يعيشان في قلوب الكثير، غدارا وتركا بذرة لتكون دليلًا على قلوبهم النقية لقد تركوا نتاج حبهم وزهرة أيامهم تركوا "رؤى"

لقد خسر الثلاثي فردًا ولكن سيظل اسمهم الثلاثي المرح فالموت قد يأخذ أحدهم من جانبنا، ولكن لا يستطيع نزع أحدهم من قلبنا.

الموت هو سنة الله في كونه، حقًا على الجميع أن يناله، فماذا ستترك حين يأتيك، هل تركت أثرا طيبًا تحيا به في قلب أحدهم يوما؟

تزوج محمد وأميرة دون إقامة حفل زفاف تقديرا وحزنًا على أصدقائهم، واستأذنوا من أهل عمر أن تعيش رؤى معهم، فلم يمانعا ذلك وانتقلت رؤى لتعيش مع محمد وأميرة لتكبر عندهم وتظل تشبه والديها في الشكل والصفات، لتعيد تجسيد روحهم مرة أخرى.

اعتذرت أماني لأحمد على ما بدر منها سابقًا وقد سامحها كما أنه تقدم لخطبتها وتزوجا. لقد وجد كل منهم طريقه في الحب، من اختار المسامحة والبدء من جديد ومن نفذ وعده واختار الطريق، كلٌ قد رسم طريقه بنفسه، ويجمعهم في النهاية حب، حب قادر على إنهاء الخلافات وتجاوز الصعوبات، يرى العيوب فيصلحها ويرى المميزات فينميها، حب متميز بنقائه وصدقه.

*****

في أحد الأيام وفي أحد البيوت البسيطة، تشرق الشمس في جو جميل ويتردد صدى صوت " أميرة ":

- يا "رؤى" اصحي عشان خالتو هتيجي دلوقت وهنمشي على طول.
- لم لا تتحدثين بالفصحى يا خالتي، حسنا سأستيقظ.
- يا بنتي أنا بتكلم بالعامي مكسر، أنت متعبة زي أمك انت حرة متتعبيناش معاكي، هحضر الفطار تكوني صحيتي.
- حسنا أيتها المرأة الشريرة.

يدق الباب لقد حضرت الخالة " أماني" تقوم "رؤى" مسرعة لتفتح الباب وتستقبلها بكل اشتياق فلقد طال الغياب ليومين يا لها من مدة...

تقول رؤى بكل حماس:

- ماذا أحضرت لي معك.
- يبنتي شغل فيلم الرسالة اللي معيشانا فيه دا موترنا، عموما أحضرت لكي بعض الحلوى لنحصل على القليل من التسوس.

يقاطعهم صوت أميرة بتجهيز الإفطار وعليهم الذهاب لتناوله في جو من المرح والضحك والذي سيكون بداية لبوادر حب عائلي قد فُقد، وأمان لم يعد موجودًا وقلما تجده.

قالت أماني في وسط الكلام:

- مين هيخمن هنروح فين النهاردة؟ عشان أسهل الموضوع عليكم هنروح مكان حصل فيه موقف مجنون شوية وذكرى مكان مش هتتنسي أبدا.
- يللا يا رؤى خالتوا قررت تعملك مفاجأة في مكان هتحبي جدًا تعرفي قصته.

في أقل من خمس دقائق ذهبت رؤى لتستعد للرحيل، وقد جاءت في تدلل واضح بشكل طفولي ساحر بعينين زرقاوين، كم ورثت عن أمها جمالًا خلابا وتُركت كأثر جميل نادر لن يتكرر.

- هيا بنا يا سيدات فأنا جاهزة.

عندما تستمع للجملة لن تظن للحظة أن من قالها طفلة لم تتجاوز العاشرة بعد، ولكنها رؤى ولذلك توقع أي شيء.

*****

ذكرى المكان لا تنسى، وقصص الحب الحقيقي موجودة وتبقى للأبد، نحن نملك الخيار دوما لإيجاد الحب الحقيقي بعد الاستعانة بالله والسير وفق نهجه.

الفراق ليس حبًا ولا أحد يتغير للأسوأ حين يحب، البدايات الصحيحة هي ما تكتمل للنهاية حتى وإن أخطأنا في منتصف الطريق يمكننا الرجوع مرة أخرى فما زالت البداية تحتمل الرجوع إليها.

اختر طريقك بنفسك، وجد علامات حبك لنفسك، الطرق تتشابك والنهاية واحدة، هل ستحب من قلبك أم ستتسلى؟

هل ستفي بوعدك أم سيكون الكذب ديدنك، هل ستتنازل عن بعض ما تحب أم ستتمسك براحتك أنت فقط، هل ستحافظ على وردتك السوداء أم ستكون ضعيف النفس مهملًا؟

هل ستكونين وردة سوداء أم ستذبلين كباقي الورود؟

هل تسعى للتميز أم أنت راضٍ عن وضعك الحالي.

أنت فقط من تعلم إجابات تلك الأسئلة، إنه طريقك، بإمكانك أن تسير فيه كيفما تشاء، ولكن حاول أن تصل دون خدوش.

أنت جميل فلا تقبل إلا أن تكون.... وردة سوداء.

تمت بحمد الله

إهـداء

إلى أبي وأمي اللذان كانا لي خير عون لإتمام هذا العمل... وزرع المبادئ الطيبة داخلي، وحثي على السعي دائما نحو التميز...

إهداء إلى أبطال الرواية.. اللذين كانت قصصهم وتجاربهم مناسبة لتصحيح أمور خاطئه وإعادة توضيح مفاهيم جديدة للسعي وراء التميز...

إهداء إلى الأصدقاء اللذين ساندوني وشجعوني على إتمام هذا العمل.

إهداء إلى المهندس (مصطفي عبده الشريف) الذي تفضل مشكورا بمراجعة هذا العمل وتعديل بعض المفاهيم وعرضها بصورة أفضل.

كل الشكر والتقدير لكل من ساعدني وكان بجانبي ف كل اللحظات السعيدة والصعبة... شكرا لوجودكم في حياتي..

شكر وتقدير لمن كانت نورا لي وعلمتني معنى التميز.. شكرا وردتي السوداء.

أسألكم الدعاء ل "ملك حاتم" بالرحمة وأن يرزقها الله الفردوس الأعلى...❤

الناشر:

دراكوتوبيا للنشر والتوزيع

رقم الهاتف: 01010117843

رقم الهاتف: 01550902211

البريد الإلكتروني: dracutobiapublishing@gmail.com

فيسبوك: https://www.facebook.com/Dracutobia

وردة سودا

دائما ما يكون الخيال مثاليا، فما رأيك أن ترى واقعا مثاليا قد يغير ما تفكر فيه في حياتك .
إن الورود السوداء نادرة ومتميزة، فهل أنت مستعد لتكون كذلك؟

غـــلاف: عبـــدالله احمد

Dracutobia